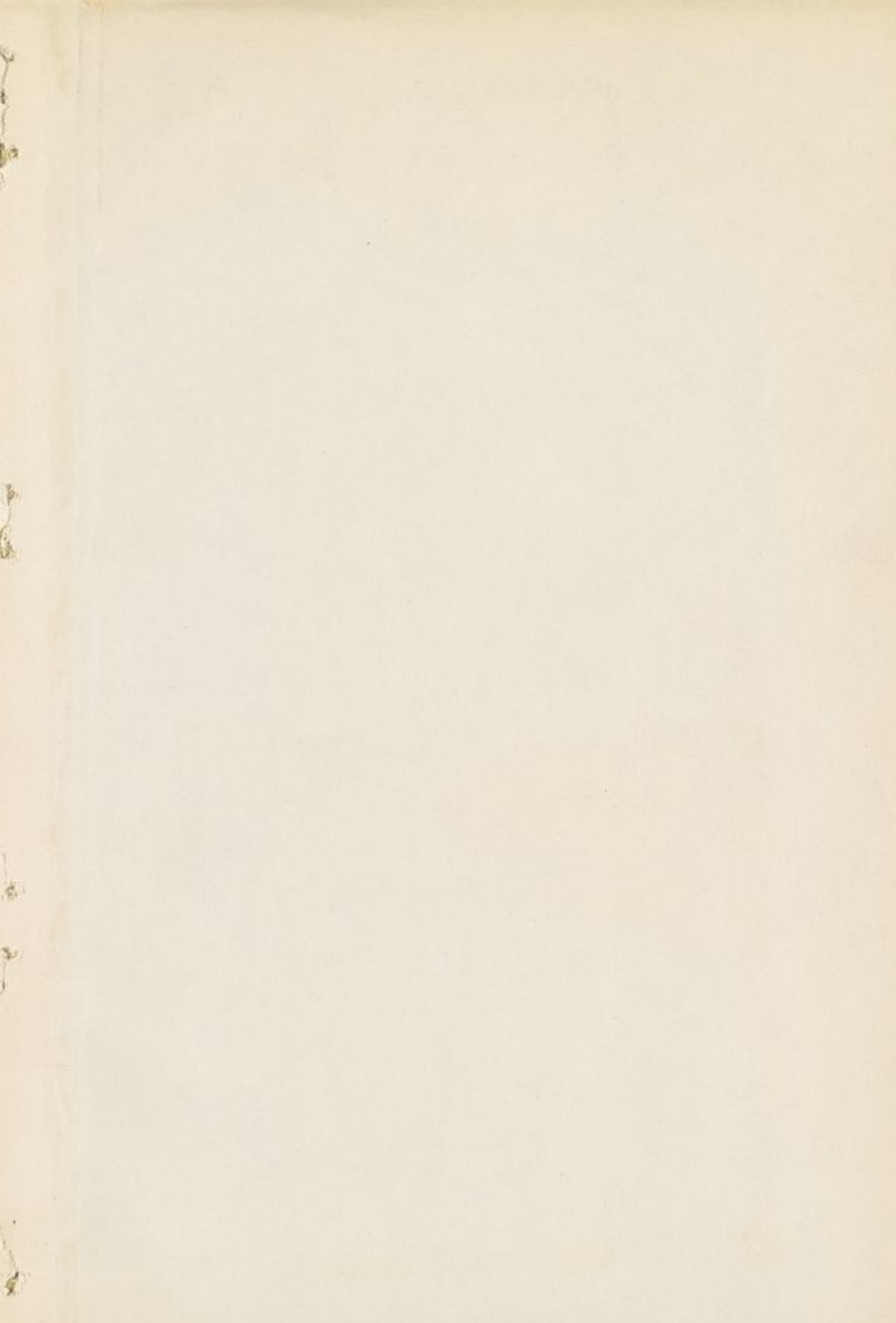


TAWFIQ

KAMAL ATATURK



ملحق المجلد

كمال أناةورك

بتلم
محمد محمد توفيق

عبدالله بنشره
دارالهدى
سنة ١٩٣٦

میرزا کی پوٹا دے
A. Z. Alushady

Tawfiq, Muhammad Muhammad

کمال انا تورك

Kamal Atatürk

بقلم

محمد محمد توفیق

عنیت بنشره

دارالھلال مصر

سنة ۱۹۳۶

اهداء الكتاب

الى الرجل الذى خلق تركيا ، وأيقظ الشرق ، وتنمر للغرب
الى رجل السياسة والحرب :
كمال أتاتورك

من مصرى يرى فيه المثل الأعلى للمجاهد الكامل ، ورجل الدولة
الكامل

65-14

(RECAP)

2070

129

944

صورة الغلاف

يجد القراء على غلاف هذا الكتاب رسماً قد يكون غريباً على بعضهم ،
ولذلك نشرحه فيما يلي :

هو شعار حزب الشعب الجمهورى الذى يعتبر تجسيدا ماديا لفلسفة كمال أتاتورك
ودستوره فى الحياة . والأسمه الستة تمثل مصادر قوة هذا الحزب ، وهي :
الوطنية ، والشعبية ، والجمهورية ، والقومية ، والثورية ، والعلمانية . وهذه
الأسمه تنطلق من الشمس التى هى الحزب ، وتشرق على راية فوقها قلعة تركية
حصينة

وقد أصبح هذا الشعار رمزاً لتركيا الجديدة ، كما ان العلم الأحمر ذا الهلال
والنجمة رمز الجيش التركى الباسل

مقدمة

اشتغلت صحفياً منظماً مدة طويلة - وسعدت بمعاونة مؤلف هذا الكتاب مدة طويلة - فلئن حلت شخصيته بكلمة واحدة فهي أنه كله : روح . . . والشخصيات ذوات « الأرواح » الحية الفوارة تعمل العمل البدني بأعصابها . وتعمل العمل الذهني بدمها وشرابينها . فإذا ما قبضت على القلم لتكتب وتحلل لي ولك من القراء . قرأت « ثورة » و « صراحة » و « وضوحاً » و « حياة » لأن الكاتب الدموي الروحي الحيوي لا ينتاب أسلوبه الفتور ولا البرود ولا الجمود ، بل تلعب الفاظه أمامك وتتحرك ، فتجمع بين المبنى والمعنى في آن واحد . وكلما اهتزت أمامك الألفاظ والجمل والأساليب والمعاني ، اهتزت معها فحرك الكاتب بروحه المتحركة روحك ، ويبدنه التأثير بدئك ، وبعقله المستشعر عقلك ، فأتممت كتابه وقد بلغت قمة التأثير والاهتزاز . فكان الكتاب هو الإعجاز ! . . .

فما بالكَ والمؤلف « تركى الاصل » وموضوع التأليف بطل الأتراك القوال النعال : مصطفى كمال ؟ !

الموضوع نفسه يتقمص « مصطفى كمال » موضوع ثورة ، ووطنية ، ومغامرة ، واقدام ، وبلاغة ، وأهوال ، ودماء ، ووفاء . . . ثم نجاح ! . . . تلك هي عناصر « اللذة » المتتقلة من قصص ، إلى سياسة ، إلى حرب ، إلى مؤامرات ، إلى اصلاحات ، وقد جمعها كلها كتاب واحد فجاء أروع ما قرأت من كتب هذا العام . . .

وطالما تناقشت أنا وصاحبي في موضوع طريف : أى العتاة الجبارة العالميين الثلاثة أشد عتواً وأكثراً جبروتاً ؟ . . . موسوليني - أم هتلر - أم مصطفى كمال . . . وقد تحتم المناقشة وقد يختلف الرأي ولكن البطل التركى كان دائماً في نهاية الأمر يرفع رايته على هام زميله ويظفر بالاجماع !

ان «موسوليني» زحف وسط دولة من الدرجة الأولى ، لا على جيش خارجي مسلح ، ولا على مؤامرات دولية متحالفة ضده ، وإنما على مجتمع محطم مهشم ، وعلى عمال عبثوا بالدولة فاستطاع أن يظفر بهم بسهولة . ثم ساعدته موارد بلاده وثقاتها ووثرتها على الإصلاح . . .

و «هتلر» برز بين شعب متعلم ، متألم ، ووجد سواعد قوية تشد أزره ، وأمة فتية تحمى ظهره ، وأذهانا جبارة تمونه وتغذيه فنجح . . .

نضال هذين الفحلين نضال هين في الواقع . ولكن نضال البطل التركي كان نضالاً مع الدول بأسرها - فهو نضال ضد جيش وصل الى الصميم من آخر مقاطعات تركيا ، نضال ضد حكومته وخليفته وسلطانته ، نضال ضد مؤامرات ودسائس أهلية ، نضال ضد الفقر والجوع والافلاس والبؤس المقيم ، نضال ضد أصدقائه وأحبابه وضد الدنيا بأسرها في الداخل والخارج . . .

كان مطلوباً اليه أن يكون جندياً يحارب فعلاً في الميدان ، وقائداً يرسم الخطط وينظم الدفاع ثم الهجوم ، ومحصلاً يجمع الاعانات والاكتابات ، وخطيباً يؤثر في النواب والجهالير ، وكاتباً يدعم مبادئه ويراعه ، ودساساً يدفع بالمؤامرات والمناورات خطط السلطنة والخلافة والحكومة ومنافسيه ، وثعلباً يراوغ ويتأمل حتى يظفر ، وثائراً متهماً بعداوة الدين عند البسطاء ، لا داخل المملكة بل في العالم الاسلامي ، وسياسياً يستطيع أن ينتصر في مناورات المؤتمرات : كل ذلك العبء الثقيل المختلف الوزن والنوع كان ملقى على عاتقه في أدق وأخطر مواقف التاريخ . ومع ذلك صبر وجالد حتى ظفر ! . . .

واستطاع زميلي التقدير الاستاذ « محمد محمد توفيق » أن يبرز كل هذه المواهب الرهيبية لا بقلمه وأسلوبه ، وإنما بأعصابه وشرائينه ودمه . فاستطاع أن يلم شمل كل ذلك الدور الحارق للعادة ، الذي قام بها المارد التركي في مدة وجيزة . ثم أخذ يحلل غريزته وسليقته تحليلاً دقيقاً ، وأعمل الصفات المشتركة بينه وبين سائر الناس ، وأبرز الصفات الممتازة التي احتكرها الرجل العجيب : انظر الى بطل الدردنيل كيف استقل برأيه وسط الميدان ووسط النار ، فنفذ خطته على مسؤوليته ، ولم يرجع لأمر القائد الألماني فنجح وسحق الانجليز ! انظر اليه كيف أنه في أوج عزة حكومة الاتحاديين

يعارضهم في الخطط وفي الاتجاه ولا يخشى بأسهم المستفحل ؟ انظر اليه كيف كان لا يخفى على الالمان أنه يراهم مدحورين منهزمين ، وكيف بلغت به الجرأة أن يناقش هندنبرج ولونديروف بل الامبراطور في المصير ؟ ! هذا رجل جبار يحترم عقله وهو رجل فذ يعطى المثل الأعلى « للزعماء » عندما يكونون الرأى مغامرین بحياتهم ، معتمدين فقط على عظمة « قوة اليقين » . .

وانت لا تقرأ في هذا المؤلف الثمين قصص بطولة عسكرية رعاها الله وحياتها وباركها ، وانما تقرأ « جهاد أمة » بأسرها ، وتعجب كيف استطاع الجندي المتفوق أن يكون كاتباً متفوقاً ، وسياسياً متفوقاً ، وخطيباً متفوقاً ، ومصلحاً اجتماعياً متفوقاً ، وكيف استطاعت يد الرجل الحديدية أن تضع أناملها الرقيقة والصلبة والدقيقة على كل هذه النواحي فتبرز الداء ، وتمسح الدواء ، وتضمن الشفاء . . .

وبعد ، ألا ترى أنها معجزة من معجزات القدر أن يهيب الله لمصطفى كمال خلق دولة فنية قوية رهية الجانب غيفة الطلعة من بين أنقاض امبراطورية أفناها العمر ، والعداء الأوربي ، ونخر في عظامها سوس الحكام السابقين . . .

إن الكتاب الذي بين يدي كتاب لذيذ ولكنه يصلح جداً أن يكون مدرسة للزعماء الذين يصدرون حركة البعث والنشور في أوطانهم . فلئن نصحت للاطفال ، والفتيان والفتيات ، والرجال والنساء ، بقراءته مراراً وتكراراً ، فاني أنصح قبلهم « لزعمائنا » بالاستفادة مما جاء فيه . . .

ما أحوج ثقافتنا القومية ، وتربيتنا الوطنية ، ومدارسنا ومعاهدنا المصرية ، إلى مؤلفات من هذا الطراز : تنفث الروح ، وتشجذ الهمم ، وتستفز النفوس ، وتثير السم لتسرى « الرجولة » في أبداننا وأذهاننا في وقت نقول فيه اتنا ننشئ « وطناً جديداً » . . .

اهنيء القراء قبل المؤلف بهذه التحفة الرائعة وارجو أن يكون صديق وزميلي موقفاً مثل هذا التوفيق في اختيار الموضوع في مستقبل حياته الأدبية دائماً ان شاء الله

فكرى اباطه

المحامى

مقدمة المؤلف

ترددت طويلا قبل أن أصدر هذا الكتاب . ولعل السر في ذلك هو أنني رغبت في قراءة كل ما كتب أو روى عن « كمال أتاتورك » قبل أن أطبع صورته التي رسمتها له في أذهان القراء

وأنا في هذا الكتاب شخصيتان متناحرتان : شخصية « الرجل الجامعي » الذي يعتمد على أوثق المراجع والمصادر ويحاول أن يصبها في كتابه صبا ، وشخصية « الصحفي » ، أو « الأديب » ، أو « الفنان » - سمه ما شئت - الذي يروض نفسه على مقاومة النزعة الجامعية بشدة ، ولو أنه يبنى على دراستها كل سطر يخطه في كتابه - حتى يقدم للناس دراسة وافية دقيقة بأسلوب عصري سلس

وليس من شأني في هذا الكتاب أن أسجل أعمال الجمهورية التركية بأسهاب ، فهذا موضوع كتاب آخر سوف أصدره عما قريب . ولكنني هنا « رسام » . . . نعم « رسام » يرسم لوحة فنية لرجل من عظماء التاريخ

ويسرني إذ أستعيد ذكرى دراساتي الطويلة ، أن أقدم فروض الشكر لكل من ساعدوني في انجاز هذا العمل ، وأن أذكر في أول قائمة الشكر سيدة الشكر جلييلة أعترف بفضلها على منذ الساعة التي فكرت فيها في كتابة هذا التاريخ ، وهي سليمة الامارة وذات القلب الكبير العميق بباين شريفة صالح كورخان . ثم لا يفوتني أن أحيي ذكرى المرحوم الحاج عادل بك وزير داخلية تركيا سابقاً ، فقد كان له رحمه الله رحمة واسعة فضل كبير في إرشادي الى أحسن المصادر . وكذلك أشكر شاعر تركيا الأكبر محمد عاكف بك والرجل الكبير رءوف بك الذي تفضل فأضاف الى كتابي بعلوماته القيمة الثمينة ينبوعاً جديداً ، وأفضى إلى بما لم ينشر بعد من أسرار الحركة الوطنية التركية

محمد محمد نوفيس

تصدير

يا له من رجل !

عظام وجه ناتئة . جهة بارزة . حاجبان كثيفان أشعثان . عيان زرقاوان متألقتان كعيني الذئب ، فيهما السحر ، والروعة ، والدهاء ، والقساوة ، والغدر وأعصاب من فولاذ ، وإرادة من حديد ، وروح من نار تارة وأخرى من جليد ، وصوت كالرصاص المصبوب ، ونظر بعيد وقريب متوسط الطول ولكن يخيل اليك أنه جبار مريد . خلق ليسود بالنار والحديد طريقه أشبار وأمتار . وجولاته بيكار يدار لا فرق عنده بين الميلاد والموت : الطفل يولد فيقذف به في خضم الحياة . والرجل يلبس ثياب الحرب فيقذف به في خط النار يجلس الى مكتبه كما يجلس الى خرائطه الحربية . ويسوق قومه الى المدينة كما يسوقهم الى ميادين القتال . وهو في كلتا الحالتين كتلة صماء من الحديد الجليد سيد مذ كان في الجيش فتيا :

حدثني أحد زملائه القدماء قال : « كنا جالسين ذات ليلة في قهوة « يونيون بار » بسلانيك . وكنا نشرب الجعة والعرق وتحدث في شئون الثورة ووجوب خلع عبد الحميد . وكان في القاعة التي نجلس فيها فريق من قواد الجيش وكبار ضباطه . وبيننا نحن في أحاديثنا وأسمارنا ، اذا بالباب يفتح ، وإذا بوجه غامض رهيب يطل علينا ، وإذا بمصطفى كمال يدخل القاعة فتسرى فينا قشعريرة كتلك التي تسري فيك إذ ترى ثعبانا هائلا ينساب من بين أعشاب الغاب . . فصمتنا . . فدنا منا وجلس . ثم شرع يتحدث بصوته الرصاصي . فأرهفنا الآذان . وأقسم لقد أرهف كبار ضباطنا آذانهم أيضا ليسمعوا كلام هذا الشاب الذي يتحدر المنطق من فمه كالرصاص المصبوب » ولست أذكر فيم كان يتحدث . ولكنني أذكر أنني رأيت فيه منذ تلك الساعة الزعيم المنشود ! »

المنطق عنده مطرقة يهوى بها على كل شيء . .
حدثنا هو في مذكراته قال : « كان جمال بك (باشا فيما بعد) قد حرر مقالة
نشرت بدون توقيع في إحدى صحف سلانيك . وكنا قد خرجنا معاً من دائرة عملنا
وركبنا الترام في طريقنا الى نادى « أولمبيوس » . فمد جمال بك يده وناولنى تلك
الصحيفة قائلاً :

— هل قرأت هذه الافتاحية ؟

— كلا . .

— اذن اقرأها . .

« وعندما أتممت قراءتها سألتنى عن رأيى فيها فأجبتته :

— افتتاحية عادية لصحفى عادى . .

« فقال : ما هذا التغايب ؟ انها افتتاحية بقلمى . .

« فأجبتته : أرجو منك الصفع . ما كنت أعلم ذلك . وكنت أتمنى ألا يكون ذلك .
اياكم يا جمال بك والسير فى طريق اكتساب اعجاب بعض صغار الأحلام بأمثال هذا
الأمر وأشباهه ، فانه ليس لهذا العمل قيمة ولا قدر . عليكم أن تعنوا النظر فى
موقفنا الحاضر ، وعليكم أن توافقونى على أنه من الضرورى على المرء أن يتفانى فيما
هو سالكه من المذاهب . أما اذا تنازلتم الى استمداد القوة من رضا هذا وإعجاب
ذاك ، فلا أدرى ماذا تكون حالكم ، وإنما أؤكد لكم ان مستقبلكم لن يقوم على
أساس متين ، لأن أماننا علماً واسعاً لم نصطدم فيه بعد بالحوادث . وفى هذا العالم
كثيرون متشبعون بخيالات لم تنضج بعد . العظة هى ان تسير فى طريقك دون أن
تلتفت الى أحد ، دون أن تلجأ الى اغواء أحد . ضع نصب عينيك الكمال الذى
تطلبه البلاد ، وسدد سهام جهودك نحو الهدف غير هيب ولا وجل . وسوف
يعترض سبيلك أناس يحاولون صدك عن غايتك ، فكن معهم شديد البأس صلب
العزيمة فى موقفك إذذاك ، وذل هذه العقبات وأنت مؤمن بأنك ضعيف ، عاجز ،
صغير ، يأس من معونة أى انسان ، لا على اعتقاد منك بأنك كبير تستطيع اتيان
عظائم الأمور . فاذا قيل لك بعد كل ذلك : أنت عظيم . . فاسخر مما يقولون . . »

عملى . بارد . قبل أن يكون خيالاً متحمساً :

روى عنه أحد ضباط الترك القصة التالية : « كان ذلك وحرب البلقان في إبانها ،
إذ برز كمال الى ميدان القتال ممتطياً جواده ، فرأى زميلاً له يقفز بجواده فوق
المرتفعات قفزاً . . فناداه :

— الى أين ؟

— الى خط النار . .

— لماذا ؟

— لقد صدر الى الأمر بالتوجه في مهمة سرية خطيرة

— هل أنت مجنون ؟

— لماذا ؟

— أتذهب الى خط النار وأنت عالم أنك ميت مائة في المائة ؟

— وماذا عساي أن أفعل . ؟ انه أمر عسكري ، وما على الجندي الا الطاعة

» فصاح مصطفى كمال :

— أنا لا أفهم الاوامر العسكرية التي من هذا الطراز ، ولا أسمع بتلك المهازل

تتل أمأى . .

» ثم عاد مسرعاً الى خيمة القيادة العليا ودخل على القائد وهو لا يكاد يتمالك
نفسه من فرط الغضب ، وبعد بضع دقائق خرج من عنده وقد ألغى (الأمر الجنونى)
على حد تعبيره . . »

كان رجال الاتحاد والترقي لا يطيعونه . ولكنهم - لفرط إعجابهم به - كانوا
يستشيرونه في جلائل الأمور

استمع اليه إذ يحدثك عن علاقته - وهو الضابط الناشئ - بطلعت باشا الصدر
الأعظم :

» ما أنكد حظك يا طلعت باشا . . عندما نعى الى أنه قتل في أزقة برلين برصاصة
شقى من أشقياء الأرم من تأثرت أيما تأثر . . فقد زرت ذات يوم من أيام تربيته في
منصب الصدارة العظمى في ديوان صدارته ، وتجاوزت معه اطراف الحديث في مسألة
حيوية ، وكان هو على اعتقاد بأنه تمكن - بأجوبته الدبلوماسية - من اقناعى بطريقة
التهرب السياسى ، بل انه أظهر اغتباطه بهذه الحادثة عندما تقابل مع أحد اصدقائى

المتصلين بي - وذلك بعد ساعة من مقابلتنا ، غير انه لم يمض على هذه الحادثة يومان حتى وقع في مشكلة سدت عليه منافذ التدبير ، فاستدعاني الى منزله في منتصف الليل ملتسماً ان أمده بالرأى والنصح . وقد كان صديقى الذى نقل إلى اغتباط الصدر الأعظم حاضراً في مجلسه في تلك الليلة . فاكثفت إذ ذاك بقولى :

— انكم تسألونى الآن أن ابدى لكم رأى . ولكنى أرجو المَعذرة إن أنا احجمت عن ذلك ، لاني سبق أن عرضت عليكم رأى الخاص في مسألة حيوية منذ ثلاثة أيام فقط ، قهرتكم سياسياً وظننتم أنكم تمكنتم بهذه الطريقة من اقناعى . . وقد أظهرتم سروركم وقتئذ من هذه النتيجة التى وصلت اليها . .

« فقال لى : لم يحصل ذلك . .

« فأجبت : الشخص الذى افضيت اليه بمكنون قلبكم جالس الآن بجانبكم . . »

آمن الناس بزعامته قبل أن تتاح له الزعامة :

فهذا شاب تركي متحمس يدعى « يعقوب جميل » ، ركب رأسه ذات يوم وعول على الفتك باعضاء الوزارة القائمة « لأن الذين نخسبهم كباراً ظهر أنهم صغار جداً ، وأن سلامة الوطن لتقضى باعدامهم جميعاً . . وسأفعل ذلك ! »

فلما سأله بعض أصدقائه من المعتدلين :

— إن القتل سهل . ولكن من الذى يصلح للحكم بعد ذلك ؟

أجاب :

— مصطفى كمال . . .

ثم راح يسعى إلى الآستانة وفي منطقته المسدس . ولكن قبض عليه وسيق الى جبل المشنقة قبل أن يصل الى مأربه . . .

ولما بلغ نبأ اعدامه مصطفى كمال - وكان اذ ذاك قائداً في منطقة ديار بكر قال :

« لقد شقنى يعقوب جميل . والسبب في ذلك قوله إنه لا سبيل الى النجاة ما لم تسند وزارة الحربية ووكالة القيادة العامة لمصطفى كمال . فلو فرضنا أن هذا الرجل فاز بأمنيته ، وسمعت أنا أن يعقوب جميل شق عصا الطاعة في الآستانة لهذا الغرض ونجح في مسعاه : أكنت تظن انى اتنازل لقبول المنصب ؟ . . نعم انى لا أتردد في قبول الحالة كما هى ، ولكن بشرط : هو الذهاب الى الآستانة وتوقيع الجراء على يعقوب جميل . . فانى

لا اعتبر نفسي رجلاً إن أنا وصلت إلى كرسي الرئاسة بتوصية من ذلك الرجل
وأمثاله !! »

إذا آمن بفساد شيء بتره بتره ولم يعمد إلى إصلاحه
عين ذات مرة في صحبة ولي العهد « وحيد الدين » في زيارته للميدان الغربي .
ولم يكده يدخل عليه لأول مرة ويراه ناعس العينين بادي الغباء حتى قال :
« وأعترف أنني شعرت في الحال بأنني واقف وجهها لوجه مع شخص مجذوب . .
« وخرجنا بعد السلام . وكنا في عربة نخمة من عربات السراي . واذكر أنه
دار بيني وبين ناجي باشا الحديث التالي :

« قلت : إنه لمسكين سيء الحظ جدير بالشفقة . . ما الذي ينتظر من هؤلاء ؟

« هو ما تقول . . .

« سيكون هذا المسكين في الغد سلطاناً . . لماذا ينتظر منه ؟

« لا شيء . . .

« ونحن الذين أوتينا عقلاً وإدراكاً وفهمنا حالة البلاد وما تحبته لها الأيام والأقدار ،

ما الذي نستطيع أن نعمله ؟ . . .

« أمر عسير . . . ! »

يبد أن الأمر لم يكن عسيراً على مصطفى كمال كما سترى في هذا الكتاب

متكبر كالشيطان . ولكن كبرياءه قائمة على اعتداد بالنفس

كان هو ووحيد الدين وناجي باشا في المانيا . وفي ذات ليلة دخل عليهم الامبراطور

الجبار ، ودار بينه وبين وحيد الدين حديث خرج منه الامبراطور بأن مصطفى كمال

أقنع ولي العهد بأن المانيا لا شك منهزمة . . فثارت ثأثرته وقام ليخرج . .

قال مصطفى كمال : « ومشى الامبراطور نحو باب القاعة . فقمنّا نحن ووحيد الدين

نشيعه حتى خارج الباب . وكان الامبراطور يتجه نحو ممر على اليسار . ولما كنت

أدركت أنني لم أنل حظوة في نفس الامبراطور ، فقد وقفت بعيداً من الممر المعكوس .

فصافح الامبراطور ولي العهد ، ثم ناجي باشا الذي كان على مقربة منه ، وبعد أن

نظر إلى سار قليلاً في استقامة الممر

« لم يكن قد صاخبى بعد . وقد كان عفا فيما فعله ، إذ هل من المقول أن يسعى بنفسه إلى جنرال يرافق ولى العهد ليصاخبه ، أم أن على الجنرال أن يتهافت مسرعاً في التقرب من الأمبراطور لينال شرف مصاخبته ؟ واثني اعترف بهذا الخطأ . ولا أدري لماذا وقفت إذ ذاك موقفاً ساكناً ينم على الذهول ! . ولكن الأمبراطور بعد أن خطا خطوتين أو ثلاثاً دنا مني وقال : « عفواً . . لم أصاخبكم بعد ! »

منطقه العسكرية لا يحارى :

في ذات ليلة وقف مع هندنبرج في صالة مجاورة لقاعة الطعام حيث أقام الأمبراطور وليمة لولى العهد . فقال لهندنبرج بصوته الرصاصي المعهود :

« ما سأحدثكم به قد يكون مخالفاً للتقارير التي تصلكم . ولكن يمكنكم أن تعتقدوا أنها الحقيقة بلا مراء . إن الحالة في سوريا لم تصاح بعد (وأخذ يشرح له حقيقة الحال في سوريا) . ثم إن لى سؤالاً يا جناب الماريشال : اتم اليوم تقومون بهجوم عام . ولا أظن انكم على ثقة تامة من النتيجة . والا فهل تخبروننى عن الغاية والهدف اللذين تؤملون في الوصول اليهما ؟ »

فصمت هندنبرج صمت أبى الهول . .

وهنا يقول مصطفى كمال : « ولكن هل يحين هذا الجندى العظيم المحترم عن هذا السؤال ؟ أما كان الأحرى ألا أتنظر ذلك منه ؟

« وقد أظهر الماريشال أنه مصغ لأقوالى بانتباه شديد . . ثم أجابنى إجابة بسيطة تطفح بروح المرح . . فقد تقدم إلى منضدة صغيرة في وسط الصالة عليها أنواع شتى من لفائف التبغ ، فتناول إحداها قائلاً :

« هل أستطيع أن أقدم لكم لفافة من هذه يا صاحب السعادة ؟

« كان الماريشال بهذه الجملة قد أجاب عن كل سؤال . فتقدمنا إلى المنضدة حيث قدم لى بيده لفافة من اللفافات . ويظهر أن الأمبراطور كان مهتماً بما كان دائراً بيننا من الحديث ، فسأل الماريشال بالألمانية : « ماذا يقول ؟ »

« فأجاب هندنبرج : بعض أشياء . . . »

فاذا ما انقضت سنوات الحرب العظمى وجلس هندنبرج إلى مذكراته يكتبها ، قال في معرض الكلام عن الهجوم الذى سأل عنه مصطفى كمال : إنه كان هجوماً موضعياً

لا يرجى منه خير إلا تحريك فرق الجيش والتغلب على السام واليأس الذى أصابها
من جراء المقام الطويل فى عالم الخنادق ! !
وقد نسى الماريشال العظيم ان يذكر كلاً فى مذكراته . . .

اغتر العالم كله بكلام ويلسون المعسول . اما هو فقد ابتسم له ساخراً عندما
تراجع بجيشه من الجبهة السورية وخط حدود بلاده امام الانجليز بعد سيفه
اسمه يقول عن ويلسون إذ ذاك :
« رحماك يا ويلسون . . . كأنك لم تدرك أن الحدود التى لا يدافع عنها السيف
او القوة او الشرف او العزة ، لا يمكن الدفاع عنها بأية نظرية اخرى ! »

اليأس يتخذ سبيله إلى قلوب الناس . اما هو فهيهات ان يقنط !
كان فى ابان حرب الاستقلال مقبلاً وحده فى انقرة . . . فقد ذهب نواب المجلس
الوطنى الكبير إلى استامبول رغم نصائحه المتكررة بعدم مغادرة انقرة . واحتل الانجليز
العاصمة . وألف الخليفة جيشاً عرمرماً للقضاء على الحركة الوطنية . وصدرت فتوى
تعتبر كلاً مارقاً وتبيح دمه . . .
فى تلك الايام السود دخل عليه موكب أسود من نساء انقرة . . .
وهتفت النساء مولولات :

« ماذا تصنع هنا ايها الرجل الذى يمثل لنا عزرائيل على وجه البسيطة ؟ هل
مازلت مصمماً على الحرب لتدفع بأبنائنا وأفلاذ اكبادنا إلى الموت ؟ ! ألم يكفنا هذا
السواد الذى نلبسه ، فتحاول ان تقلب بلادنا مآتماً أو مناحة ؟ كفى كفى . . . واذهب
إلى حيث يطيب لك المقام . . . اما هنا فقد سئمنا الحرب وسئمنا المآتم . . .
وخرج الموكب الاسود مولولاً صائحاً . . . وبقي الذئب الزعيم وحده . . .
فهل أصاخ السمع إلى ولولة الامهات الثكالات ؟
كلا . . . انه ظل يتحدى التقدر ويغالب القنوط ، حتى ظفر !

صارم الى أقصى حدود الصرامة :
أخطأ احد الوزراء فى حضرته مرة واحدة ، فصاح فى وجهه : « وأسفاه ! »

كنت احسبك إنساناً ، اما الآن فقد سقطت من نظري كانسان ،
ومنذ تلك الساعة اقصى الوزير عن مناصب الدولة

خطوط سبعة تطلعننا على حقيقته :

فالخط الأول يبدأ حيث تستعر نار الحروب ، ثم يمتد في عالم السياسة والاقتصاد
الى مدى الأفق البعيد

والخط الثانى يبدأ حيث تبدأ حدود تركيا ، وينتهى الى حدودها الأخرى ،
فهو « تركى » ، وتركى وحسب

والخط الثالث يبدأ حيث يظهر عجز الشرق عن التمشي مع المدنية الغربية القائمة
على حق القوة والسلاح ، وينتهى الى أرقى ما أبدع العقل الغربى من اختراعات
وخطط جهنمية وغير جهنمية

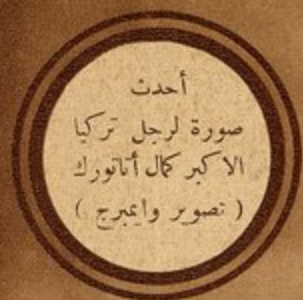
والخط الرابع يبدأ حيث ترين التقاليد العتيقة على الحركات القومية ، وينتهى
الى المدنية التى تتجدد وتلبس لكل يوم لبوسه

والخط الخامس يبدأ حيث الديمقراطية الصحيحة ، ولا ينتهى الى الدكتاتورية
بل يتراوح بين الديمقراطية « ودكتاتورية الفكرة » أو « دكتاتورية الشخصية »
والخط السادس هو خط الحذر ، والتوجس والحساب الدقيق ، وتحين الفرصة
المواتية للقيام بأى عمل من الأعمال

والخط السابع قد يبتعد بكمال فى عرف الكثيرين عن عالم التقى والورع ،
ولكن هذا الابتعاد ، فى رأى ، ساهم الى حد كبير فى تكوين شخصيته الكبيرة ،
فدنيا القرن العشرين ليست دنيا الأخلاق الفاضلة وحسب ، بل دنيا الأخلاق غير
الفاضلة أيضا . . . ولو أن كالا كان « فاضلا » و « ورعا » و « تقيا » لأصبح فى
نظر الأتراك « ولياً » من أولياء الله الصالحين ، ولما استطاع ان يسوق شعبه فى « دنيا
القرن العشرين » بخيرها وشرها

وبعد . .

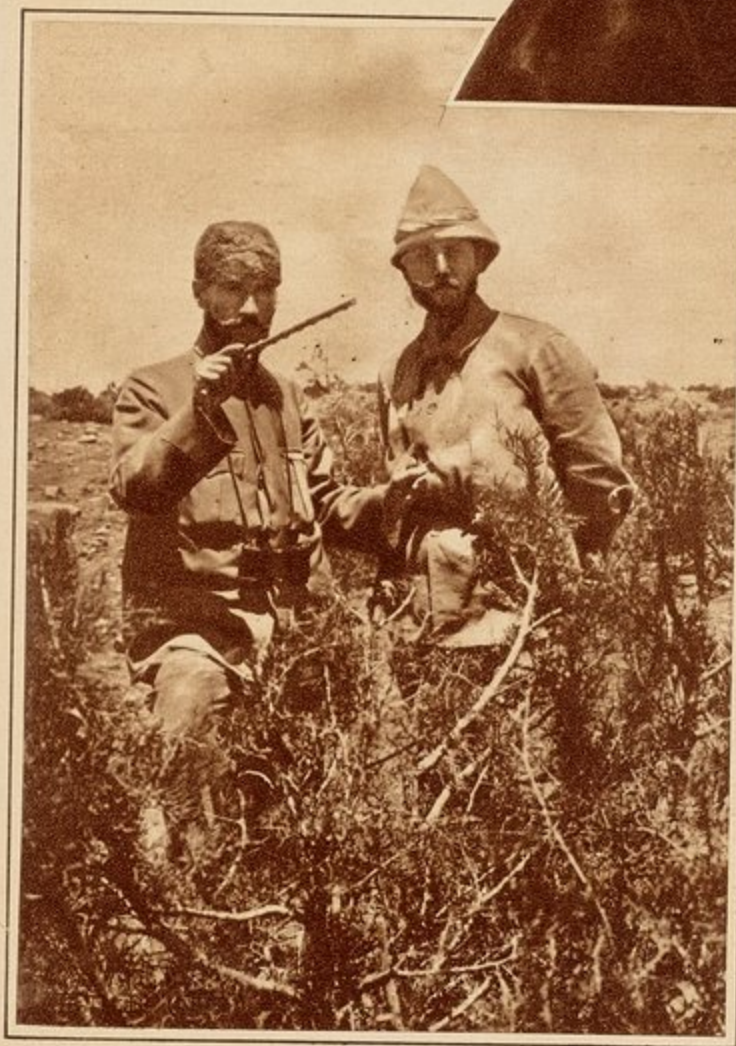
هاكم « كالا اتاتورك » كما اعرفه ، وعلى ضوء هذه الخطوط انصح لقرائى ان
يدرسوا حياة هذا الرجل الكبير



أمومة... وشباب..



« زیده » ام کمال
اتاتورک، والمرأة الوحيدة
التي كانت حياتها الحيط
الوحيد الذي يربط كمالا
بالبشر وعواطف البشر
(تصوير وايمبرج)



صورة تاريخية نادرة لمصطفى كمال ابان حرب طرابلس ، وتراه وقد طالت
لحيته واغلب ذنباً من ذئاب الصحراء (تصوير وايمبرج)



صورة لعلها أغرب صور كمال أتاتورك ، وتراه فيها بملابس تركية قديمة في إحدى
الحفلات التذكارية التي دعى إليها وهو ملحق عسكري بسفارة تركيا في صوفيا
(تصوير وايمبرج) .

بطل الحرب العظمى



الذئب واقف على راية مشرفة على معركة الدردنيل ، ولعلك
توافقني على أنه هنا « بشر فوق البشر » (تصوير وايمبرج)

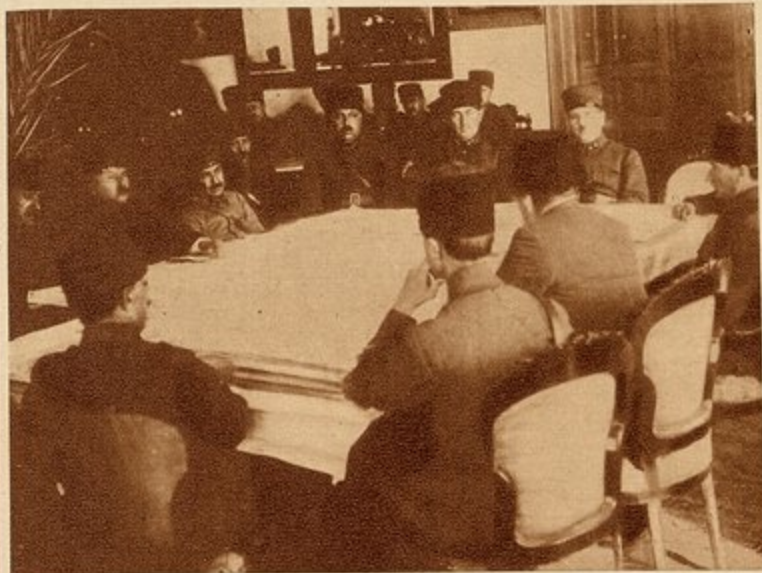


توعدا الحرب والسياسة:
كمال اتاتورك وعصمت
اينونو في جبهة القوقاز
(تصوير وايمبرج)



هذه كمية سيطة من مجاهدين
الانجليز والاستراليين
الذين قتلوا في معركة
الدردنيل وضعت هكذا
لكثرتها .. وهي لاتزال
هكذا إلى الآن . .
(تصوير وايمبرج)

بطل حرب الاستقلال



أول مجلس عسكري عقد
في أزمير برئاسة مصطفى
كمال عقب طرد اليونان
منها مباشرة . . .
(تصوير وايمبرج)

ذئب انقره هو وزوجته
لطيفة هانم وأركان حربيه
في معركة « دملوبونار »
(تصوير وايمبرج)





الصورة الزميلة التي تمثل مصطفى
كمال هو زوجته لطيفة هانم في
وضع هو أقرب ما يكونه الى
أوضاع صور العرس ..
(تصوير وايمبرج)

ذئب انقره وامضاءه..



هنا يتجلى الذئب بوجهه
الضامر وعينه المتألفتين ..
وترى تحت رسمه توقعات
اعظم رجال تركيا ، وبينها
توقيع كمال نفسه ، وذلك
بمناسبة عيد الجمهورية الاول
(تصوير وايمرج)

توقيع تاريخي نادر للغازي
مصطفى كمال بالحروف العربية
(تصوير وايمرج)

جلة بخط كمال اتاتورك
وتحتها توقعه ، وقد
كتبها بالحروف اللاتينية
الجديدة
(تصوير وايمرج)

Cumhuriyetin 10.uncu yilinda

Kurtuluş ve inkılabımızın ilk
10. yıldönümünde « Halkın Hakkı »
Fazlî M. Kemal



رءوس
عارية، وبالقلب ، والقبعة ..
(تصوير وايمرج)

في عهد الانتداب
الأممية المفترضة...
محكمة مختلطة تركية يهودية
فيضا القاضى الفرنجى
والقاضى الشرعى
والقاضى الملبش...
(تصوير وإيجاز)



مع أتاتورك في منزله الخاص



كان يشرب القهوة ويدخن في
ساعة من ساعات الفراغ ، وإذا
يبدّ تمدد اليه بأمر من أمور
الدولة الخطرة ...
(تصوير وإيجرج)

منظر عام لمكتب كمال اتاتورك
في منزله باغرة ، وترى الائنات
مصنوعا على الطراز العربي الجميل
(تصوير وإيجرج)



« كمال اتاتورك ، يشرب القهوة في مجلس
هائنة بمنزلة المشرف على القبة . .
(تصوير وإخراج)

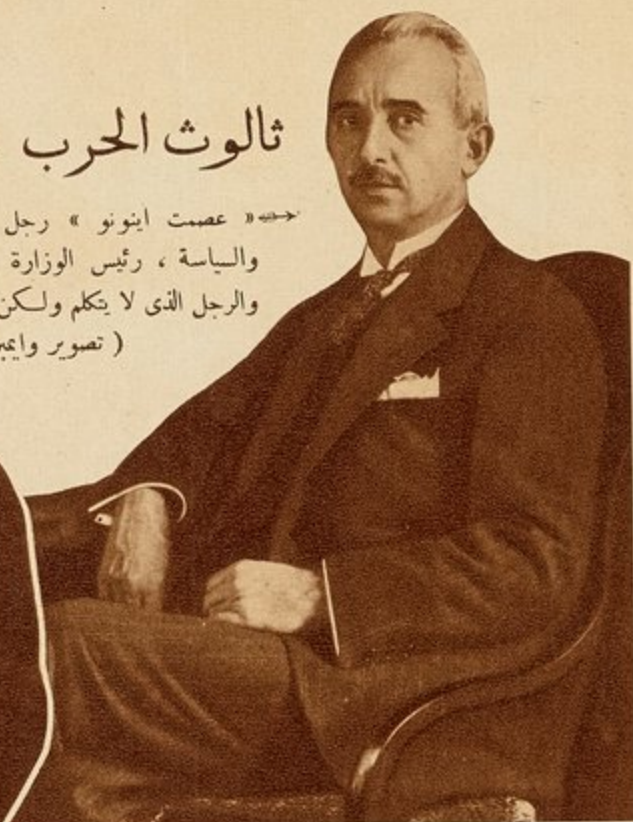




كمال اتانورك يتناول طعامه على مائدة غاية في البساطة . .
(تصوير وايعرج)

ثالث الحرب والسياسة

«عصمت اينونو» رجل الحرب
والسياسة ، رئيس الوزارة التركية ،
والرجل الذي لا يتكلم ولكن يعمل ..
(تصوير وايمبرج)



« رشدي آراسى » وزير الخارجية ، وداهية السياسة
(تصوير وايمبرج)

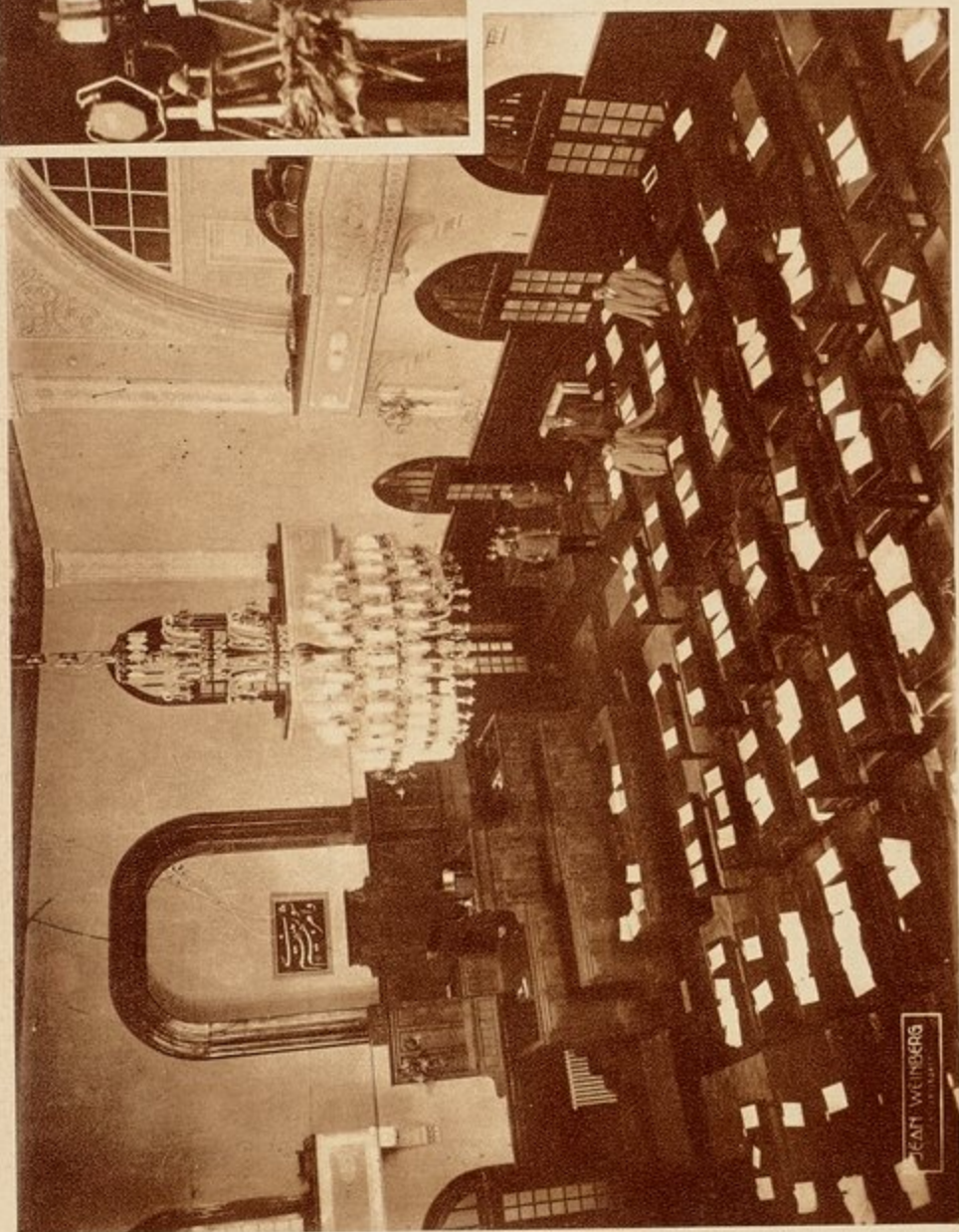


« فوزي » رئيس اركان حرب الجيش
التركي ، والرجل الذي يعرف ارض بلاده
شبراً شبراً . . . (تصوير وايمبرج)



أول وزارة تركية في عهد الجمهورية ووسطه الوزراء
 كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية (تصوير واحد)

المجلس الوطني الكبير
في القبة . ورى في
أعلى الصورة منظر
مطابيا رائعا لجمال
الأتورك
(تصوير وإخراج)



JÉAN WEINBERG



كال أتاتورك باستقبال
 شاه العثم رضا شاه
 برهاني ، وزى على
 وجهى الرجلين
 انقسامه الود والمحبة
 (تصوير وايجرج)



الذئب أمام السبورة
 وزاه يكتب الحروف
 الجديدة ويعلمها
 للجهلاء به انه التحول
 من الحروف العربية
 الى الحروف اللاتينية
 (تصوير وايجرج)

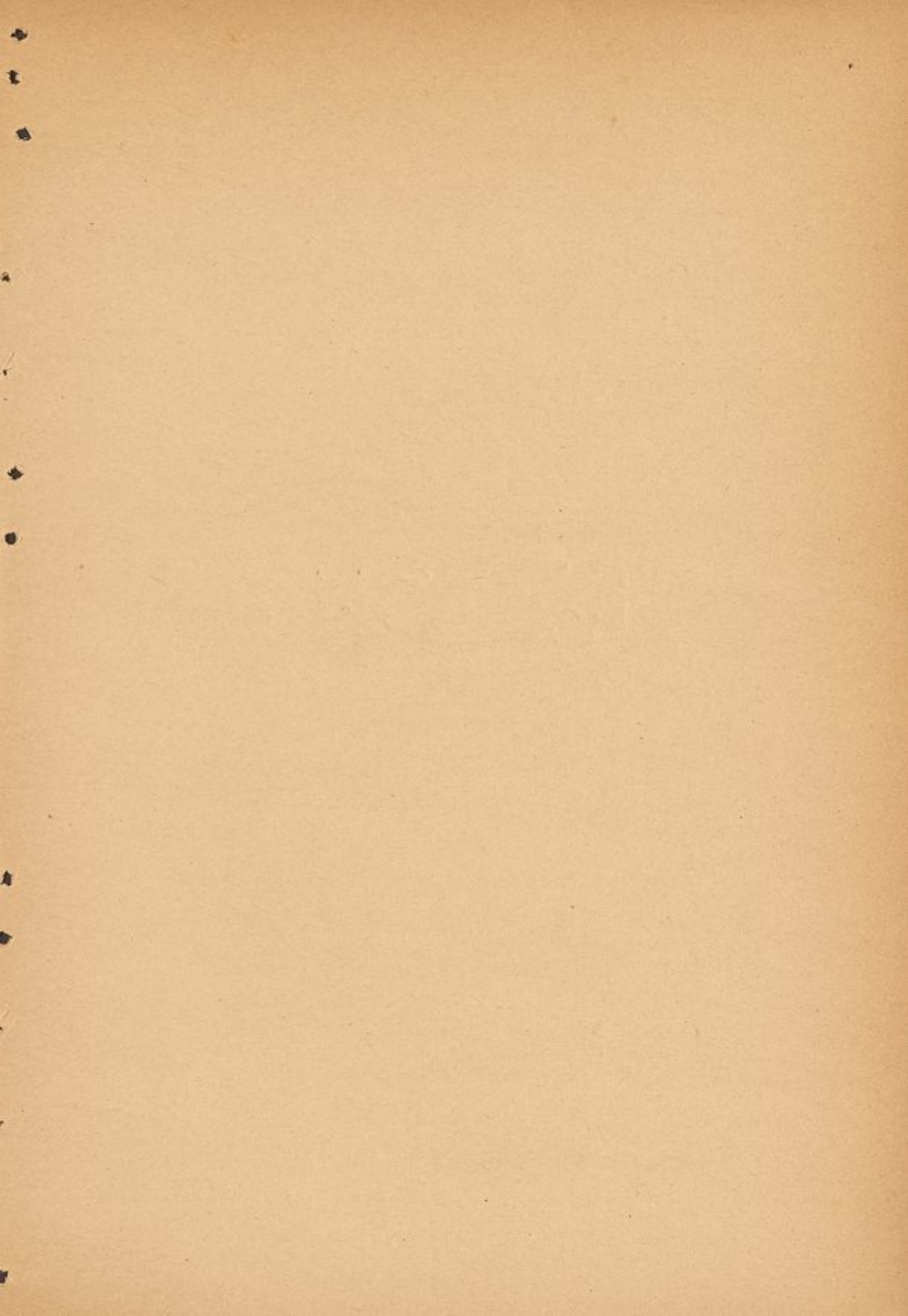
الكتاب الاول

سلطنة تنهار

« إنه ضابط بارع . . . إنه زعيم ! »

ليمان فوره ساندرسي

سنة ١٩١٥



طفل متهم

سلانيك في سنة ١٨٨٠

على رضا أفندي رجل رقيق الحال يقوم بعمل كتابي صغير في الجمر
وزوجته « زبيدة » تمثل المرأة التركية إذ ذاك أصدق تمثيل ، فهي لا تعرف من
العالم الا منزلها وطفلها الصغير « مصطفى » ، ولا تعرف من شئون السياسة والحكم
الا أن الخليفة هو ظل الله في الأرض ، وان له قوة سبعة من الأولياء !
وتر السنون ، ويشب مصطفى عن الطوق ، فيلحقه أبوه بمدرسة صغيرة ملحقة
بمسجد سلانيك ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، ثم يلحقه بمدرسة أخرى كان يديرها
أحد الشيوخ ليحفظ القرآن ويتخرج فيها مقرئاً من مشاهير المقرئين !
وبعد بضع سنوات يترك على رضا أفندي وظيفته في الجمر ويشغل بالتجارة ،
فتسوء حاله ويوشك على الافلاس ، ولا يحتمل جسده المضى تلك الصدمة القاسية
فيموت قبل أوانه ، وتنتقل أرملته بعده الى قرية بجوار سلانيك
وهناك فوق نجاد القرية ووهادها يقضى مصطفى جانباً من طفولته في اللعب واللهو
ورعى الغنم ، ويكاد يصبح هملاً بين الشبان ، لولا أن ترأف خالته بحاله فتأخذ على
عاتقها أمر تعليمه وترسله الى مدرسة في سلانيك
ويسأ مصطفى دروسه ويحن الى رعى الغنم في القرية ، فيفر من عصا الشيخ
التي لا ترحم ، ويعود الى أمه وخالته وقد صمم على نبذ المدرسة ، إلا أن تكون
مدرسة حرية !

وبعد لأي تنقاد أمه لعناده ، ويوفده أحد ذوى قرباه الى المدرسة الحربية بسلانيك
ولا يكاد مصطفى يلبس الملابس العسكرية حتى يتقمصه روح جديد : روح
الجندي الذي يهوى الصدام ويحده مثله الأعلى في خوض غمار الحروب والموت تحت
ظلال السيوف . ويحبه أساتذته لذكائه وتفوقه على أقرانه في الفنون العسكرية والعلوم
الرياضية ، ويذيعون عنه تفوقه هذا فيشار اليه بالبنان كلما مر في طرقات سلانيك ،
حتى لقد روى المؤرخ « شليكين » * عن صديقه توفيق بك انه قال : « كنت أسير
مع أبي في طرقات المدينة ، فاذا رأينا مصطفى كمال أشار اليه أبي وقال لي : أترى هذا

* M. J. Schliklin في كتابه : "Angora : L'Aube de la Turquie Nouvelle"

الفتى ؟ سيكون له شأن أى شأن فى بلادنا العثمانية . . .

وفى السابعة عشرة من عمره يتم مصطفى كمال دراسته فى مدرسة سلانيك ، فيلحق بمدرسة أرقى منها فى موناستير ، وهناك يتجلى نبوغه فى أروع مظاهره ، فاذا أقبلت العطلة الصيفية يعود الى سلانيك حيث يعكف على دراسة الآداب الفرنسية ، ويقرأ لفولتير وجان جاك روسو وفكتور هوجو وغيرهم من أئمة الكتاب ، ويحرر المقالات الحماسية وينظم القصائد النارية فى الحرية والعدالة والمساواة ووجوب التحرر من نير الأجانب وعسف الخليفة عبد الحميد

ثم توفده ادارة المدرسة الى استامبول ليلتحق بمدرستها الحرية العليا ، وتذكره فى تقريرها عنه بالخير وتتدح صلابه عوده وعبقريته . فيذهب الى استامبول حيث يتم دراسته العليا فى سنة ١٩٠٥ . ثم يلتحق بمدرسة أركان الحرب ليتخرج فيها ضابطاً كبيراً

ليسقط عبد الحميد !

ثلاثة أعوام بقيت للطاغية عبد الحميد . . .

الضباط الملحقون بمدرسة اركان الحرب ساخطون متدمرون ، والثورة يوشك أن يندلع لهيبها . . .

ضباط مدرسة اركان الحرب يجتمعون ذات يوم ويقررون تأليف جمعية ثورية تدعى « جمعية الوطن » . ويكون مصطفى كمال على رأس هؤلاء الثائرين

وتعمل الجمعية فى الخفاء بضعة اسابيع حتى يكتشف الجواسيس أمرها ويرفعوا به تقريراً مسبباً إلى عبد الحميد . فتثور ثأثرته ويقول : « حتى الضباط الذين غمرتهم بفضلى واحساني . . . » ثم يصدر أمره بتشتيت أعضاء الجمعية ، فيذهب اسماعيل حقي باشا مدير الادارة العسكرية إلى المدرسة ويحاول عبثاً أن يتهم أحداً دون غيره بالتآمر على نظام الدولة ، فهم جميعاً أعضاء فى الجمعية الثورية دون أن يثبت عليهم شيء . وأخيراً يصدر أمره إلى مدير المدرسة بالعمل على القضاء على تلك الجمعية الخطرة . .

ولكن هل يقف الامر عند هذا الحد ؟

كلا ! فان الاعضاء يعقدون اجتماعاتهم في الخارج ، ومصطفى كمال يدير تلك الاجتماعات بدقة تبرهن على تضلعه في الحركات الثورية والعمل من خلف الستار . أما في أوقات الفراغ فهو يحرر صحيفة الجمعية بقلم من نار . .

وأخيراً يضيق عبد الحميد ذرعاً بضباطه المتمردين ، فيصدر أمره بالقبض عليهم في حالة التلبس بالجريمة ، وسرعان ما يدهم الجنود مقر الجمعية ويحملون أعضاءها - وفي مقدمتهم مصطفى كمال - إلى السجن حيث يظلون بضعة أسابيع ثم يأمر السلطان بالإفراج عنهم وتشريدهم في مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية ، فتكون دمشق من نصيب مصطفى كمال

وهناك يؤسس مصطفى كمال فرعاً لجمعية الوطن فينضم اليه عدد كبير من ضباط سوريا ، ويعمل الجميع سراً على خلع الطاغية عبد الحميد ولما تهمز الاسلاك البرقية باشتداد ساعد الثورة التي كان يدبرها رجال الاتحاد والترقي في سلانيك ، وبقرب زوال شبح الخليفة المستبد ، يصمم مصطفى كمال على اللحاق باخوانه في الجهاد ، فيحرق القوانين العسكرية ، ويغادر دمشق خفية وقد تزيا زى أحد التجار ، ويعود إلى سلانيك عن طريق مصر فاليونان

ولكن أتى له التخي وجواسيس الخليفة في كل مكان ! وهل تغفل عنه عيون السلطان وهو أخطر متآمر في جمعية الوطن ؟ هيات . . فان الجواسيس يكتشفون فراره من دمشق فيرفعون تقاريرهم بذلك إلى الباب العالي ، فيصدر الأمر من الخليفة بالقبض على هذا الضابط المتمرّد « الذي خرق النظم العسكرية بطيشه وغروره ... » ولولا أن صديقاً له ينذره بالخطر قبل وقوعه لكان يظل في غيابة السجن حتى ينجاب عهد الظلم ويخلع عبد الحميد . فيأدر بالسفر إلى اثينا ، ثم يعبر البحر إلى يافا حيث يهربه حاكمها من السفينة كما تهرب المنوعات ، ثم يبرق الى الباب العالي زاعماً أن مصطفى كمال لم يغادر دمشق ، وأنه يؤدي واجبه كأحسن ما يفعل الجندي الساهر على تنفيذ إرادة ظل الله في الارض . . .

ويقوم مصطفى كمال في دمشق زهاء عام يقضيه في تأديب الدروز وتدخين النارجيلة في قهوة صغيرة من قهوات دمشق . وان الذي يراه ليلس فيه تلك الثورة النفسية التي كانت تجيش في قلوب الملايين من رعايا عبد الحميد ولما تحسن التقارير التي يرسلها الجواسيس عنه إلى المابين ، يقتنع الخليفة بان

الضابط المتمرد عاد الى رشده واقلع عن أفكاره الجهنمية . ويسعى اصدقاؤه بدورهم في نقله ما وسعهم ذلك ، فيصدر الامر أخيراً بنقله إلى سلانيك . . إلى قلب الثورة ..
برتبة (صاغ قول اغاسى)

لتحيى الحرية !

هذا النقل أمنية مصطفى كمال الكبرى التى طالما سعى في تحقيقها ، فهو يحقق لآماله ، باعث أحلامه من عالم الخيال الى عالم الحقيقة . فيسافر الى سلانيك حيث يقيم في منزل كبير ورثته والدته عن زوجها الثانى

سلانيك زاخرة بالضباط والجنود الثائرين . بيد أن هذه الثورة لا تزال مودعة في قالب من الرصانة التركية خشية جواسيس المابين . وقد اتخذ أعضاء جمعية الاتحاد والترقى هذه المدينة مركزاً لثورتهم ، فالسائر في أزقتها وطرقاتها يرى نفرأ من أبرع المتآمرين وأخصهم قريحة وأوفرهم حيلة

ولما كانت الجمعية قائمة على نظم مشيلاتها من الجمعيات السرية ، فهى تفصر أسرارها على أقدم الأعضاء ممن برعوا فى التآمر . أما مصطفى كمال وغيره من الضباط فلا يصلون الى (قدس أقداسها) بل يظلون فى فنائها الخارجى

فهل يقنع مصطفى كمال من الجمعية بنصيب (النفر) المجاهد ؟
كلا . . لقد جبل على أن يكون رئيساً ، فإذا قدر له أن يكون مرءوساً فليأسه من يفوقونه ذكاء وحمية . . أما أنور ، وطلعت ، وجمال ، ونيازى وغيرهم فليسوا أهلاً للرئاسة فى نظره . . .

وها هو ذا يجلس فى قهوة (يونيون بار) بسلانيك فيسمع نقاشاً بين الضباط موضوعه الزعامة ، ثم يرشحون لهذه الزعامة جمالا الذى لا يعترف هو بتفوقه بل يرى فيه رجلاً أجوف يحاول أن يصبغ تصرفاته بصبغة العظمة الكاذبة فلا يفلح ، فيقول : « انهم لا يرون الرجل العظيم . . وإن رجلاً يرى أن فلاح بلاده متوقف على جهوده ، ثم يبحث عن القدوة ليتشبه بها مؤمناً بأن نجاة البلاد لا تتم الا بهذا التقليد ، هيات أن يكون رجلاً فى نظرى . . . »

على أن عدم تقديره للقائمين بأمر الثورة لا يحول دون العمل على اذكاء نارها ..

فالثورة في صالح بلاده . والحرية لا تنال إلا بالدماء . لذلك نراه يواظب على حضور الجلسات العامة ، كما يعقد جلسات خاصة في منزل والدته التي تحبه وتخشاها : تحبه لأنه وحيدها ، وتخشاها لأنه ضابط لا يصيخ الى نصائح أمه الذهبية . . .

— مابالك يا بني تعرض للخليفة بسوء .. ألا تعرف أن له قوة سبعة من الأولياء ؟ فيجيبها مصطفى كمال :

— ان الرجل الذي تعتقدين فيه قوة سبعة من الأولياء لا يملك من القوة شيئاً . ونحن نجتمع هنا لننقذ الوطن من ظلم الظالمين ، وأنت يا أماء لا يصل إدراكك الى مثل هذه الامور . فهل يا ترى تسين ابنك عندما تحاولين الاتصال بالأولياء السبعة ؟ موقف غريب ! . . .

فهذه الأم أصاغت السمع في ليلة ليلاء ، فسمعت ابنها وإخوانه من الضباط يتهايمسون ويتآمرون على خليفة المسلمين . . . وهي — لفرط حبا لابنها — تنصحه بالعدول عن هذا التآمر . . . وهو — لفرط يقظته وتوجهه — يخشى أن تفضح أمه أسرار الجمعية لفرط سذاجتها وإيمانها بقوة السبعة الأولياء . . . وأخيراً تنتهد أمه وتقول :

— انكم يا ولدى لا تلتمسون الحيلة لأنفسكم . . . ثم تمر الأشهر سراعاً . . . وتتعاون القوى الوطنية على القضاء على عهد الاستبداد وفي ٢٤ ابريل سنة ١٩٠٨ يخلع عبد الحميد ويجلس بعده على عرش الخلافة السلطان محمد الخامس

خيبة الامل . . .

قضى على الطاغية . وأعلن الدستور . وهتف العثمانيون : « لتحي الحرية ! » واستولى الثائرون على مقاليد الحكم

ووقف الذين حملوهم على الاعناق ينتظرون . . فطال انتظارهم . . ولم يروا إلا سلسلة من النكبات بدأت بثورة الابانيين ، واضطرار الخليفة الى التوقيع على الاتفاق النمساوي التركي . وبه اعترف بضم البوسنة والمهرسك إلى تركيا في مقابل سنجق نوفا بازار وتعويض مالي لا يكاد يذكر ، واعلان فردينند ملك بلغاريا

استقلاله التام ، ومطالبة جزيرة كريد بالانضمام الى اليونان ..
حكومة الاتحاد والترقي تفاجئها الحادثات فترتبك . والساخطون عليها لا يرحمون .
يقولون : « ألهذا خلعنا عبد الحميد ؟ » فيقول أنصارها : « أليس عبد الحميد مسئولاً
عن تلك التركة المثقلة التي ورثناها عنه ؟ »
أما مصطفى كمال في مقدمة الساخطين الناعين عبد آل عثمان . ونقده يهوى على
الحكومة كالمطارق . . والحكومة مضطرة - ازاء ذلك - إلى نقله الى مقدونيا
حيث الحقته بالفرقة الثالثة

وهناك ينسى مصطفى كمال كل شيء إلا الواجب ، فراه عاكفا على جنوده يدرهمهم
ويبث فيهم روح النبالة والتضحية ، وعلى كتبه الحرية يستخلص منها أحدث فنون
الحرب

وفي سنة ١٩١٠ توفده الحكومة إلى فرنسا في بعثة عسكرية برئاسة على رضا باشا
لتثيل تركيا في المناورات الحرية السنوية في (بيكاردي) ، فيرى الجيوش الاوربية
الحديثة لأول مرة ، ويقف - مع زملائه الملحقين العسكريين بالسفارات الاجنبية -
ليعرض الفرق . ويتناقش الملحقون في خطط الغداة : فيجمعون أمرهم على أن العدو
سيكون غدا في المكان الفلاني . . فيعارضهم مصطفى كمال ويعين للعدو مكانا آخر . .
وكم تكون دهشة الجميع عندما تصدق فراسته هو وينحيون !

ويتهز فرصة وجوده بالقرب من باريس فيزور مدينة النور زيارة قصيرة ينهل
فيها من مسرات العاصمة ويعب عباً

ثم يعود إلى تركيا فيجد قراراً من وزارة الحرية بتعيينه مديراً للمدرسة الحرية
في سلايك ، فيأخذ على عاتقه أمر تنظيمها ، وتتجلى قدرته التعليمية في أروع مظاهرها ،
ويعاوده سخطه على حكومة الاتحاد والترقي فيبث في طلبته روح الثورة عليهم :
فهم يسوقون الوطن الى الدمار ، ويبيعون التراث الذي اغتصبوه من عبد الحميد بيعاً
بخساً ، ويغنون الهام للنفوذ الالماني ليتغلغل في صميم القومية التركية : في الجيش ،
وفي السياسة . . .

ويشعر الصدر الاعظم محمود شوكت باشا بخطر هذا التأثير المتمرد ، فيبعده من
المدرسة الحرية ويعينه قائداً للاورطة الثامنة والعشرين المشاة في سلايك . . وهنا
يترك مصطفى كمال الطلبة ويبث روح التمرد في الجنود . . فتثور نائرة وزارة الحرية ،

ويطالب وزير الحرية بفصل مصطفى كمال وعما كفته أمام المحكمة العسكرية . . ولكن
أنى له ذلك وليس ثمة دليل واحد على اداته !

لا . . الافضل نقله إلى وزارة الحرية في استامبول: ففيها يجد القائد الثائر نفسه
أمام آلاف مؤلفة من الاتحاديين انصار الحكومة ، وفي هذا المحيط يعجز عن نشر
مبادئه الثورية

وفي وزارة الحرية يرى مصطفى كمال عجباً : فالاتحاديون يستخدمون الخبراء
الالمان بكثرة مخيفة . والالمان مهيمنون على وزارة الحرب . وفي كل يوم تستقدم
طائفة منهم . .

مصطفى كمال لا يقبل هذا بحال . . فهو يرى أن تركيا للاتراك ، وان كان لابد من
استقدام الخبراء الالمان ، فليكن استخدامهم في المصالح الحكومية الاخرى لافي وزارة
الحرب ، ورئاسة اركان الحرب !

ها نحن أولاء نراه كالبركان الثائر . ولكن من ذا الذي يعبأ بأقواله وكل شيء
في يد الاتحاديين ؟

انه يجد طائفة من الضباط الساخطين على الالمان مثله . ولكن لعنة الله عليهم
فهم يكتفون بالنقد همساً فإذا وجب اعلان الرأي ، مجدوا أولى الامر ورفعوا من
شأنهم . . .

البدار البدار الى طرابلس !

٢٦ سبتمبر سنة ١٩١١

أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا . .

الحليفة ورجال حكومته يعجبون ، ويتساءلون : لماذا تعلن إيطاليا الحرب علينا ؟
ألم يصرح وزير خارجيتها في ٩ يونيو الماضي بأن حكومته تعمل على سلامة الأملاك
العثمانية في افريقيا ؟ ألم يزر ولي عهد الخلافة مدينة روما فترحب به الحكومة
الايطالية أجمل ترحيب ؟ ألم تقف إيطاليا موقف المحايدين ابان الثورة الألبانية ؟
ما السبب إذا ؟ !

لو أننا كنا نعيش في ذلك الوقت لقلنا بلسان عصرنا الحاضر : ليس هناك سبب إلا الطمع الأشعي . ففرنسا احتلت تونس والجزائر ، وإيطاليا تريد أن تحتل طرابلس . . وما دامت الامبراطورية العثمانية مفككة الأوصال فويل للضعيف !

الاسلام يستنفر المجاهدين للحرب . .
أنور يسبق المجاهدين الى طرابلس

فتحى بك الملحق العسكرى فى باريس يعبر البحر الأبيض على مركب للصيد ومصطفى كمال يخرق الأناضول ، فسوريا ، فمصر - وهنا تحاول أنجلترا منعه ومنع جميع المجاهدين من اللحاق باخوانهم فى طرابلس ، ولكن الحديو السابق يفسد عليها خطتها ويهرب مصطفى كمال وزملاءه الى الحدود الغربية على خيول مطهمة ، وهناك تصدر الأوامر السرية الى ضباط الحدود بالسماح لهم بالمرور

وفى صباح ذات يوم يدخل مصطفى كمال خيمة القيادة العليا فى عين المنصور ، فيقوم له أنور ويصافه بحرارة ، ويقول ان العداوة الشخصية شئ والجهاد شئ آخر ، وأنه - رغم كل شئ - معجب به وبكفاءته الممتازة ، ولذلك سيعينه قائداً للفرقة المواجهة لدرنة

الله على تلك الأيام الغراء وعلى مثلها العليا فى الجهاد والتضحية !
جيش من العرب مفتقر الى المؤونة والسلاح ، وعلى رأسه نفر من الضباط الأتراك يساعدهم السنوسى الكبير الذى دوح الفرنسيين وها هو ذا يدوخ الايطاليين ، هذا الجيش يقاوم ايطاليا ذات الأسطول والعدد العديد والسلاح الذى لا ينفد والأمداد التى كانت تصل من ايطاليا بدون انقطاع . . عاماً كاملاً دون أن يتيح لها شبراً واحداً من الأرض !

والأسطول الايطالى رابض على الساحل والعاكر الايطالية معسكرة فى الحنادق تحت ظلال الأسطول . ومع ذلك فالعرب والأتراك يكرون عليهم المرة تلو الأخرى فيزولون الأرض تحت أقدامهم فيفرون . .

ولكن القدر الساخر يأبى إلا أن يمنح ايطاليا نصراً ساخراً ، فقد اندلع لهيب الثورة فى البلقان بفعل فاعل فى اكتوبر سنة ١٩١٢ فتخلت الحكومة العثمانية عن طرابلس وبرقة لتتخذ نفسها وترد العدو المهاجم على عاصمتها
أور يعود مع السيد السنوسى فى غواصة ألمانية . ومصطفى كمال يعود عن طريق أوروبا

أنور رجل الساعة

البلقان الآن ملتهب تكاد ناره تلمح استامبول
والدول البلقانية تطالب باستقلالها الذي مهدت له معاهدة برلين المشؤمة في
سنة ١٨٧٨ ، وتعمل على إرواء حقدتها الصادى من دماء الأتراك العثمانيين
والروسيا من خلف البلقان تسوق دويلاته إلى المعمة
النكبات تتابع على الحكومة العثمانية : فالبلغاريون حاصروا ادرنة ووصلوا إلى
(مصطفى باشا) و (قرق كليسه) وأشرفوا على العاصمة . . واليونانيون احتلوا
معظم مقدونيا . . والصربيون استولوا على معظم ألبانيا ودخلوا موناستير . . ثم
عاد اليونانيون فدخلوا سلانيك . . ولم يبق في يد العثمانيين من املاكهم الأوربية إلا
أدرنة واشقودرة ويانيا ولسان غاليولى والاقليم الواقع بين شاطلجة والبسفور . . .
ولو لم تتدخل دول أوربا في الأمر وتقف رحي القتال لما بقى لتركيا شبر واحد
في الأرض الأوربية

ولكن تدخل الدول الأوربية زاد الطين بلة ، فقد عرضت على تركيا معاهدة
صلح لا قبل لها باحتمالها . ودعا الصدر الأعظم كامل باشا مجلس الوزراء للمواقفة عليها
استسلاماً للأمر الواقع
وعندئذ يشور أنور الذى عاد من طرابلس أخيراً ليرى بعينه وطنا يهان ،
وامبراطورية يتقلص ظلها ، فيقرر أحد أمرين : إما استرجاع الاملاك البلقانية ، وإما
ضياع الوطن نفسه . . !

وهكذا كان أنور على طول الخط !

هوذا يدخل ديوان مجلس الوزراء في طليعة الضباط المتحمسين . . هوذا يقتحم
باب الوزراء في أثناء توقيعهم شروط الصلح . . فيعترضه ناظم باشا وزير الحرية ، فيطلق
عليه رصاصة من مسدسه تصرعه لتوه . . .

الوزراء يهرولون إلى الخارج وقد ملأ قلوبهم الذعر . . وأنور يعدو خلفهم
مصوباً فوهة مسدسه إلى ظهورهم

حتى إذا ما خرجوا من ديوان الرئاسة اعلن سقوط الوزارة ، وتولى شوكت باشا
رئاسة الوزارة الجديدة . أما هو فيحجز لنفسه وزارة الحرية

ويجتمع مجلس الوزراء فيقرر رفض شروط المعاهدة ، والدفاع عن الوطن المنكوب إلى النهاية . . .

ويضع أنور خطة حرية لتخليص ادرنة من البغاريين ، خطة جريئة ليس فيها شيء من التعقل . ويكون مصطفى كمال أول من يعترض عليها ويثبت فسادها . بيد أن أنور لا يقبل النقاش ، فتسير جحافل ملاقات جيش البغار ، وسرعان ما تفر أمامه كما تفر الانعام . . .

وفي ٢٦ مارس سنة ١٩١٢ تسقط ادرنة في يد البغاريين بعد دفاع جليل باسل . وتشرف استامبول نفسها على الضياع

فتدخل الدول الأوربية مرة أخرى وتملى على حكومة شوكت باشا شروط صلح أثقل من الشروط التي أمثلتها على الحكومة السابقة ، فتقبلها رغم انها ويتساءل مصطفى كمال : ماذا فعل أنور ؟

بيد أن المنازعات لا تلبث أن تقوم بين دول البلقان ، وتبدأ الحرب بين بلغاريا والصرب واليونان ، فيتهمز أنور تلك الفرصة ويفاجئ ادرنة بقوات كبيرة فيدخلها دخول الظافر في موكب تاريخي تحف به الأعلام والأكاليل

ويسير مصطفى كمال كاسف البال في موكب النصر وكأنه يقول للمرة الثانية :
— أجل . . ماذا فعل أنور ! ؟

عناكب الالمان

قوبل استيلاء أنور على ادرنة بفرح شامل وسمت شخصيته حتى بلغت أوج العظمة وأنور - كما نعلم - صديق للالمان يرى فيهم المثل الأعلى للمدينة الأوربية المادية ومن ثم بدأ الالمان يلعبون دورهم بهارة فائقة ، إذ كانوا على أبواب حرب طاحنة ، وكانوا يريدون الوثوق من تركيا واتخاذها حليفة لهم وتكاثف يعتمدون عليها في الميدان حتى تكون شوكة في ظهر انجلترا والروسيا ودول البلقان المعادية

فتقرب سفير المانيا في استامبول الى أنور وأصبح نديته وجمع أسراره ، وحاز ثقته العمياء بعد أن أقسم له على أن المانيا ستقف دائماً في صف حليفها تركيا . ثم أطلعه على ما كانت انجلترا تحيكه من خيوط الدسائس منذ سنة ١٩٠٨ ، وكيف أنها حاولت

القضاء على حكومة الاتحاد والترقي الناشئة ، كما حاولت بث روح العداء والشقاق بين أعضاء الجمعية أنفسهم مما أدى الى خروج بعضهم عليها وتقرهم الى السياسة الانجليزية والحق يقال ان تركيا كانت في ذلك الوقت مزرعة خصبة لسياستين متضادتين : السياسة الانجليزية ، وترى الى احباط الأتراك ودفعهم الى مواطن الضعف والتورط ، والسياسة الالمانية التي كانت تحارب الانجليز وتحاول أن تتخذ من تركيا حليفة لها في الحرب المقبلة

واجتمع مؤتمر السفراء في سنة ١٩١٢ ليصدر قراراته ضد تركيا . فلم يرتفع فيه صوت منصف الا صوت سفير المانيا البارون فون مارشال ، فقد قام يدافع عن تركيا ويحاول أن يثبت أن أساليب المؤتمر لا شك فاشلة . ولما سقطت وزارة كامل باشا (التي خلفت حكومة الاتحاد والترقي - وكانت انجليزية النزعة) تحت تأثير الرأي العام يدفعه الألمان من وراء ستار ، كان هذا فوزاً جديداً للسياسة الالمانية

وقد بلغ نفوذ الألمان أوجه في سنة ١٩١٤ عندما رفضت انجلترا تسليم المدرعتين التركيتين « سلطان عثمان » و « رشيدية » المصنوعتين في الأحواض الانجليزية - ولم تكن تركيا قد دخلت الحرب بعد - فقد اعتبر هذا الرفض عملاً عدائياً من شأنه أن يقضى على نفوذ انجلترا في تركيا قضاء مبرماً ، وأن يدفع الأتراك الى أحضان المانيا التي احتضنتهم وتبرعت لهم بمدرعتين (هما جوبن وبرسلاو) . . وسرعان ما دخلت المدرعتان المياه العثمانية وسط عاصفة من الهتاف لالمانيا الصديقة . . .

وبهذه المناسبة نذكر أن جمال باشا صرح في مذكرته بأن المانيا لم تبرع بهاتين المدرعتين بل اضطرت لذلك اضطراراً ، فقد أعلنت الحرب العظمى والمدرعتان بالقرب من المياه التركية ، فدخلتاها للاحتماء فيها ، ومن ثم قامت مشكلة دولية : فتركيا لم تدخل الحرب بعد ، وسفيرا انجلترا وفرنسا يطلبان تسليم المدرعتين ، وسفير المانيا يأبى الا أن تتحمل تركيا تبعه هذا الموقف الشاذ ولو بدخول الحرب في صف المانيا - ولعل ذلك كان غرض المانيا من إرسال المدرعتين الى المياه التركية في تلك الأزمة العسيرة - فإل أنور الى قبول الدخول في الحرب ضد الحلفاء ، ولكن أعضاء الوزارة نصحوه بالتريث ، واقترح أحدهم أن تتظاهر المانيا بأنها باعت المدرعتين لتركيا قبل الحرب ، وأنها الآن تسلم البضاعة . . وفعلوا واقفت الحكومة الالمانية على هذا الاقتراح العجيب ! . . .

وشاعت في تلك الأثناء اشاعة - أيدتها المصادر الرسمية - بأن المطالب التي قدمتها تركيا - نظير انضمامها للحلفاء - (وهي إلغاء الامتيازات ، وإرجاع الجزر العثمانية ، وإزالة الشبح الروسي ، وحل المسألة المصرية) لم تجب ، وأن استامبول منحت للروسيا نظير مساعداتها للحلفاء ، فزاد ذلك في سرعة التقرب بين المانيا وتركيا وفي ذات يوم زارت خالدة أديب جمال باشا وزير البحرية ، فقالت له في معرض الحديث عن الحرب : « أخشى أن أقول يا باشا ان حكومتنا مندفعة نحو الحرب . . » فضحك جمال باشا وقال : « لا يا خالدة هانم لن ندخل الحرب . . » فقالت : « وأنى لكم ذلك ؟ » قال : « ان لى من القوة ما يرغبهم على عدم الدخول في الحرب . واذا فشلت فسأستقيل . . ان الحرب عمل جنونى . . »

وكان جاويد بك وزير المالية على هذا الرأي أيضاً على أن الصدر الأعظم سعيد حليم ومعظم رجال وزارته كانوا يميلون الى الحرب. بل قيل ان التحالف التركي الألماني تم في ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ - أى قبل أن تدخل تركيا الحرب بأكثر من شهرين ، ولم يكن حياد تركيا المؤقت إلا ذرأاً للرماد في العيون . ولو أنها كانت تريد البقاء على الحياد لما استبقت الضباط الالمان في خدمتها بعد دخول المانيا الحرب

وكان الالمان كانوا يريدون أن يكون الاجماع تاماً على دخول تركيا الحرب ، فأوعزوا الى الصدر الأعظم أن يقنع جمالاً بوجهة نظره ، وقابل البارون فون فانجنهايم سفير المانيا جمالاً بنفسه وقال له : « يا جمال باشا . . ألا ترى ما أداه الضباط الالمان لكم من الخدمات الجليلة في وقت قصير ؟ ان لديكم الآن جيشاً يقارن بأحدث الجيوش نظاماً ، وإنا واثقون من الظفر اذا استطعنا أن نكون حلفاء لأمة مثل امكم لها مثل هذا الجيش ! »

ولكن جمالاً أصر على رأيه ، وكذلك فعل جاويد بك . فأمضى التحالف التركي الألماني سرّاً دون أن يطلع عليه هذان الوزيران . بل قيل ان معظم الوزراء لم يطلعوا عليه إلا بعد أن أصبح حقيقة لا مفر منها . .

ثم انضمت بلغاريا الى صف المانيا فتعزز مركزها في البلقان . وتلت ذلك هزيمة المارن فتعزز مركزها في غرب أوروبا . وأخيراً نشبت معركة - لا زالت حقيقتها غامضة - بين السفن التركية والسفن الروسية في البحر الأسود ، وكانت السفن

الروسية تضع الألغام في المياه التركية ، فأعلنت تركيا دخول الحرب في صف ألمانيا
تحت ضغط كل هذه الظروف في ١٨ أكتوبر ١٩١٤
واستقال جلويد بك وبعض الوزراء . أما جمال باشا فلم يستقل ! *

من صوفيا .. إلى جنات قلعة

شهد مصطفى كمال الصراع الهائل بين التيارين : الألمانى والانجليزى ، وكان لا يميل
إلى دخول الحرب في صف ألمانيا وحسب ، بل يرى في الحرب كارثة عظيمة تحقيق
بالامبراطورية العثمانية

فلما برم به أنور ، تخلص منه بأن عينه ملحقا عسكريا بسفارة تركيا في صوفيا -
وكان السفير إذ ذاك فتحى بك الذى عرفناه في حرب طرابلس
والآن - وتحت ضغط الظروف القاهرة - يذهب مصطفى كمال إلى صوفيا وكأنه
ذاهب إلى النفي .. وسرعان ما تعلن تركيا دخولها الحرب .. فيقع عليه هذا الخبر
وقوع الصاعقة ، ويقول في مذكراته واصفا هواجسه :

« كنت إلى ذلك العهد غير مصدق ما حدث ، ولم أكن اعتقد أن تركيا - التى يستدعى
دعوة جيشها إلى حمل السلاح شيئا كثيرا من الروية - تدخل الحرب بتلك السرعة
أثر حادثة بسيطة وقعت في البحر الاسود ، ولا أعلم إلى اليوم كيف وقعت .. وكنت
أشكو من دخولنا الحرب ، ولكن شكواى كانت تقابل بفتور ، وضرب بتنبؤاتى
عرض الحائط ، لآنى لم أقصر على التأفف من دخولنا الحرب ، بل كنت أقول
بهزيمة ألمانيا وحلفائها الذين دخلوا الحرب معها .. وكانت أقوالى في ظرف يكذب
ادعائى : لأن ألمانيا كانت تتقدم بخطوات واسعة قوية نحو باريس .. ففي هذا الظرف
الغريب ، وفي هذا الزمن الذى اصبح الناس فيه يلهجون ثملين بنتيجة الفوز المحقق
لألمانيا وحلفائها ، يقوم ملحق عسكري في صوفيا فيسدى ملاحظات غريبة لرجال
عديدين في الآستانة ، ويسود لهم صفحات مطولة محاولا اقناعهم بأن تركيا تأتى أمرا

* بعد كتابة ما تقدم قابلت رءوف بك في زيارته الأخيرة للقاهرة وسألته عن أسباب
دخول تركيا الحرب في صف ألمانيا ، فذكر من الأسباب ما لا يخرج عما ذكرناه آنفاً ، وزاد
عليها أن تركيا - بدخولها الحرب مع ألمانيا - إنما كانت تدافع عن كيانها ، ولو أنها بقيت
على الحياد لراحت للأعداء غنيمة باردة

منكراً بدخولها الحرب .. ألا يكون مثل هذا الرجل مجنوناً ؟ وهل يستحق غير هذا الحكم في مثل هذا الزمن ؟ »

بيد أنه - رغم كل ذلك - ابن بار لوطنه ، وما دامت تركيا دخلت الحرب فلا بد له من دخولها ، وليست « حياة الصالونات » - على حد تعبيره - تتناسب مع رجل الحرب والكفاح ..

إذاً لابد من العودة إلى الوطن ، وقيادة الجيوش في ميادين القتال .. هانحن أولاء نراه جالساً إلى مكتبه يحرر طلباً بالعودة إلى وظيفته في الجيش العامل .. ولكن القيادة العامة لا ترتاح إلى هذا الطلب ، وأنور لا يرحب بعودته ، بل يرجو منه أن يظل في صوفيا « نظراً لأهمية وجوده فيها .. »

فيجب مصطفى كمال بقوله : « لا توجد وظيفة أشرف أو أجل من الوظائف العملية للدفاع عن الوطن . وأنا لا أستطيع أن أظل هنا ملحقاً عسكرياً بينما أرى إخواني وزملائي يقومون بواجبهم في ميادين الحرب وخطوط النار .. »

ولكن الرد يتأخر .. فتشور ثأثرته ، ويصمم على خرق القانون والعودة إلى وطنه دون إذن من القيادة العامة ، ولو أدى ذلك إلى أن يذهب إلى ميادين القتال كجندى متطوع ..

وأخيراً تصله برقية تقضى بتعيينه قائداً للفرقة التاسعة عشرة ، وتطلب عودته على جناح السرعة ..

فيعود إلى الآستانة . ويسرع إلى وزارة الحربية حيث يتقدم إلى كبار موظفي الوزارة ليتعرف على فرقته ، فيقولون - أي والله هكذا ... - انهم لا يعرفون فرقة تدعى « الفرقة التاسعة عشرة » !

ويصبح الموقف شاذاً غريباً :

قائد بلا فرقة .. وموقف كموقف الرجل النصاب المزور !..

على أنه - بعد البحث الطويل - يصل إلى فرقته .. ثم يذهب لمقابلة ليمان فون ساندرس رئيس هيئة أركان حرب الجيوش التركية بناء على طلبه ، فيسأله فون ساندرس أن يديلي بمعلوماته - كملحق عسكري في سفارة صوفيا - عن سبب احجام بلغاريا عن دخول الحرب في صف المانيا ، فيجيبه مصطفى كمال بكل بساطة :

- لأن بلغاريا كانت تشك في نجاح المانيا ...

فينفعل ليمان فون ساندروس ويسأله عن رأيه الخاص ، فيعرب له عن تنبئه بفشل

المانيا !!

بطل الدردنيل

كان نلسون يقول : « كل بحار يهاجم القلاع أبله . . »

بيد أن المجلس الحربى الذى تألف فى ١٣ يناير سنة ١٩١٥ من ونستون تشرشل اميرال البحر ، وكتشنر وزير الحرية ، وفيشر ، ولويد جورج ، واسكويث ، لتقرير حملة الدردنيل لم يعبأ بكلمة نلسون . . وقد يكون معه بعض الحق ، فقلع الدردنيل عتيقة لا تقوى على مدافع البوارج الانجليزية الضخمة

ثم إن روسيا كانت فى شبه عزلة . وكان ما يقرب من مليون جندى فى حاجة ملحة إلى السلاح . فكان لا بد من النفوذ اليهم : إما من بحر البلطيق ، وإما من الدردنيل . وكفة الدردنيل هى الراجحة

وافتحت الجلسة بكلمة من تشرشل فى وجوب الموافقة على حملة الدردنيل . ثم تلى تقرير مدير الأعمال الحربية الذى قال ان هذه الحملة تتطلب نفقات هائلة وعدداً من الجنود لا يقل عن ٦٠ ألف جندى . ثم تلى تقرير آخر من الاميرال جاكسون قال فيه : « ان من البلاهة أن ندخل بحر مرمرية قبل أن يحتل جنودنا شبه جزيرة غاليبولى ونقضى على كل مقاومة للاعداء .. ولا بد من احتلال استامبول وما جاورها أيضاً . . » ثم قرأ رأى الاميرال كاردن ونوقشت خطته الحربية التى تقضى بالتقدم على دفعات متتالية

وعقد اجتماع ثان فى ٢٨ يناير فكان كالاتحاد الأول ، وان تكن الروح المعنوية فيه أشد هبوطاً . . وران على المجتمعين الشك المريب ، وظهر على اميرالات الاسطول التردد ، وهدد فيشر بالاستقالة . . فأخذ كتشنر إلى ركن من قاعة الاجتماع وتحدث إليه ملياً ، ثم دفعه إلى كرسيه فى شئ من الخشونة . .

وأخيراً تقرر القيام بحملة الدردنيل : بالبوارج !

فبراير سنة ١٩١٥

مياه الدردنيل ساجية وشواطئه لا ترى عليها أثراً لجندى أو مدفع . . فاذا أمعنت النظر فى المياه رأيت تسع شبكات من الألغام ، وفى الشواطىء رأيت القلاع والجبال تخفى عشرات الألوف من الجنود

البوارج الانجليزية « اندوميتابل » و « انديفا تيجابل » و « جلوشتر » و « ووريور » و « دبلن » و « كوين اليزابث » و « ترايتف » و « نلسون » و « أغاممنون » الخ . . . والفرنسية « سفرر » و « فريق » و « لوجالوا » و « شارلمان » و « سانت لويس » مرابطة على أبواب الدردنيل

وجأة يصدر الامر بالمهجوم على القلاع : فتصب البوارج قذائفها على قلعتى « سد البحر » و « ارطغرل » على الشاطىء الأوربى ، و « قوم قلعة » و « أوزانية » على الشاطىء الاسيوى ، ويحاول الاسطولان الانجليزى والفرنسى ازال الجنود إلى الشاطىء ، ولكن هيهات : فقلع الدردنيل العتيقة تصد البوارج ، وهامى ذى كلمة نلسون تتحقق إذ تثبت بلاهة مجلس الحرب . .

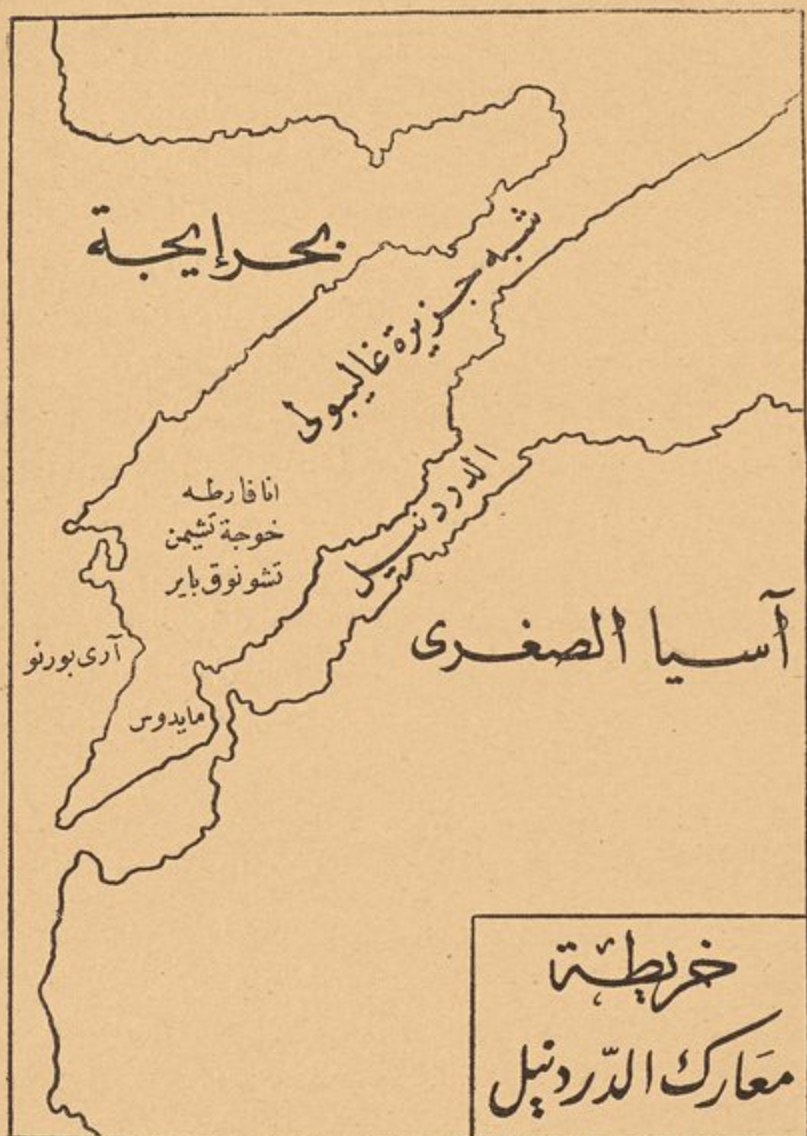
ولكن هل اقتنع تشرشل وكتشنر ولويد جورج واسكويث ؟

كلا . . فهامى ذى برقية من تشرشل تقول : « إذا لم يكن من الحسائر بد فان الغاية تبرر ضياع بعض قطع الاسطول . . » لأنه « لابد من شطر الامبراطورية العثمانية إلى شطرين وتغيير وجه التاريخ . . » ومن الواجب « اسكات قلاع المضيق بكل ما لديكم من المدافع . . »

الاميرال كاردن يعود الى مالطة لأنه مريض ، فيتسلم القيادة الأميرال روبك ، ويظل فى حيرة من أمره فتنهز المدمرات التركية تلك الفرصة لتعاود تلغيم الدردنيل وفى صباح ١٨ مارس يصدر الأمر إلى قطع الاسطول بالمهجوم ، فتدنو من الطوابى التركية تصب عليها نيرانها أكثر من ثلاث ساعات ، فتصيبها بعطب كبير ، ولكن الطوابى من ناحيتها تفرق وتعطل ست بوارج كبيرة

وفى منتصف الساعة الثالثة تتقدم قطع أخرى من الأسطولين ، فتصاب قطعتان منها بقذائف الأتراك وتغرقان . . .

وفى منتصف الساعة الثامنة يعود الأسطولان : الانجليزى والفرنسى الى عرض البحر وقد خسرا ثمانى قطع من أكبر قطعهما !!



فثبتت حماقة مجلس الحرب للمرة الثانية
ويبرق قواد الأسطول الى لندن ملحين في طلب القوات البرية
وأخيراً يقتنع تشرشل وكتشتر بضرورة الهجوم البري ، فيوفد كتشنر زميله
الجنرال ايان هاملتون الى الدردنيل لقيادة القوات البرية ، ويقول له : « لا أريد
منك أن تكسب موقعة واحدة ، بل يجب أن تكسب الحرب كلها . . . »
ثم يأمر الجنرال يردوود قائد القوات الاسترالية في مصر بالتوجه الى الدردنيل
بقواته الهائلة

ويرى ايان هاملتون أن جنوده يتقصهم التدريب العسكري ، فيرسلهم الى
الاسكندرية حيث يدربون ويعودون الى ميدان القتال
وتمر بضعة أسابيع في نقاش طويل وجدال في وجهات النظر ، وأخيراً يقر القرار
على ازالة الجنود في البر في يوم ٢٥ ابريل
وفي صباح هذا اليوم يخاطب هاملتون في الجنود قائلاً :

« يا جنود فرنسا ! يا جنود الملك ! نحن مقبلون على عمل لم يسبق له مثيل في
الحرب الحديثة . وستعاون مع اخواتنا بحارة الأسطول لازال قواتنا الى شاطئ
مفتوح أمامه مواقع يحاول أعداؤنا أن يشتوا أنها لا تنال بالحرب . فاذا وضعتم أقدامكم
على شبه جزيرة غاليولي فقاتلوا حتى نتصر نصراً حاسماً . . العالم كله يتطلع الى
تقدمنا فأثبتوا أننا بالثقة العظيمة التي وضعت في جيشنا جديرون . واطمئثوا دائماً
الى دعاء الملك »

والآن لندع الأسطول الانجليزى الفرنسى يستعد للمعركة ، ولنتجه صوب الساحل
فأين نرى مصطفى كمال ؟

نراه في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة غاليولي قائداً لجيش من الجيوش المدافعة
عن الدردنيل ، ونسمع مشاحنات لا تنقطع بينه وبين ليان فون ساندرس ، ثم نسمع
ليمان يقول رغم ذلك : « انه ضابط بارع . . انه زعيم . . »
ويعود أنور من حملة الروسية الفاشلة ويعرف أن غريمه كمالا يقود جيشاً في
الدردنيل ، فيغضب ويأمر فون ساندرس بأبعاده . . ولكن فون ساندرس يفرق
بين الخصومة والمنفعة ، ولذلك نراه لا يعابأ بأمر أنور ويعين كمالا قائداً للفرقة التاسعة

عشرة في منطقة مايدوس على شاطئ غاليلوى ، في المنطقة التي ستبدأ فيها المعارك . .

٢٥ ابريل سنة ١٩١٥

البحر ساكن لا تتحرك فوقه مائجة . والساحل هادىء في انتظار عشرات الألوف من القتلى الذين سيدفنون فيه

الانجليز يقتربون من الساحل بمدرعاتهم ، ويوجهون قلب هجومهم الى المنطقة التي ينتظر فيها مصطفى كمال

ولكن التيار قوى . . وهو يدفع النقالات من جهة (قاباتيه) الى (أرى بورنو) ويجد الاستراليون أنفسهم في مواجهة مرتفعات (تشونوك باير) فيتسلقونها

وبمحض المصادفة يكون مصطفى كمال على مقربة من تلك القمة . يرى الجنود الأتراك في حالة تشبه المهجوم . فيسألهم : ما الخبر ؟ فيقولون ان الانجليز شرعوا في الهجوم . .

فهل يتردد مصطفى كمال ؟ وهل ينتظر الأوامر من رئيسه الأعلى فون ساندرس ؟ كلا . فالدقائق تمر سراعاً ، وكل دقيقة تمهد لانتصار الانجليز

إذاً ليأخذ المسؤولية على عاتقه وحده

« هلم أيها الضباط إلى قمة (تشونوك باير) ! »

ويسير في الطليعة والضباط خلفه يتعثرون في الصخور . حتى يبلغ القمة فيرى منظرًا مفرعاً : فالستراليون أوشكوا أن يبلغوا القمة . والرصاص ينهال عليه كالمطر . .

« اسرعوا إلى المعسكرات واستدعوا الجيش ! »

وفي دقائق معدودات تصل الفرقة السابعة والخمسون . فيقذف بها في وجه الأعداء . . ثم تصل فرقة المدفعية ، فيدفع بعض المدافع بنفسه ويقذف بها في وجه الأعداء أيضاً . .

وتصل فرقة أخرى فيأمرها بالهجوم . . وتدور على مرتفعات (تشونوك باير) رحي معركة تشيب لهولها الولدان ، وأخيراً يقف الأتراك تقدم الاستراليين !

الليل يشهد استمرار المعركة . واليوم التالي يمر عصياً على المقاتلين . فتخور قوى الجنود ويقاسون أهوال الحرب والجوع والظمأ

ولكن هل يتركهم مصطفى كمال يستريحون فيفقد المعركة ويتيح للأعداء نصراً سوف يغير وجه الحرب العظمى ؟

انه يقف في وسط المعركة بأعصاب من فولاذ ، فيشجع جنوده تارة ويحمسهم

ويطمئنتهم ويهددهم أخرى بصوت كالرعد . . ويظل في هذا الجحيم حتى تخور قوى
الاستراليين أيضاً ويقفون رحي المعركة دون بلوغ القمة ، فيتنفس الصعداء فقد انقذ
مرتفعات (تشونوك باير) التي تعتبر مفتاح غاليلولي ، بل مفتاح استامبول نفسها

وتشرق شمس اليوم التالي على خنادق الانجليزية وأخرى تركية تضم في جوفها أكثر
من مائة وعشرين ألف مقاتل

وناهيك بحرب الخنادق وويلاتها !

فلأرض صاخدة ، والسماء ملتبة ، والهواء خانق ، والريح تسفي الموت كلما هبت
شمالاً أو جنوباً ، والقذائف تنهال على الجنود ، حتى إذا ما هدأت المصارع خرج
جنود الموت من بين الحرائب كالأشباح ليواروا موتاهم التراب جماعات بعضها فوق
بعض . وانك لترى كمالاً بين هؤلاء الجنود يؤدي واجبهم : واجب المساهمة في دفن
رجالهم ، وواجب التجسس على الأعداء والكشف عن مخابئهم

انه لا يتعب ولا ينام . ويدير حرب الخنادق وكأنه ولد في الخنادق . والقواد
الأتراك والالمان الذين يعملون معه يشعرون بأنهم لا يؤدون عملاً قط . فهو سيد
الميدان دون منازع

أما الجنود فتحدث عن بطولتهم ما شئت :

فهذا الجندي الواقف في وجه الموت يدع بندقيته جانباً ويخرج لفاقة من التبغ
ليدخنها وهو ساكن هادئ كأنه جالس في منزله وبين أهله . وذلك يدفن الموتى من
الأتراك فيرى بينهم ضابطاً استرالياً جريحاً يهتف : « Mother ! Mother ! » أي : « أمي .. أمي .. »
فتأخذه الشفقة فيحمله على ظهره ويتجه به صوب الأعداء .. صوب الرصاص المنهمر
ولا يخشى الموت في سبيل أداء واجب انساني . فيراه الاستراليون فيقفون اطلاق
الرصاص وينتظرون كأن على رؤوسهم الطير . حتى يدنو منهم ويسلمهم جريحهم ،
فتنههم دموع الشكر من أعينهم ويقدمون له الحلوى والتبغ ، فيرفض قبولها . .

مصطفى كمال يرى ويسمع كل ذلك . فيكون لجنوده خير قدوة . ومن ذلك
ما يرويه عنه كبار أركان حربه : فهو يخرج من الخنادق ليشرف على الميدان بنفسه ،
فيراه الاستراليون ويقذفونه بالآلاف من الطلقات . . ويشعر الضباط بخروج الموقف
فيتوسلون اليه ألا يعرض نفسه للتهلكة ، فيقول : « كيف أخاف وجنودي لا يخافون ؟ »

ثم يد يده الى جيبه فيخرج لفافة من التبغ ويشرع في تدخينها بكل هدوء ، ويتحدث إلى ضباطه حديثاً طويلاً . حتى إذا ما احترقت اللفافة عاد إلى الخندق بكل بساطة وكأنه لم ينج من الموت بأعجوبة . .

وفي الليل - إذ يجلس كمال في خيمته - نراه يداعب بأصابعه بيانو كبيراً جلبه معه من استامبول . . وهذا البيانو - مع عدد من السجاجيد العجمية الأصيلة - هو كل ما يملك هذا الجندي من وسائل الترف في جحيم غاليولي

وتظل حرب الخنادق على أشدها حتى يرى مصطفى كمال أن أعصاب جنوده لم تعد تحتملها ، فيفكر في الهجوم كعلاج شاف لأعصابهم ، وكانت حالة الميدان تسمح بهجوم موفق . ولكن سوء الطالع يحمل أنور على زيارة خطوط النار في ليلة الهجوم ، فيرفض خطة كمال ويسخر منها . وتقوم بين الرجلين مشادة عظيمة تتسرب إلى الضباط ، ثم إلى الجنود ، فيفكر كمال في الاستقالة ، ولكن فون ساندرس يهدى من روعه ويحمل أنور على الموافقة على الهجوم

يبد أن الجنود كانوا قد سمعوا بالمشادة - وكان الواجب يقضى باصدار الامر اليهم ساعة الهجوم ولذلك يشاؤون في هجومهم ، ويتسم أنور ابتسامة الشامة فيقدم كمال استقالته في الحال . فيعود فون ساندرس إلى سابق سعيه ويلج عليه في وجوب سحبها

وفي ليلة أغسطس يشرع الانجليز في هجوم جديد على مرتفع (خوجه تشيمن) بعد أن يؤسوا من (تشونوك باير) ، فيزحف عليه ستة عشر ألف استرالى ويكادون يلغون القمة ، لولا مبادرة كمال إلى إرسال النجديات إلى القوات المدافعة عنها . فإذا ما أصبح الصباح وقف الاستراليون القتال . فينتهز كمال الفرصة ويزيد في القوات المدافعة عن المرتفع ، وبذا يفوت عليهم فرصة الاستيلاء عليه

الانجليز في حالة عصية . والبرلمان الانجليزى يحمل على لويد جورج وكتشنر وتشرشل ويطلبهم بسرعة كسب المعركة

كتشنر يبرق الى السير ايان هاملتون يسأله عن أسباب هذا الفشل التكرار ، ويصدر أوامره بالم هجوم المتوالى العنيف

فيجزم الانجليز في فجر يوم ٨ أغسطس من جهة خليج (سلفا) و (انا فرطة)

بغية الوصول الى مرتفع (تشونوك باير) . وتتدفق الفيالق الاسترالية والنيوزيلاندية على خطوط الأتراك فتكاد تخترقها ، ويكاد الأتراك ينهزمون ، لولا كمال وإرادته الفولاذية ، فهو يقبل الهزيمة نصراً ويرد الأعداء على أعقابهم

ويعترف فون ساندرس بأن هذا النصر معجزة من أروع معجزات الحرب ، ويدعو كمالاً في المساء الى خيمته ، ويقوم له في احترام وإجلال ويقول : « نحن الآن في أشد مواقف الحرب هولاً . وجنودنا على وشك الانهزام . والأمداد لا تكاد تصلنا من استامبول ، ولذلك قررت أن أوليك قيادة جميع الجيوش المدافعة عن غاليبولى .. فهل تقبل القيادة ؟ »

هل يقبلها ؟ ! انه يتحرق اليها . انه يعيش ليرى هذا اليوم كيف لا يقبلها ؟

وفي اليوم التالى يصل بضعة آلاف من الجنود الجدد فيأمر كمال جيوشه بالهجوم ، فينطلق الأتراك من مخابهم كالقذائف ، ويكرون على الأعداء كرة تزلزل الأرض تحت أقدامهم فيفرون الى الساحل .. فيلاحقهم الأتراك بحراب بنادقهم ويقتلون منهم عشرات الألوف .. وفي هذا الهول يطلق الأسطول الأنجليزى مدافعه على الفريقين المتحاربين فتفتك بهما فتكا ذريعاً

ولكن الأنجليز مصممون على بلوغ قمة (تشونوك باير) . وكثرت لا يكاد يصدق أنباء الهزيمة .. ولذلك نرى في اليوم التالى هجوماً هائلاً على (تشونوك باير) ، ونرى الرعب يدب في قلوب القواد المدافعين عنها ، فهم لذلك يستدعون كمالاً بالتليفون ، فيقول لهم يبرود عجيب : « لا تخافوا ودافعوا عن القمة حتى أصل اليكم .. »

وهناك على قمة (تشونوك باير) يقف كمال ومنظاره المكبر في يده ، والطلقات تنصب حوله من كل جانب ، فيرى أن الموقف يستدعى هجوماً عاجلاً ، وإلا فالهزيمة محققة . فيأمر بجمع جميع القوات ويكدسها في الخنادق ريثما تنتظم ، ثم يسير في وسط الجنود كالذئب قائلاً : « لا تتعجلوا الهجوم يا أبناءى .. انتظروا حتى ترونى خارج الخنادق ، حتى اذا ما لوح ييدى في الهواء فانطلقوا من مخابكم واحكموا تصويب طلقاتكم الى الأعداء ، وسأكون أنا في طليعتكم .. »

وعند الهجوم (الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالى) يبرز كمال الى خط النار وحده .. ويقف في الجحيم وحده .. ثم يلوح بيده في الهواء وينطلق صوب الأعداء ..

الجنود يعدون خلفه ، وهتاف الحرب : « الله ! الله ! » تردده الآفاق . . .
والاستراليون يفرون كالأنعام . . . الى الساحل . . . الى الماء . . . فيفتح الأسطول أفواه
مدافعه فتصب الموت عليهم وعلى الأتراك صباً . . . وانك لترى من خلال القذائف
والدخان جنوداً من الترك ينزلون الى الماء ويلاحقون العدو بحراب بنادقهم حتى
يغرقهم ثم يعود من ينجو منهم الى الساحل ويموت من يموت بقنابل الأسطول . . .
وبذلك يخسر الانجليز معركة الدردنيل ، وينهزمون أشنع انهزام عرفوه في
تاريخهم الطويل

ولا نود أن نطيل الحديث بعد ذلك فقد عاودوا الهجوم مرتين فارتدوا منهزمين
وفي ذات يوم من شهر ديسمبر يقف مصطفى كمال باشا - وهذه هي رتبته
الجديدة - متطعماً الى خنادقهم ، فيعجب لانطلاق المدافع دون أن يرى ثمة حركة
تشعر بوجود الجنود . وإلى البحر فلا يرى الأسطول ، فيأمر الكشافين باستطلاع
حقيقة الأمر ، فيعودون بعد دقائق ليقولوا إن الانجليز فروا من الميدان في الليل ،
وإن هذه القنابل تنطلق من بضعة مدافع بطريقة أوتوماتيكية ! !
فيرحف الأتراك على خنادق العدو مهللين مكبرين . ويذهب مصطفى كمال باشا الى
الشاطئ فيقف على صخرة تشرف على البحر ويتطلع اليه بمنظاره الكبير ، فيرى على
بعد سحيق نقطاً سوداء لا تكاد تظهر الا لتختفى بعد قليل . . .
فيستسم . . .

نروي فيما يلي حادثة وقعت ابان هذه المعارك - وإن كنا لا نعلم على وجه التحقيق في أية
معركة بالذات - لنطلع القراء على ناحية من نواحي شخصية كمال الفذة :
ففي إحدى المعارك وقف كمال على راية يشرف على القتال . فرأى كتلة من الجيش يستشهد
قائدها - وكان برتبة بكباشي ، فخل محله من هو دونه في القيادة ، ثم استشهد بدوره ، فخل محله
ضابط آخر رتبته أقل من رتبته ، وهكذا حتى وصل ضابط برتبة ملازم الى منصب القيادة
ورأى كمال أن الضابط يحسن ادارة رحى الحرب فصمم على منحه رتبة البكباشية بعد المعركة ،
ولكن تبين له بعد قليل من الزمن ان الضابط أبرق الى القيادة في طلب الرتبة لأنه مرتبك
ويخشى أن يتحمل المسؤولية . . . فاحتقره ، وصمم على ابقائه ملازماً طول عمره !

الوطن في خطر !

استامبول لابسة زيتتها رافعة أعلامها : فقد انتصرت تركيا على الحلفاء
وبرلين غفور بأنا فرطة ، وبطل أنا فرطة
ورجل الشارع - ولم لا نقول رجل الحرب ؟ - معجب بمصطفى كمال الذي انتصر
في أول معركة كبيرة قادها في حياته
والهمس يكثر . . والمقارنة بين أنور المهفور المنهزم وجمال المدحور ، وبين
مصطفى كمال المنتصر تسمعا من كلا الرجلين
فما لمصطفى كمال لا تطيب نفسه بهذا النصر الخالد والمجد الخالد ؟
إنه يعود إلى العاصمة كاسف البال مقطب الجبين لاعناً الساعة التي دخلت فيها
تركيا الحرب في صف المانيا المنهزمة !
أجل . . المانيا المنهزمة !

هوذا يقرأ أبناء الميدان الغربي فيتأوه كما يتأوه الوحش الجريح
هوذا يذهب إلى صديق له في عموم أركان الحرب ويسط له ما يساور نفسه
من الشك والهمع على مصير بلاده ، ويدعم أقواله بأسانيد عسكرية لا تقبل الجدل ،
فيطمئن الموظف خاطره ويفهمه أن وسأوسه ليست إلا صورة مجسمة لقوة إيمانه
بالوطنية ، وأن المسؤولين عن الامبراطورية العثمانية مسوقون بما رأوه من عظمة
الألمان وقوتهم التي لا تنازع . . فيقارعه مصطفى كمال الحجة بالحجة ، ويضرب له مثالا
تلك المعركة التي خرج منها منتصراً ، ولولا أنه - وهو القائد التركي - تسلم القيادة
العليا من فون ساندروس الألماني لحاقت بالوطن هزيمة من أشنع الهزائم . .
فيقول له الموظف وقد برم به أخيراً :

— دعنا نعمل في هدوء يا كمال وإلا كنت مسئولاً أمام ضميرك ، فسنقوم
بأعمال جلييلة يطيب لها خاطرك وتدهش العالم أجمع !
مصطفى كمال يتسم ابتسامته الصفراء الموهودة ، ويحتقر في قرارة نفسه هؤلاء
الموظفين الذين يجهلون كل شيء ، ويتظاهرون بمعرفة كل شيء . . فيخرج من عند
الموظف وهو يقول لنفسه :

— كيف يعرف هذا الدعي مصير الحرب ، في حين أن أنور نفسه لا يعرف من

مصريها إلا ما يريد الألمان أن يعرف ! ؟

ثم يزور الصدر الأعظم طلعت باشا ، هذا الرجل الكبير المخلص لبلاده ، فيسمع منه تلك النعمة بذاتها

فيذهب إلى وزارة الخارجية ويطلب مقابلة الوزير . فيرى هناك طائفة من زائري الوزراء المعهودين : نصفهم مداهنون ، والنصف الآخر من عشاق السياسة والمناقشات السياسية الافلاطونية . ويسمع أحاديث الحرب ومصائر الامم والشعوب من طائفة هي أبعد الناس عن السياسة والحرب ، فيبدى لهم احتقاره الشديد . .

ويتجاهل الوزير حضوره حيناً ثم يسمح له بالمقابلة . فيأبى رجل الحرب إلا أن يلقي على رجل السياسة درساً قاسياً ، فيقول للحاجب بصوت جهورى يسمعه كل الحاضرين - وفيهم الوزير طبعاً :

— لينظر سعادة الوزير . .

ثم يتحدث إلى أحد الموظفين بضع دقائق حتى يطعمئن إلى أن الوزير تلقى الدرس ، فيدخل عليه ، فيحييه الوزير ببشاشة ويظهر له ارتياحه من السياسة العامة . . فيناقضه مصطفى كمال ويظهر له قلقه الشديد على مصير الوطن ، ويعرض عليه حلاً هو التخلص من سيطرة الألمان على شئون وزارة الحرية ، ومعالجة الحرب بعد ذلك بما تقتضيه مصالح تركيا وحدها لا مصالح المانيا الجشعة . . فيحتد الوزير ويقول له إن وزارة الحرية أجدر من وزارة الخارجية بالنظر في حلوله ، وبذا تنتهى تلك المقابلة على لا شيء ، ويخرج رجل الحرب من عند رجل السياسة الثعلبية ليقول في مذكراته :

« أما أنا فكنت على ثقة من أن هؤلاء الرجال الذين لا يعرف لهم رأس ولا ذنب ، والذين يتأله بعضهم بدعوى العبقريّة ، ويتيه بعضهم بدعوى العلم ، ويختال بعضهم بدعوى الدكتاتورية ، لا يستطيعون أن يصلوا إلى مصطفى كمال الحقير بأى أذى . إنهم كانوا يقدرّون على شيء واحد هو القاء القبض على مصطفى كمال وشنقه استناداً إلى ما بأيديهم من قوة وسلطان . بيد أنى كنت أعد من النعم الجزيلة أن تسمع الأمة في ذلك اليوم نبأ عصيانى . . . »

ولم يذهب إلى وزارة الحرية طبعاً ففيها أنور الساخط عليه ، وفيها مئات من الألمان الذين إذا رأوه قطبوا وجوههم وكشروا عن انيابهم

وأخيراً يعود إلى مخدعه في فندق « يرا بالاس » ليقضى ليله ساهراً يحز على

أضراره ويعلن سخطه على أنور الدكتاتور ، ووزير الخارجية الدبلوماسي ، وسائر
من في وزارة الحرية من الألمان

قائد لفلول أنور !

عفا الله عن أنور . فان التاريخ لن يغفر له طيشه وحركاته الجنونية
ما باله يسوق أكثر من مائة ألف مقاتل من زهرة الشباب التركي الى القوقاز في
تلك الحملة المشئومة التي تذكرنا بحملة نابليون الروسية ؟

لقد أراد أن يقوم بعمل كبير من شأنه أن يدحر روسيا في الشرق كما دحرها
الألمان في الغرب . ولكنه لم يفتن الى استحالة الحرب في القوقاز - وخاصة في الشتاء -
فدفع بحماضه الى الثلوج والجوع فهلك . فلما أيقن من فشله ترك فلولها على الحدود
الروسية ، وعاد الى استامبول ليرى بعيني رأسه انتصار غريمه على الحلفاء في الدردنيل ،
وها هو ذا الآن يعين غريمه قائداً لهذه الفلول !

مصطفى كمال يقبل هذا التعيين راغماً ، ويذهب الى مقر قيادته ، فيرى أن الروس
الذين هاجمهم أنور انقلبوا ملاحمين ، وأنهم احتلوا وان وبتليس وموش وأرضروم
واستعدوا لهجوم واسع النطاق على تركيا نفسها

ويعرض جيشه فيهوله ما يراه من ضعفه وقلة تدريبه ونقص مؤنه وذخائره .
فيرق الى وزارة الحرية وإلى أنور في طلب المدد والسلاح والمهمات والأغذية ، فلا
يصله رد ، ولا تعباً وزارة الحرية بطلباته . فيعكف على جيشه بحالته الراهنة ويحاول
إتيان المستحيل لتدريبه وإعدادة لملاقاة الروس ، ويكون عصمت وكاظم قره بكير
أكبر عون له في هذا العمل الشاق : عصمت الذي يتجاهل الكلام الكثير ويعرف
العمل الكثير ، وكاظم قره بكير الجندي الحشن الذي ينفذ الأوامر العسكرية بحذافيرها
وبينا هؤلاء الثلاثة في عملهم الشاق ، اذا بالقيصرية الروسية تتقاذفها التيارات
السياسية فتصبح كالريشة في مهب الرياح . واذا بالثورة الحمراء توشك أن تأكل
الأخضر واليابس

الثورة تسرب من بطرسبرج الى معسكرات الروس في سائر الميادين . ومصطفى
كمال يشاهد انحلال الجبهة الروسية العسكرية أمامه فيشكر للمقادير عملها على ازاحة

هذا الخطر الجسيم على كيان تركيا . فاذا شرع الروس في التقهقر وغادروا الميدان الشرقي الى ميدان الكفاح الأحمر في روسيا نفسها ، شرع هو في التقدم الى الشمال فزاه يدخل وان وبتليس وموش وبذا يستعيد ما خسرهُ الأتراك بحاقة أنور . ثم يتقدم شطر باطوم ويقضى على كتل هائلة من الارمن المؤملة في بعث أرمنستان من عالم التاريخ والأفانض

وبينا هو في هذا العمل الشاق ، إذا بالأمر يصدر اليه بالسفر الى سوريا حيث الخطر الانجليزى الذى ينذر باقتطاع الشرق الأدنى من حوزة الامبراطورية العثمانية

والآن ننتقل الى حلب في شمالي سوريا
أنور ، وجمال ، وملكتهين يشرفون على الحركات العسكرية في ميدان الشرق الأدنى

الانجليز دخلوا بغداد وهددوا الموصل . وهم الآن يستعدون لهجوم واسع النطاق لاجلاء الأتراك عن اليمن والحجاز والعراق وسوريا وفلسطين . والذهب الانجليزى ينثره لورانس الجاسوس ذات اليمن وذات الشمال . ومس بل في العراق توشك أن تجنى ثمار ما غرسته طوال السنين في القبائل العراقية الكردية

مصطفى كمال يهبط الميدان فيقنط من النصر منذ الساعة الأولى . وقواد الميدان شرحون له خطة للهجوم على بغداد ومصر فيعارض فيها معارضة شديدة . فيحاول فلكنهين أن يستميله بالرشوة ويرسل اليه صندوقاً مملوءاً بالذهب . فيعيده اليه مصطفى كمال معتقراً تلك الوسائل الحقيرة لكسب القلوب

وفي ذات يوم انعقد المجلس الحربى مباشرة تنفيذ الخطط الحربية . فيهوى مصطفى كمال على القواد بنقد جارح . ويسود المجلس جو من النقاش الحامى . ويوجه فلكنهين الى مصطفى كمال كلاماً جارحاً . فيرد عليه كمال بقارص الكلام . ثم يستقر رأيه على الاستقالة . . فلا يقبلها أنور . فيصر كمال عليها . فيقول أنور إنه سينقله الى ميدان أرضروم . فيرفض كمال العودة الى ذلك الميدان الذى لم يعد فيه نشاط حربى . فيرى أنور أن خير طريقة للتخلص من هذا الموقف الشاذ هو منح كمال إجازة مرضية الى أجل غير مسمى . ولكن فلكنهين لا يوافق على الاجازة ويرى محاكمة القائد المتمرد امام مجلس عسكرى ، وأخيراً يستقر رأى على الاجازة المرضية

ويعود مصطفى كمال الى استامبول بال يقتضيه من جمال ، مؤثراً البطالة على
المواقفة على خطط حرية يرى أنها لاشك فاشلة

مع هند نبرج في خط النار

مصطفى كمال مقيم في فندق ييرا بالاس باستامبول
وفي صباح ذات يوم يصدر اليه الأمر بمصاحبة ولي العهد محمد وحيد الدين في
رحلة إلى خط النار في الميدان الغربى
يالهنا من فرصة سعيدة !

المانيا تشعر بما يجيش في صدور الترك من القلق على مصيرهم ، فترتب تلك الزيارة
الشاهانية وتدعو محمدا الخامس لزيارة الميدان الغربى ، فتعذر الحكومة العثمانية
بمرض الخليفة ، وتنيب عنه ولي عهده ، وتلحق به كلالا الشائر على المانيا والحرب
في صف الالمان ليرى بعين رأسه عظمة الالمان في خط النار

فكرة بديعة من أنور . . وسيعود كمال من تلك الزيارة متحمساً لالمانيا ، عاملا
على مساعدتها والتضحية بكل مرتخص وغال في سبيل نصرتها . .

مصطفى كمال يدرك كل ذلك في طرفة عين . فيتسم ابتسامته الصفراء . ويذهب
هو وناجى بك استاذ فن التريية العسكرية بالمدرسة الحرية إلى السراى ليقابل ولي
العهد ويتعرف اليه قبل مصاحبته في السفر

ويرى الرجلان ولي العهد محمد وحيد الدين : كهلا خائر الاعصاب خامد العقل
لا يفيق من نومه - أو تناومه الدبلوماسى . . . ولا تبدو عليه بارقة من الذكاء !
ويتساءل مصطفى كمال :

— كيف يهيمن هذا الابله على مصير الأمبراطورية العثمانية في يوم من الأيام ؟
ويحين السفر ، فيذهب ولي العهد الى المحطة في حلة ملكية - مع أن مصطفى
كمال كان قد نصحه بلبس الحلة العسكرية - لأنه موفد في بعثة عسكرية . .
وظهر بعد التحرى أن ولي العهد (زعلان ..) فقد انزلت رتبته من فريق إلى
أمير لواء ، وهو لذلك يرفض أن يلبس الحلة العسكرية ويؤثر عليها الحلة المدنية في
زيارة خط النار !

ثم يعرض ولى العهد الجنود المصطفين لوداعه ، فيجهل أبسط قواعد العرض
العسكري ، ويكاد الجنود انفسهم يضحكون لفرط جهله وبلاهته . .

ثم يقوم القطار ويحتاز الحدود التركية فى طريقه الى المانيا
ويدعوه ولى العهد إلى صالونه ، فيدخل عليه مصطفى كمال فتأخذه الدهشة :
فقد تبدل ولى العهد رجلا آخر غير الرجل الحامل الذى لا يكاد يفوق من نومه ،
والذى يجهل كيف يعرض الجنود . .

تبدل ولى العهد فظهر فى لمحاته ولفحاته وبريق عينيه دهاء وبعد نظر . .
وظهر لمصطفى كمال بعد ذلك أن تلك البلاهة التى كانت تبدو على وحيد الدين
لم تكن إلا نقابا يخفى به ولى العهد أهليته للحكم ، فقد كان فى تقاليد خلفاء آل عثمان
أن يكون ولى العهد خاملا جاهلا لا يكاد يخرج من جناح الحريم ، وإلا فالنقمة تنصب
عليه من الجالس على العرش . . ! !

ما بال ولى العهد يمتدحه وينثى على شجاعته فى معركة الدردنيل ؟
إنه يقول له فى حماس ظاهر :

— انك انقذت الآستانة ، وبذلك انقذت كل شيء . .

ثم يتلطف معه فى الحديث ويحاول أن يحتكر قلبه . . فيطمئن مصطفى كمال
إليه ، ويرى فيه خليفة الغد وصديق المستقبل ، فيحاول أن يضمه إلى صفه ، ولذا نراه
يحدثه حديثاً طويلاً يخرج منه ولى العهد بأن الأمة التركية فى موقف عصيب : فهى على
نكاسة ظاهرها قوة وجبروت ، وباطنها غرور وسوء تقدير . وهؤلاء الالمان الذين
دعوه لزيارة معسكراتهم لا شك منهزمون ، وسيرونها ما يريدون هم أن يرى . وأنه —
أى مصطفى كمال — سيكون له خير ناصح ، فيطلعه أولافأولا على مواطن الضعف
فى صفوفهم ، حتى إذا ما خلصت له الخلافة عمل على التخلص من نيرهم لمصلحة بلاده . .
ويصل القطار إلى بلدة صغيرة فيها المعسكر الالمانى الكبير . فينزى ولى العهد
تبعه حاشيته ويتوجه إلى حيث وقف أمبراطور المانيا وهندنبرج ولودندورف وغيرهم
من كبار القواد ، فيسلم عليه ويقدم له حاشيته فرداً فرداً — وفى طليعهم مصطفى كمال —
ويحاول أن يذكر للأمبراطور طرفاً من تاريخه ، فيصيح الأمبراطور صيحة كلها
إعجاب ودهشة :

— الفيلق السادس عشر . . أنا فارطة !

ويلتف الجمع الحاشد حول مصطفى كمال يفحصونه ويدون الاعجاب به !
ثم يعود الامبراطور إلى الحديث فيسأله عما إذا كان حقيقة بطل أنا فارطة .

فيجيبه مصطفى كمال بالفرنسية : - Out, Excellence
أى « نعم يا صاحب السمو » وكان الواجب يقضى بأن يقول : « نعم يا جلالة
الأمبراطور »

ثم تذهب البعثة التركية إلى مكتب المارشال هندنبرج أكبر رجال الحرب في ألمانيا ،
فيفق الشيخ الجليل أمام خريطة الميدان ويلخص لولي العهد خططه الحربية بأسلوب
شائق ولباقة ساحرة تؤثر في ولي العهد أبلغ تأثير ، وفي ركن من أركان المائدة يجلس
مصطفى كمال جلسة الفاحص المدقق ، فلا تؤثر فيه لباقة هندنبرج ، بل على العكس -
يدو عليه القلق الشديد

ثم يذهب ولي العهد إلى مكتب لودندروف ، فيعيد على مسمعه حديث هندنبرج ،
فلا يطيق مصطفى كمال صبراً ، ويقطع على لودندروف حديثه بسؤال عرج :
— إلى أى خط تستطيع القوات المهاجمة أن تصل في النهاية ؟

فيرتبك لودندروف ويقول بلسان متلعثم : « إنهم وكلوا غاية الهجوم للمستقبل »
فرد عليه مصطفى كمال في حدة ظاهرة ، بأن الغاية من الهجوم لا تحتاج إلى شرح
طويل ، فهو هجوم موضعى لا يرجى منه خير - حتى في حالة النجاح !

ويعود ولي العهد إلى الفندق فيلفت مصطفى كمال نظره إلى خطورة موقف
الامان ، ويلقنه بضعة اسئلة ليوجهها إلى الامبراطور في زيارته التالية

وبيناهم في حديثهم ، إذا بالامبراطور يقبل عليهم ويجلس معهم ، فيتتيز وحيد الدين
تلك الفرصة ليوجه اليه سؤالاً من اسئلة مصطفى كمال المخرجة ، فيقوم الامبراطور
غاضباً ويقول لولي العهد :

— ألاحظ يا صاحب السمو أن هناك من يحاول تشويش ذهنكم ! !

ثم يقول إنه هو الأمبراطور ، وإنه يقول إن ألمانيا منتصرة ، ، ويخرج من عند
ولي العهد وقد عرف تماماً أن مصطفى كمال هو صاحب هذا السؤال المخرج . .

وتجتمع البعثة على مائدة الامبراطور وبعد تناول الطعام يذهب المدعوون إلى
الردهة المجاورة لقاعة الطعام ، فيرى مصطفى كمال هندنبرج واقفاً وحده ، فيتوجه
اليه ويحدثه عن الحالة في الميدان الشرقى ، ويظهره على جلية الحالة في سوريا ، ويبين

له أن الارتباك الواقع في صفوف الأتراك شديد ، ثم ينتقل إلى الميدان الغربي فيسأله نفس السؤال الذي وجهه للودندورف ، ، فيصمت هندنبرج ، ، ثم يتوجه الى مائدة كانت بجواره فيتناول منها لفافة من التبغ يقدمها لمصطفى كمال ويشعلها له ، ثم يتركه وشأنه !

ويدعى ولي العهد لزيارة خط النار بعد أن توضع له خطة مرسومة ، فيأتي مصطفى كمال الا أن يخرج على تلك الخطة ، ويرتقى شجرة عالية تطل على صفوف الأعداء ويتطلع الى الميدان بمنظاره المكبر ، فيهوله الموقف ، ويهبط الى الأرض ليسر الى الضباط الألمان بهواجسه ، فيواقفوه عليها

وبعد بضعة أيام يقيم لهم والى الانراس وليمة عشاء ، ويجلس الوالى إلى المائدة ليتحدث عن الأرمن والمشكلة الأرمنية ، ويحض ولي العهد على التدخل في الأمر لمصلحتهم ، فتثور نائرة مصطفى كمال ويقول له :

— يا حضرة الوالى : نحن بعثة عسكرية جئنا إلى هنا للنظر في حالة الميدان الغربى وتعرف حقيقة الموقف في بلاد تحالفنا معها واعتمدنا عليها ، ولم نحضر للتحدث في مسألة الأرمن . وقد فهمنا ما نريد أن نفهمه . وها نحن أولاء عائدون إلى بلادنا أخيراً . . .

وكانت تلك الكلمة القاسية آخر كلمات مصطفى كمال في تلك الزيارة التى حسب لها الألمان ألف حساب

انتقام بديع !

عجيب والله أمر هذا الرجل الذى يكذب الدنيا كلها عندما يقول إن المانيا ستتهزم ! وأعجب من ذلك أن يذهب الى المانيا نفسها فيقول لامبراطورها وماريشالها لأعظم : « أتم منهزمون ! »

وفى طريق العودة الى الوطن نراه يحيك شباكه حول ولي العهد وخليفة الغد ، فيوعز الى ناجى بك بأن يقبل منصب الياوران الذى عرض عليه . وكان متردداً فى قبوله . ليكون له عوناً فى السراى . ثم يقابل ولي العهد ويدور بينهما الحديث التالى : — أتم لم تصبخوا سلطانا بعد . وقد رأيتم فى المانيا كيف ان الامبراطور وولى

العهد وسائر الأمراء يتقلدون مناصب عسكرية ، فلماذا تكونون أتم بعيدين عن هذه المناصب ؟

— ماذا أستطيع أن أفعل ؟

— عندما تعودون الى الآستانة ، اطلبوا قيادة جيش من الجيوش وسأكون لكم رئيس أركان الحرب

— قيادة أى جيش ؟

— الجيش الخامس

وكان هذا الجيش هو المنوط به أمر الدفاع عن البواغيز ، وكان تحت قيادة ليان فون ساندرس

— ولكنهم لا يعطونى هذه القيادة !

— اطلبوها أتم

— عندما نعود الى الآستانة نفكر فى ذلك

وتعود البعثة الى الآستانة بعد أن تسبقها اشارة دبلوماسية بأن القيادة الألمانية العامة لم تكن مرتاحة الى وجود مصطفى كمال فى صحة ولي العهد

ويرى أنور أنه أخفق فى سياسته ، إذ ازداد كره مصطفى كمال للامان وحقده عليهم ، فيصمم على إقصائه عن مناصب الدولة ، وازاء ذلك يظل مصطفى كمال عاطلا عن العمل ، وتتوعدك صحته فينصح له الأطباء بالسفر الى فينا ، فيسافر اليها ، ثم ينتقل الى كارلسباد ، وهناك يفاجأ بنبأ وفاة الخليفة وتنصيب وحيد الدين بعده يا للأسف ! لقد فوت عليه مرضه فرصة الاتصال بالخليفة الجديد قبل أن يضمه أنور الى صفه

وبعد أيام تصله رسالة برقية من جواد عباس بك يدعوه فيها الى الحضور على وجه السرعة ، وتتلوها برقية أخرى تحضه على التعجيل بالسفر ، فيغادر كارلسباد فى ٢٧ يولييه سنة ١٩١٨ ، وفى فينا يصاب بالحمى الاسبانيولية فيضطر الى الاعتكاف حينا وأخيراً يعود الى العاصمة ويطلب من عزت باشا سرياور الخليفة تحديد موعد للمقابلة ويتقابل صديقا الأمس وقد وضع أحدهما على رأسه تاج السلطنة ، فيقدم وحيد الدين لمصطفى كمال لفافة من التبغ ويشعلها له بنفسه مبالغة فى اكرامه ، وعندما يعيد مصطفى كمال على مسامعه أفكاره وهو اجسه ، ويطلب منه تقلد القيادة العامة للجيش

العامل ، يسأله السلطان عن آراء كبار الضباط في ذلك ، ثم يختم المقابلة على لا شيء
وفي مقابلة ثانية يراوغه السلطان أيضاً

وفي مقابلة ثالثة يريد السلطان أن يقطع عليه خط الرجعة ، فيقول إن تزويد
أهل استامبول بالغذاء أهم من أى شيء آخر ، وأنه لذلك يفضل البدء بهذا العمل
الانسانى . فيرد عليه مصطفى كمال بأن سلامة البلاد قبل تموين العاصمة بالغذاء ، وان
السلطان ان لم يعتمد على القوة فسلطنته اسمية . . . وعندئذ يقول الخليفة وقد صمم
على معارضته :

— لقد تذاكرت مع طلعت باشا وأنور باشا فيما يجب عمله
إذاً لقد انتصر أنور ، وانهارت آمال مصطفى كمال في تسيير الخليفة وفق رغباته
حتى يقاوم نفوذ الامان ، ويجد لتركيا مخرجاً من تورطها معهم
وبعد أيام يطلب السلطان مقابلته بعد صلاة الجمعة ، فيدخل عليه فيجد معه قائدين
المانيين ، ويهش الخليفة له ويهش ويقول :

— قد عيناك قائداً لسوريا فالحالة هناك تشتد خطورة يوماً عن يوم ، مما يستدعى
ذهابكم اليها ، وكل ما أطلبه منكم هو أن تحافظوا على تلك الجهات فلا تدعوا سبيلا
لوقوعها في يد الأعداء

.

قائد لسوريا ؟ قائد لجيش منهزم ! ؟
مصطفى كمال يخرج من عند الخليفة نائراً متأجباً ، فيعترض أنور سبيله وهو
يبتسم ابتسامة الظفر ، فيقول له مصطفى كمال :

— مرحى ، أهنئك لقد انتصرت ! ومادام الأمر قد أصبح واقعاً فلتتكلم في
التدابير المعقولة : لقد علمت أن قواتنا المحاربة في سوريا مظاهر اسمية لاغير ، وأن
تعييني في تلك الجهة انتقام بديع . . ثم انكم خالقم الأصول المرعية إذ جاءني الأمر
على لسان السلطان نفسه . .

ولا يتم حديثه بل يسير في طريقه الى الشارع فيسمع اهانة يوجهها أحد القواد
الامان الى الجيش التركي ، فيلتفت اليه في غضب ويقول : «إن الجيش التركي اذا كان
قد فر من الميدان ، فلائن قائده الأعلى - الالمانى - سبقه إلى الفرار !!»

الجهة المنحلة

مصطفى كمال موقن أن رحلته السورية هي آخر فصل من فصول المأساة الكبرى :
مأساة الحرب العظمى

وهو متشائم إلى أقصى حدود التشائم ، فالخريطة الحربية التي قدمت له تدل على أن جهة سوريا منحلة بدون قتال . والحالة في العاصمة تنذر بالخطاة الأليمة التي ترقبها حكومة الباب العالي

وبعد رحلة شاقة يصل إلى الخطوط التركية الممتدة بين شمالي يافا وسكة حديد الحجاز ، فيعيه ليمان فون ساندرس قائداً للجيش السابع في القلب

الجيش السابع - وسائر الجيوش التركية في سوريا - في حالة بؤس شديد :
فعددها لا يكاد يتجاوز عشر العدد المطلوب ، والمؤن والذخائر في حكم العدم ، والصحراء تسفى الرمال على جنود أوهمهم الجوع والظلم وفكت بهم الحيات ، والحالة المعنوية مما لا يشرف الجيوش التركية التي صمدت للنكبات في غير هذا الزمان والمكان .
ولكننا نعود فنقول ان من الظلم أن نلومهم على هذا التخاذل فان ما تحملوه كان فوق طاقة البشر

فاذا سرنا بضعة أميال إلى الجنوب رأينا معسكرات الانجليز حيث العدد العديد والمؤن الوفرة والذخائر المكدسة والمواصلات السهلة ووسائل التسلية والعلاج
وعلى جانبي سكة حديد الحجاز نرى عصابات من العرب يقودها الجاسوس لورانس ويلحق بخطوط الترك ومواصلاتهم أبلغ الاضرار

الشواهد كلها تدل على هزيمة الترك . ومصطفى كمال يرى ذلك بعينه فيبدل جهود الجبارة لاصلاح ما أفسده الاهمال والفوضى

وفي ذات يوم يبلغه رأفت قائد الجيش الثامن على الساحل نبأ القبض على ضابط هندي فار من خطوط الانجليز ، وأن هذا الضابط يقول ان الانجليز سيجمعون على خطوط الترك من جهة الساحل في ١٩ سبتمبر فيتناقش قواد الجهة من الاتراك طويلا ، ثم يستقر رأيهم على الاستعداد لهذا الهجوم ، ويطلعون قائدهم الأعلى ليمان فون ساندرس على قرارهم هذا فيسخر فون ساندرس منهم ويزعم أن الضابط الهندي ما هو إلا جاسوس أوفده الانجليز للضحك على ذقون الترك ، وأنه يرى أن الانجليز

سيهجمون على الاتراك بالقرب من سكة حديد الحجاز، وهو لذلك يأمر بتقوية تلك الجهة
بيد أن مصطفى كمال لا يوافق على رأيه، ويعمل على ألا يسحب من جيشه
أحد للدفاع عن سكة حديد الحجاز، ويأخذ في الاستعداد لهجوم الانجليز
وفي فجر يوم ١٩ يهجم الانجليز على قلب الخطوط التركية وعلى ميسرتها من
جهة الساحل، فيصدق الضابط الهندي

فأما القلب - بقيادة مصطفى كمال - فيصمد للهجوم، وأما جيش الساحل فيحترقه
الانجليز، ويتجهون شمالاً ثم شرقاً لقطع خط الرجعة على سائر القوات التركية
وهنا يدرك كمال حرج الموقف، فيتراجع بقواته الى أقرب محطة اليه، وينقل
قواته إلى درعة في الشمال

وناهيك بحملات الاعراب على فلول الترك بقيادة الجاسوس لورانس . . انهم
ينسفون الجسور ويعطاون القطر ويقطعون السكك الحديدية، انهم يسممون
الآبار، ولذلك يأمر مصطفى كمال بالتراجع إلى دمشق

وهناك يطلب فون ساندرس اليه أن ينظم خط دفاع عند رياق، بيد أن الحالة
المعنوية للجيش، وثورة العرب، وسرعة تقدم الانجليز لا تسمح بذلك، ثم ان
مصطفى كمال يرى أن حدود تركيا نفسها أصبحت في خطر، ومن الواجب ترك
سوريا للانجليز والتراجع المنظم إلى الحدود التركية للدفاع عنها

ولكن فون ساندرس يتردد في تنفيذ هذه الخطوة، ويقول انه - وهو الالماني -
لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية التخلي عن جزء مهم من أملاك الامبراطورية العثمانية،
فيأخذ مصطفى كمال المسؤولية على عاتقه ويصدر أمره بالتقهقر الى شمالي حلب

وهناك يشعر بأن الحالة أصبحت لا تطاق، فالعرب ثائرون، وكلما تقدم الانجليز
خطوة ازدادوا ثورة وعصيانا، ثم ان جماعة من العرب يهاجمون سيارته وهو عائد
الى مقر القيادة في فندق « بارون » بحلب، وفي اليوم التالي يراهم متجهين حول
الفندق وقد بلغ بهم التمرد درجة الغليان

اذاً لابد من مغادرة حلب أيضاً والاعتصام بالخطوط الدفاعية في الشمال، وهناك
يلم مصطفى كمال شعث جنوده ويعيد تنظيمهم، ثم يخطب فيهم حاثاً اياهم على الاستماتة في
الدفاع، فهم الآن لا يدافعون عن أملاك الامبراطورية العثمانية وانما يدافعون عن الوطن
نفسه، الوطن الذي أصبح في خطر . .

الجنود يتحمسون للقتال ويحسنون الدفاع عن مراكزهم عندما تهاجمهم القوات الهندية الزاحفة الى الشمال . ويقف المهجوم الانجليزى أياماً فى انتظار الامداد من الجيش الرئيسى فى الجنوب

وفى تلك الازمة العصية تبرق الحكومة التركية الى مصطفى كمال بأنها عقدت الهدنة مع الحلفاء ووقعت على صلح مودروس ، وتبرق الحكومة الالمانية الى فون ساندرس بوجوب العودة الى المانيا هو وسائر ضباطه الألمان

الرجلان الكبيران : ليمان فون ساندرس ومصطفى كمال يتقابلان فى احدى قهوات آطنة ، فقد دنت ساعة الوداع

كلاهما رجل كبير وجندى حديدى الارادة

الصمت يسود بينهما بضع دقائق . ثم يقطع فون ساندرس على مصطفى كمال جل تأملاته بقوله :

« لقد عرفتم يا صاحب السعادة منذ قيادتكم فى أنا فرطه . وانى لفخور بأنى كنت أول من عرف لكفاءتكم قدرها . ولقد اختلفنا كثيراً . ولكننا رغم ذلك كنا صديقين حميمين . وانى اذ أعود الى وطنى الآن - أجد العزاء فى تركي القيادة لرجل حازم مثلكم »

مصطفى كمال يمد يده لصديقه ويصافحه بحرارة . ثم يفترق الرجلان

ويل للمغلوب !!

مصطفى كمال معسكر بجيشه فى آطنة ، فاذا دخلنا مكتبه رأيناه منحنيّاً على شروط معاهدة مودروس القاسية ، يقتلها بحثاً وقد قطب جبينه وظهر عليه التأثر الشديد ثم يتناول ورقة ويكتب الى عزت باشا رئيس الوزارة برقية طويلة يسأله فيها عن مدى قوة المادة التى تنص على احتلال أنفاق طوروس ، وهل تشمل النفقين المعروفين بهذا الاسم ، وهل يقع الخط الحديدى الذى يمر بهما فى دائرة الاحتلال ، وهل تحتل أنفاق أمانوس ؟ كما يسأله عن عدد الجنود الذين سيحتلون الأنفاق ، وعن موقف الحلفاء من آطنة التى تعتبر جزءاً من تركيا نفسها ، وعن سيأمر بتسريح الجيش التركى ، فيجيئه الرد بما لا يشفى غليلاً وإن كان ينص على أن الاحتلال لا يشمل

أُنفق أمانوس نفسها ، وإن عدد جنود الاحتلال سيقدره الحلفاء
فيعجب مصطفى كمال لهذا الرد الناقص وهذا الغموض الذي يحيط بالمعاهدة التي
حكمت على تركيا بالفناء ، ويرى الى عزت باشا قائلاً :

« هل تسمح الحكومة بالاحتلال إذا كان عدد الجنود المحتلين كبيراً الى حد
السيطرة على جميع الأناضول ؟ »

ويتساءل عن حدود آتنة ويخشى أن تضم الى سوريا ، ثم يطلع الحكومة على
تصميم الحلفاء على احتلال اسكندرونة ويقول في آخر رسالته :

« اتنا اذا شرعنا في تسريح جيوشنا والاقبال للانجليز في كل شيء قبل الاستعداد
لمواجهة سوء النية والغموض في نصوص المعاهدة ، فانا نكون قد مهدنا السبل
لأطاع انجلترا »

فيجيبه الرد بوجوب التلطف مع الانجليز وعدم مقاومة احتلال اسكندرونة « لأنهم
سوف لا يستفيدون منها الا كما يستفيد الضيف من مضيفه » فيرد عليه مصطفى كمال قائلاً :
« ليس الانجليز على حق في الاستفادة من اسكندرونة وتموين جيوشهم العسكرية
بحوار حلب منها ، فان في حلب كميات جسيمة من الذخائر ، ثم إن المادة الحادية
والعشرين من شروط الهدنة تشير الى إمكان تدارك الذخائر من أطراف كليش
وعينتاب اذا اقتضى الامر تموين القوات الانجليزية العسكرية في حلب ، وإنى أؤكد
لحضرتكم أن الغرض من تلك المناورة الانجليزية لا يمكن أن يكون تموين الجيوش
الانجليزية الموجودة في حلب ، بل ان الانجليز يريدون احتلال اسكندرونة ثم التوجه
بطريق اسكندرونة - قيريق خان - قاطمة - لقطع خط الرجعة على الجيش السابع
الموجود في خط - انطاكية - دير جمال - آخترين ، فلا يجد هذا الجيش مناصاً عن
التسليم ، وقد فعل الانجليز مثل ذلك مع الجيش السادس في الموصل ، ومما يؤيد هذا
الظن شروع الانجليز في تقوية العصابات الأرمنية حول اصلاحية

« وإنى أقول لكم بكل صراحة اننى لست الرجل الذى يقدر بمجاملة المندوب
الانجليزى فيدفعه هذا التقدير الى بذل ماء الوجه - أى التلطف المطلوب »

وعلى ذلك فهو يأسف لعدم استطاعته اجابة طلب عزت باشا ، ويقول انه أصدر
أمره الى قواته بمقابلة الانجليز الذين سيخرجون الى اسكندرونة لأى سبب وبأية
وسيلة - بالرصاص ! وإلى الجيش السابع بالتحرك الى الحدود الداخلية حتى يفوت

على الانجليز فرصة أسره ، ويختم برقيته بتقديم استقالته وطلب تعيين من يسمح له ضميره بارتكاب هذه الأغلاط الفاحشة

حتى اذا ما نجح الجيش السابع من الأسر ، يصر عزت باشا على وجوب تسليم اسكندرونة للانجليز ، فيرى مصطفى كمال ألا يحيص عن التسليم فيلغي أمره السابق بإطلاق الرصاص على الانجليز ، ويطلب من عزت باشا أن يأمر بتسريح الجيش السابع مع الابقاء على اسمه التاريخي « وحدة جيوش الصاعقة »

ثم يجلس الى مكتبه ويحضر الى عزت باشا برقية مطولة يقول فيها ان الهدنة التي عقدت مع انجلترا لا تشمل على الضمانات التي تكفل سلامة البلاد ، وانه لذلك يلح في وجوب الاسراع بشرح مدلول كل مادة من المواد المهمة ، والا فان انجلترا ستطلب أكثر مما طلبت وتطمع في آتنة وخط قونيا - أزمير . . ولا يبعد أن تطلب بعد ذلك احتلال البلاد كلها وتطالب بحق الاشراف على شئون البلاد الداخلية - شأنها في كل معاهدة مطاطة تليها على شعب ضعيف

وبعد أيام تستقيل الوزارة ، ويرق عزت باشا الى مصطفى كمال ملحاً في وجوب حضوره الى العاصمة . فيذهب اليها على جناح السرعة فيسمع أن الدول المحتلة أرادت أن تتدخل في سياسة الدولة ، وان السلطان أخذ على عزت باشا سماحه لأنور وطلعت بالهرب الى مياه البحر الأسود مع أنه كان يريد تسليمها للانجليز ، فيستقيل عزت باشا ويؤلف الوزارة بعده صديق الانجليز وعدو أمته : توفيق باشا

يسمع مصطفى كمال بكل ذلك فيذهب الى عزت باشا ويحاول اقناعه بالعدول عن استقالته وتأليف وزارة جديدة يكون هو وزير حرييتها . ويهرع الى مجلس المبعوثان في قصر فندقلى حيث يقابل عدداً كبيراً من النواب ويقنعهم بوجوب الحملة على وزارة توفيق باشا والعمل على إسقاطها واعادة عزت باشا الى كرسى الرئاسة ، وانه لا خطر عليهم من ذلك فالجلس لاشك سيحل ، ومن الوطنية ألا يعترف بوزارة خائنة كوزارة توفيق باشا

ويدق جرس الرئيس إيذاناً بافتتاح الجلسة ، فيبادر الأعضاء الى مقاعدهم ويطلب عليهم مصطفى كمال من احدى الشرفات ، فلما تعرض عليهم الثقة بالوزارة يوافقون عليها بأغلبية الاصوات !!

مصطفى كمال يلعن النواب ورجال السياسة كلهم . . ويهرع الى المسرة فيطلب

مقابلة الخليفة لينذل لديه المجهود الأخير . ولا يكاد يدخل عليه حتى يبادره هذا بقوله :
— اننى واثق من أن قواد الجيش وضباطه يحبونكم . فهل تؤكد أنه لن ينالني
منهم أذى ؟

فيجيبه مصطفى كمال في دهشة :

— وهل وصلتكم يا مولاي معلومات عن الجيش تشعر بتدبير يقوم به ضدكم ؟
فيغمض وحيد الدين عينيه ويكرر سؤاله الأول . . فيقول مصطفى كمال انه وصل
الى العاصمة من بضعة أيام ، وانه على كل حال لا يشك في اخلاص الجيش لمولاه . .
فيقاطعه الخليفة بقوله :

— أنا لا أتحدث عن اليوم وانما أتحدث عن اليوم وعن الغد
فيفهم مصطفى كمال سوء نيته وما يبيته للوطن من خيانة هائلة ، فيخرج من لدنه
ساخطاً عليه نائراً على السلطنة وعلى الخلافة
وبعد بضعة أيام يحل مجلس المبعوثان ويؤلف الوزارة الجديدة الداماد فريد
والآن ندعه يصور لكم استامبول المحتلة :

« وكنت وأنا في بيتي في « شيشلى » أرقب الحالة الجديدة عن كلب . وكانت
الاستانة تعج بجنود الحلفاء . وكان السفور يموج بمدركاتهم التي صوبت أفواه
مدافعها ذات اليمين وذات الشمال حتى غطت زرقتها . وكان الناس لا يخرجون من
منازلهم الا للضرورة القصوى ، فإذا خرجوا تسللوا بجوار الجدران خشية التعرض
للاهانة . وكانت المناظر المفجعة لا تكاد تنقطع . . فقد لبست الآستانة العظيمة ثياب
الذل والخنوع ، وخفتت أصوات مئات الألوف من سكانها فلا تسمع فيها الا أصوات
الأعداء وقعقة سلاحهم . . ومن عجب أن نرى أناساً يتصورون قيام السلطنة
والحكومة والحياة في هذا الوسط الذي كانت تطؤه الأقدام كما تطأ الخرقه القدرة ! »

ثم الكتاب الاول

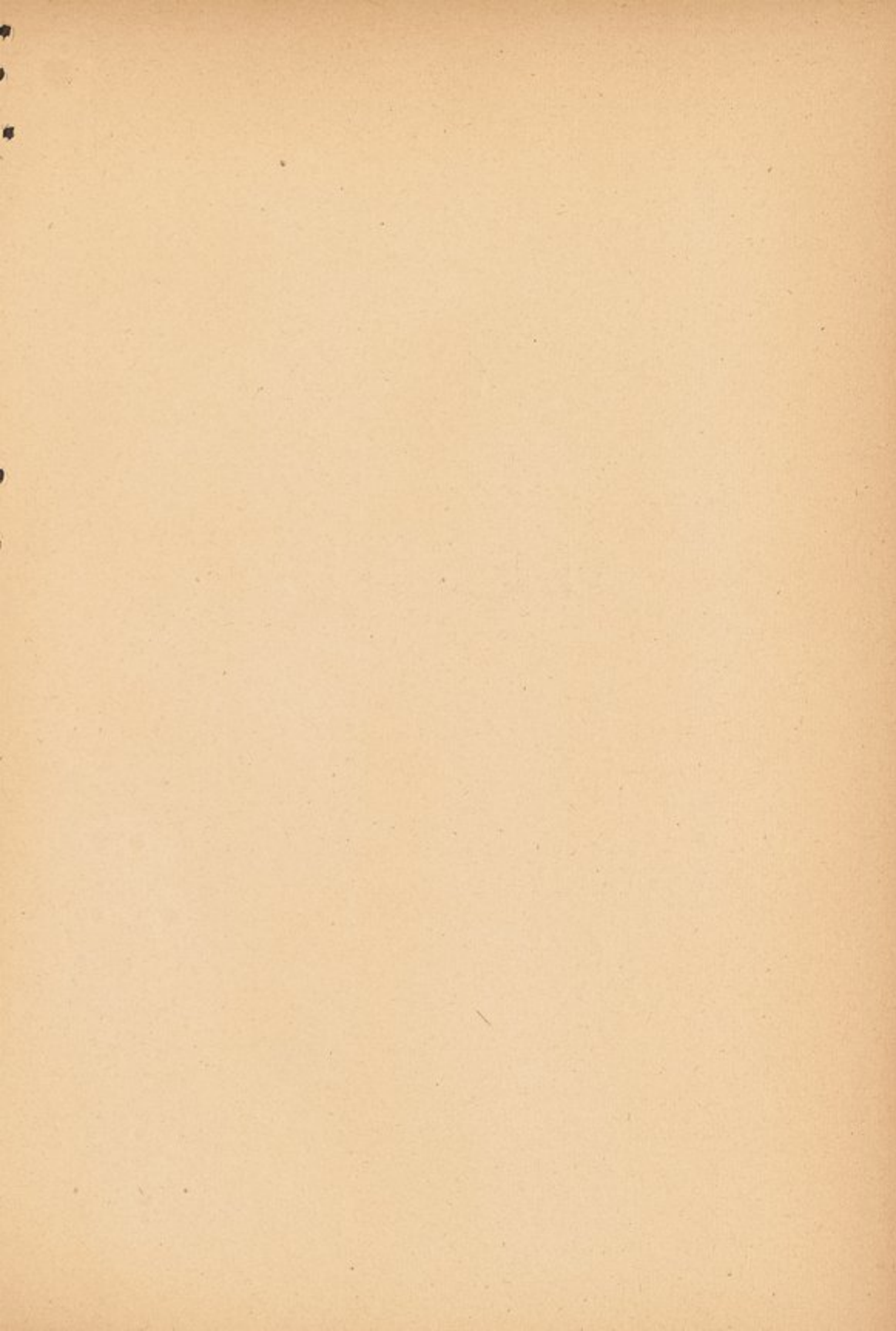


الكتاب الثاني

جهاد واستقلال

« نعم سيصبح الوطنيون عبيداً إذا
انهزموا. ولكن شتان بين الرق بعد
الجهاد ، والرق بدون جهاد : فهذه أمة
جاهدت ثم قضت نحبها ، وتلك أمة ماتت
ميتة حقيرة بدون جهاد ! »

مصطفى كمال



مذبحة ازميز

مؤتمر الصلح الأعلى مجتمع في باريس
ولسن ولويد جورج وكليمانصو وارلاندو يبتون في مصير العالم
وفي ٦ مايو سنة ١٩١٩ يسعى فزييلوس سعيه المشهور فيخوله مؤتمر الصلح حق
احتلال ازميز احتلالا عسكريا تحقيقاً لمطامع اليونان في الأناضول
وتصدر الحكومة اليونانية منشورا تقول فيه ان احتلال ازميز العسكري اعتراف
شرعى بمطالب اليونان في غربى آسيا ، وانه حادث عظيم له مغزى جليل ، لأنه
جرى بموافقة جميع الدول العظمى . . .
وبذلك يرفع الستار عن أول مهزلة من سلسلة المهازل التي عرفت بشروط ولسن
وحق تقرير المصير ، وتثبت الدول التي احتلت تركيا أن صلح مودروس ليس الا
بداءة تطول بعدها مواده وتقتصر حسب الحاجة . وتثبت انجلترا بصفة خاصة أنها
لا تعرف « كلمة الشرف » في قاموسها السياسي والحربي
وفي ١٣ مايو سنة ١٩١٩ ينزل الجيش اليونانى - فى حمى اسطول الحلفاء -
لاحتلال ازميز

أهل استامبول يجتمعون فى مسجد السلطان احمد ويهتفون : « ازميز للترك ! »
ولا يعترفون بهذا الاحتلال الذى قذفه عليهم مؤتمر الصلح
أما حكومة الداماد فريد فلا تحرك ساكنا
وأما الخليفة فمن رأيه التسليم على طول الخط . وهو لذلك يوفد بعثة شاهانية
إلى والى ازميز تبلغه أن أمير المؤمنين وظل الله فى الأرض قد قضت ارادته بألا
يدافع الجنود عن المدينة فاحتلالها لاشك مؤقت ، وانجلترا دولة صديقة تسعى لما فيه
خير المسلمين !!

والآن ننقل الى ازميز : فماذا نرى ؟

نرى الاميرال كالثورب الانجليزى يصدر أمره الى قائد حصون ازميز بوجوب
اخلائها . ثم بيعت بمذكرة الى والى ينبئه فيها بقرار مؤتمر الصلح . ثم يطلق سراح
الذئاب اليونانيين على ما يشبه القطيع من سكان المدينة العزل ، فيدخلون المدينة
هاتفين : « زيتو فزييلوس ! » ثم يهرعون الى الشكنة العسكرية حيث الحامية التركية

التي سامت سلاحها فيطلقون عليها النيران . . فيحاول أحد الضباط الأتراك رفع الراية البيضاء فتصرعه طلقة من ضابط يوناني . . .

ثم يصدر الأمر بنقل الحامية التركية الى قطع الاسطول البريطاني ، فيسير جنود الحامية في الطرقات صفوفاً متراسة . فيتفكه اليونانيون بقتلهم الواحد تلو الآخر فلا يصل إلى الاسطول الا عدد قليل ! !

فاذا ضربنا صفحاً عن تلك المأساة فهذه ذى مأس أخرى أشد هولاً وأقسى عذاباً : فهؤلاء جنود يونانيون يرون إحدى المحصنات تجرى في الطرقات باحثة عن وحيدها ، فيتكاثرون عليها ويمزقون ثيابها ويعتدون على عفافها اشنع اعتداء وحشى وهى تصرخ وتولول . . .

وهذه امرأة حامل : يقر اليونانيون بطنها ويستخرجون منه الجنين فينتقمون منه قبل أن يولد ! !

وهؤلاء جنود يقتحمون المنازل ويقتلون ويعذبون ويتهكون الحرمات تحت سمع الانجليز والفرنسيين والايطاليين والامريكيين وبصرهم . . .

ثم يتشدقون بعد ذلك بأنهم انبل أهل الأرض معتداً وأعظمهم رفاً الوطنيون يصدرون كتاباً بالفرنسية يسجلون فيه وحشية اليونان وتواطؤ الحلفاء معهم . ويقدم استجواب عن تلك الفظائع في مجلس العموم البريطاني ، فتألف لجنة من الجنرال هار الانجليزى ، والجنرال نيوسكى الفرنسى ، والجنرال دوليو الايطالى ، والاميرال برستول الامريكى للتحقيق في فظائع اليونان . ولكننا نتساءل : هل ثبتت التهمة على أحد ، وهل حكم على يونانى واحد بالاعدام أو ما هو دون الاعدام ؟ !

ولا تسكاد تعود لجنة التحقيق الى اسطول الحلفاء حتى يعود اليونان الى أعمال القتل والسلب وهتك العرض . فاذا ما فرغوا من ازيمير زاهم في القرى المجاورة وخاصة في منيمين حيث يعيدون تمثيل مأساة ازيمير ويذبجون من الأتراك ما يربى على الألف بين طفل مسكين وشيخ كبير وعجوز محطمة وحامل وبكر ، ولا يدعون منزلاً واحداً حتى يقتلوا من فيه ممن لم يفرخوا الى القرى المجاورة ، وحتى ينتهكوا أعراضاً عزيزة

فلنسدل الآن على هذه المأساة ستار النسيان !

تركيا الممزقة ..

ماذا بقي من الامبراطورية العثمانية ؟
أماكها الشاسعة أصبحت أثراً بعد عين
وها هي ذى بلادها تمزق وتوزع على الحلفاء الظافرين :
فمنطقة البوغاز لـانجلترا . وأزمير وما حولها لليونان
ومنطقة قونية وأنطاكية وما حولها لـإيطاليا
والجنوب الشرقى من تركيا لفرنسا
والمنطقة الشمالية الشرقية للأرمن
وللائترك ما بقي بعد ذلك !

وليت الأمر يقف عند هذا الحد . بل ان ما بقي بعد ذلك كان مرتعاً خصباً
للجواسيس والجمعيات الهدامة التى أنشأتها العناصر المسيحية :
فهناك جمعية « موديميرا » وجمعية الصليب الأحمر اليونانية ، وجمعية الكشفية
اليونانية ، وجمعية الروم وعلى رأسها البطرك ساوين أفندى ، وجمعية « بوتوس »
فى طرابزون وسمسون ، وجمعيات أخرى فى ديار بكر وبتليس والعزير ، وجمعية
تدعو لانفصال الأكراد عن تركيا ، وجمعية أصدقاء الانجليز فى استامبول وعلى
رأسها وحيد الدين والداماد فريد ووزير الداخلية وغيرهم - وكان القس « فرو »
أهم أعضائها العاملين - وجمعية أصدقاء الأمريكان ، ووالح ..

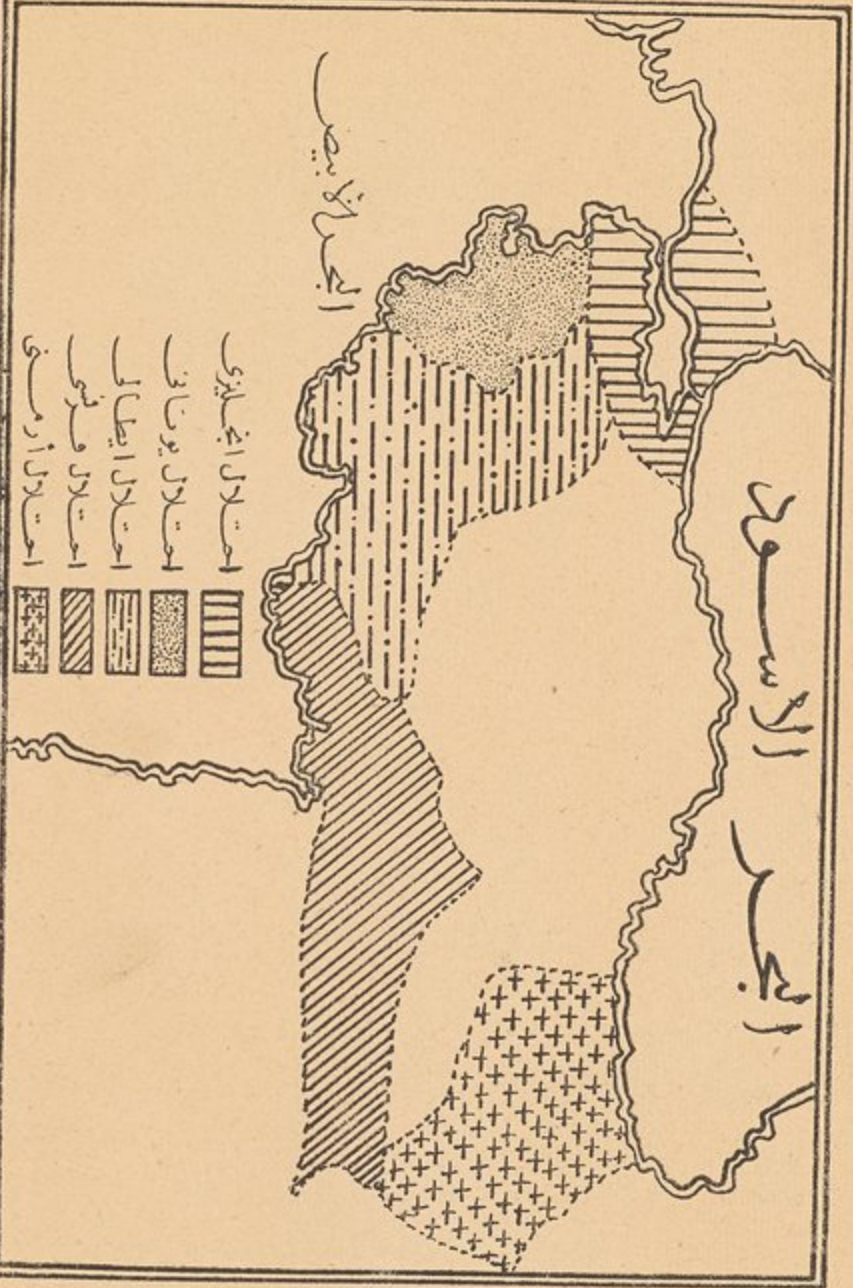
وتألفت الى جانب هذه الجمعيات جمعيات أخرى وطنية تعمل على مناهضة الدس
والدسائس ، نذكر منها جمعيات ادرنة ، وتراقية ، وباشا على ، وأرضروم ، والعزير ،
وطرابزون ، وأوف ، ولازستان ، وأزمير الخ الخ . . ولكن هل كان لهذه
الجمعيات برامج وطنية تسعى لتحقيقها بالوسائل العملية ؟ كلا . بل إن منها ما وضعت
برامج لا تكاد تعقل ، كجمعية تراقيا الشرقية والغربية اللتين عولتا على نيل الاستقلال
بمساعدة انجلترا وفرنسا !! وأما سائر الجمعيات الاخرى فكان رائدها انقاذ ما يمكن
انقاذه مع الاعتراف ببقاء الاحتلال

وفى هذا الحضم الزاخر بالجمعيات كانت الوطن ينتحر ! وكنت لا تسمع فى
استامبول الا النقاش البيزنطى ، وكثر أدعاء السياسة فأصبح كل نكرة من هلافت

البحر الاسود

البحر الابيض

- احتلال انجليزى
- احتلال يونسافى
- احتلال ايطالى
- احتلال فرنسى
- احتلال ارمينى



العاطلين يتشدد بوجوب الاعتراف بالحالة الراهنة والبقاء تحت نير الاحتلال حتى تستقر الأمور ، ثم تشرع الحكومة في مفاوضة الحلفاء واقناعهم بأحقية المطالب الوطنية ، كأن المفاوضة قبل الحرب تؤدي الى استقلال أو ما يشبه الاستقلال !
أما الجيش فكانت فلوله مازالت قائمة في قونية وأفيون قره حصار ودينزلي وأنقرة ونجدة وأزمير وباليكسر وبورسه وبندرمه وسيواس وأرضروم وديار بكر وكان أشبهها بالجيوش المنظمة جيش كاظم قره بكير في أرضروم

يد القدر

لم يعد عن الثورة من محيص
معجزة القرن العشرين توشك أن تتم
دعاة الاحتلال يسخرون من دعاة الثورة ويتمونهم بالجنون
وحكومة الداماد فريد تسلم للمحتلين كل شيء . والخليفة منكش في قصره وقد
عول على الرضا بما قسم له وقع من امبراطورية آل عثمان بعرض يجلس عليه في بلد
محتلة أرضه ، محتلة مياهه ، محتلة سماؤه
الثوار (المجانين) يؤلفون العصابات حول كل بلد احتله الحلفاء واليونانيون .
والاسلحة تهرب اليهم من حيثما وجدت وتحت أنف الحرس الانجليز
وحق اللصوص وقطاع الطرق يتوبون الى الله عما أسلفوا وينضمون بعصاباتهم
المسلحة الى عصابات الثائرين !
وأما قلب الاناضول فلا يكاد ينبض . ولكن الثورة مكبوتة في صدور المجاهدين
في انتظار الزعيم
فأين هو الزعيم ؟
ما كان يخطر ببال أحد أنه شخص معين بالذات ، فقد يكون كمالا ، وقد يكون
كاظم قره بكير ، أو رموفاً ، أو غير هذا وذلك من قواد الجيش ووزراء الدولة السابقين
أنا لا أشك في أن كل رجل من هؤلاء كان يفكر في الثورة . بيد أن كمالا الثائر
كان أسبقهم الى العمل المنظم
انه يذهب الى السراي ويقابل وحيد الدين مقابلة سرية فيعرض عليه الخليفة

وظيفة « مفتش عام لشمال الاناضول وحاكم عام للولايات الشرقية » ويصدر اليه الأمر بالسفر الى الاناضول وتسريح بقية الجيش العامل فيه والقضاء على حركاته الثورية ولكن لماذا اختار وحيد الدين كمالاً دون غيره ؟

هنا يقف المؤرخ متحيراً ولا يسعه الا أن يقول : هي يد القدر تعمى البصائر . .
وهي دبلوماسية بارعة من مصطفى كمال الداهية !

ومن عجب أن تعمى بصيرة الانجليز عن بطل الدردنيل الذي دحروهم قبل أربعة أعوام فتوافق القيادة الانجليزية الآن على ايضاده في تلك المهمة الخطيرة ، وكأنها تقول للهِشيم في الاناضول : هاك النار فاشتعل !

مصطفى كمال يودع أمه وداعاً عاجلاً ويذهب الى وزارة الحرية فيزورها زيارة قصيرة ، ثم يستقل السفينة وفي صحبته رأفت بك قائد الجيش الثالث في سيواس ، الى ميناء البحر الاسود ، الى شمال الاناضول

وبعد أن يفلت الصيد من الشباك يتنبه الخليفة الى غفلته ، والانجليز الى غلطتهم ، فيصدر الامر الى مصطفى كمال بالرجوع ، ولكن هيهات ! فقد وصل الى ميناء سمسون في ١٩ مايو سنة ١٩١٩ ، فلما وجدها تحت الاحتلال العسكري غادرها الى الداخل

وفي مدينة أفزا على جنوب سمسون تبلغه أنباء الاحتلال اليوناني لأزمير وما ارتكب فيها من فظائع وآثام ، فيعقد من أهل المدينة حفلاً يقوم فيه خطيباً - لأول مرة فيما نعلم - ويحض الأتراك على الثورة والدفاع عن الوطن والاعراض ، فتنهمر الدموع من المآقي ، ويتطلع اليه الجميع في أمل يعتوره اليأس . .

وينقل الجواسيس أقواله الى الانجليز في سمسون ، فيخابرون السلطات العليا في العاصمة ، فيصدر الامر بالقبض عليه ، ولكنه يفلت من قبضتهم إذ يفر الى أماسيا حيث لا احتلال ولا سلطة عسكرية ، وهناك يتنفس الصعداء ويشعر بحرية القول والعمل ، فيخطب في الجماهير كل يوم ، - بل كل ساعة - حاملاً على الانجليز حملة شعواء ، داعياً أبناء وطنه الى الثورة والقتال

ولكن أية ثورة ! وأى قتال ! وأين هو المال ؟ وأين الرجال ؟

مصطفى كمال لا يعرف المستحيل . ولذلك نراه يبادر فيدعو كلاً من رأفت وعلى فؤاد ورءوف - الذي استقال من وزارة البحرية وأخذ يؤلف العصابات حول أزمير -

فيجتمع الاربعة في أماسيا - وينضم اليهم عارف صديق مصطفى كمال الحميم - ويقررون:

- ١ - تنظيم جيش للدفاع عن أزمير وما حولها بدل العصابات غير المنظمة
- ٢ - بث روح الثورة في جميع المدن والقرى وانشاء مراكز لتدريب المتطوعين وجمع المال وتوفير الاسلحة والذخائر

٣ - تقسيم الأناضول الى ثلاث مناطق دفاعية : فالمقاطعات الشرقية من نصيب كاظم قره بكير ، والغرب من نصيب علي فؤاد ، والقلب يشرف عليه مصطفى كمال

٤ - اقامة حكومة مركزية للدفاع عن البلاد لاتكون لها صلة بحكومة السلطان .
على ان لا يتم تأليفها الا بعد استشارة نواب يثلون البلاد تمثيلا لاشائبة فيه

الخليفة سجين ! فلهوا معنا !

الزملاء يتفرقون كل الى جهة . ومصطفى كمال يحب القرى حول اماسيا وقد اتعشت آماله ووطد عزمه على الثورة وقتال المحتلين

انه يرى في المستقبل المظلم قيام الثورة في كل مكان . وقتال اليونانيين الذين راحوا يتقدمون بحافلهم وذخائر الحلفاء شطرق قلب الأناضول . . وانتصاره عليهم . . وامعانه فيهم قتلا واسراً . . وامعانهم في الهرب . . واملاه شروط الصلح على الحلفاء . . وخروج الحلفاء من تركيا . . وتحيتهم للعالم التركي الظافر . . وقيام الحكومة الكمالية في انقرة . . والغاء السلطة والخلافة . . وعلان الجمهورية . . والسير بتركيا في معارج الرقي حتى تصبح دولة كبيرة ذات خطر . . .

يرى كل ذلك بعين البصيرة فيزيل من أمامه تلك العقبات التي تتحدى قوة البشر ، ويعالط نفسه فلا يرى هذا الشعب المحطم والحكومة الخائنة والخليفة الخائن والفقير والبؤس واليأس . . . وبهذا الروح نراه يخاطب في الناس فيقول لهم ان الانجليز - اعداء الشرق والاسلام - وطدوا العزم على القضاء على تركيا ومحوها من عالم الوجود - تركيا الخالدة ، تركيا المجاهدة ، تركيا حصن الدين وسيف الاسلام . . وان اليونان سيقمون في قلب الأناضول حكومة ودولة . . وان الخليفة أسير في استانبول ولا يملك من الأمر شيئاً ، ولو أنه كان مطلق السراح لصاحبه في رحلته تلك ولكن أول من ينادى بالثورة وحمل السلاح في وجه العدو الغاصب . . والدليل المادى على أسره

أنه لم يحتج على فظائع ازميز - مع أن هذا الاحتلال تم بموافقة الخليفة ، وأنه هو نائب الخليفة وممثله جاء يحض الناس على اعلان الحرب الدينية والجهاد القدس . . « ثوروا لكرامتكم ، ودافعوا عن عرينكم ، وعن دينكم ، وعن أعراضكم الملوثة ، وتطوعوا في الجيش الاهلي لتقهروا اعداءكم واعداء الاسلام . . . »

يا للعجب !

ان هذا الرجل النحيل الشاحب الوجه يحرك كتلا صماء من اليأس والخور . . والحماسة تخلق مما يكاد يشبه العدم . . والجنود والضباط المتقاعدون يعثون من هنا ومن هناك ، ويهرعون الى حمل السلاح - وأى سلاح ! والى تدريب مئات المتطوعين وآلافهم !

ثم ينتقل من آماسيا الى ارضروم ، وهناك يقول : « ما بالكم لا تثورون ؟ ألا تعلمون أن انجلترا اللعينة وعدت الأرمن بجمهورية ارمنية تقام على انقراض ولايتكم وعلى قبورك ! ؟ » ففعل هذه الكلمة في الجماهير فعل السحر فيهبون للدفاع عن بلادهم ومقاومة الجمهورية الأرمنية المنتظرة . .

وفي ارضروم يتقابل الرجال الكيران : كمال وكاظم قره بكير ، فيطلع كمال زميله على قرارات آماسيا فيوافقها عليها ، ثم يغادر كمال البلدة ويطوف بالقرى المحيطة بها لتنظيم القوات الدفاعية ، داعيا الضباط والجنود الى عدم تسليم اسلحتهم للحكومة لأنه - باعتباره ممثلا للخليفة - يأمرهم بذلك

وبعد بضعة أيام تصله رسالة برقية من السلطان يأمره فيها بالعودة . . . فيذهب الى مكتب التلغراف ويرى الى خليفة المسلمين داعياً اياه الى الأناضول لقيادة جيش الخلاص . ويظل ينتظر الرد الى الصباح . فيصله رد مقتضب يأمره بالعودة الى العاصمة على جناح السرعة ! !

فهل كان كمال يريد - أو يتوقع - قدوم الخليفة لقيادة جيش الخلاص ؟ اللهم كلا.. فهو يريد أولاً وقبل كل شيء أن يثبت للملأ أن الخليفة لم يعد يملك من الأمر شيئاً ، وأنه سجين في استانبول ، وأنه لولا ذلك لما أمره بالعودة الى العاصمة وهو الذي أوحى اليه سرّاً بوجوب الثورة والجهاد . وعلى ذلك فهو يرد على الخليفة قائلاً انه سيظل في الأناضول حتى تنال البلاد استقلالها ، وانه يستقيل من الجيش ويشرع في الثورة كمواطن بسيط

نواب الأمة يقررون الجهاد

المواطن مصطفى كمال يدعو نواب الأمة الى ارضروم لعقد مؤتمر عام يقررون فيه مصير الوطن

ولا يكاد النواب يصلون الى ارضروم حتى يوجه دعوة عامة الى سائر جهات الأناضول يقول فيها : « ان كيان الوطن أصبح معرضاً للضياع . ولما كانت حكومتنا المركزية واقعة تحت مراقبة الدول المتحالفة ، فقد استحال عليها الوفاء بالعهود التي قطعناها على نفسها . ومثل هذه الحالة تظهر افلاس الأمة - لا قدر الله . .

» بيد أن استقلال البلاد مازال موكولاً الى عزم الأمة واراقتها . ولا بد لذلك من قيام هيئة وطنية لا تخضع لتأثير أو مراقبة حتى تصلح حال الأمة وتفرض حقوقها على العالم أجمع . لذلك صممنا على عقد مؤتمر وطني عام في سيواس - على أن يصل أعضاؤه في أقرب فرصة مستطاعة

» فعلى كل لواء عثماني أن ينتخب - بغاية السرعة - ثلاثة أعضاء أكفاء وأن يوفدهم الى سيواس . . الخ الخ . . »

ثم ينصح الأعضاء للتخمين بالتكتم والتنكر عند المرور في البلاد الواقعة تحت الاحتلال . أما عن نواب مؤتمر ارضروم ، فيقول انهم سينضمون الى المؤتمر العام في سيواس بمجرد فراغهم من أعمالهم المقررة

ولا يكتفي مصطفى كمال بدعوة نواب الأناضول الى سيواس ، بل يعمل على أن تنتخب تركية أوربا نواباً عنها ، ولذلك نراه يبرق الى جعفر طيار بك قومندان الفرقة الأولى في أدنة بهذا الخصوص ، قائلاً : « تعلمون أن الدول المتحالفة تعمل على القضاء على استقلالنا والتمهيد لانقسام الشعب التركي الى شيع واحزاب ، ولما كانت حكومتنا المركزية واقعة تحت الأسر ، فقد أصبح تسليم زمامنا لها تسليماً بالفناء والانقراض - معاذ الله . . ولذلك اعتزمنا عقد مؤتمر سيواس الخ الخ . . »

ولا يكاد مؤتمر ارضروم يعقد أولى جلساته ، حتى يصدر أمر الخليفة الى كاظم قره بكير بالقاء القبض على مصطفى كمال وترحيله الى العاصمة . . وبفض مؤتمر ارضروم بالقوة . .

لماذا ؟ !

لأن مصطفى كمالاً ثائر متمرد . . لأن عطف الحلفاء لا يقابل بهذا الجحود .
لأن الداماد فريد الذى يفاوض الحلفاء لا تتاح له المفاوضة والاناؤول ثائر . . لأن
الأمر أصبح فى يد الخليفة حامى الاسلام والمسلمين ومعلى كلمة الحق والدين ، فمن هو
هذا الأهوج الطائش الذى يثور ضد الحلفاء اصدقاء الخليفة ؟
مصطفى كمال فى خطر : فالتبض عليه معناه سوقه الى العاصمة مكبلاً فى السلاسل ،
والقاؤه فى غيابة السجن - ان لم يحكم عليه بالاعدام
والثورة التى يهد لها فى خطر : فخل مؤتمر ارضروم بالقوة قضاء على الحركة
الوطنية فى مهدها ، ولن يحسر أحد على عقد مؤتمر آخر بعد ذلك . .
النواب يعاودهم الخوف والشك فى نجاح الحركة الوطنية . والآمال الذهبية التى
أحياها كمال فى قلوبهم توشك أن تنهار . . .
وكاظم قره بكير رجل الساعة والتقاضى على مصائر الوطنيين يتراوح بين الخضوع
الأعمى لأوامر الخليفة ، وتلبية نداء الواجب . .
والحق يقال أن ساعات من الشك المريب فى نجاح الحركة الوطنية تمر به فتتغص
عليه حياته وتكاد تحمله على اعداد جبل المشقة للجمرة الثائرين . .
ولكنه وطنى قبل كل شئ . وكال الداهية يضرب له على الوتر الحساس كما
جلس اليه ليقوى من عزيمته ويرجع فيه كفة اداء الواجب الوطنى على كفة طاعة
أوامر الخليفة . .
وأخيراً - وبعد أيام من اليأس القاتل والشك المريب تهلل الوجوه بعد اصفرارها ،
وتعود القلوب الى وجيها بعد أن كادت تصعق ، فكاظم قره بكير - الرجل ذو
القلب الكبير - يعصى أوامر الخلافة ويلبى نداء الواجب !
ويجتمع المؤتمر فى اليوم التالى وقد بلغت حماسة الأعضاء حددا ، وسرعان
ما يقررون انتخاب مصطفى كمال رئيساً لهم وقائدا لثورتهم . .
ومن العجب أن ينتخب هؤلاء الأعضاء كمالاً لرئاسة المؤتمر وقيادة الثورة وهم
الذين كانوا لا يطيقون أن يرأسهم أحد . .

إنهم يقدررون كمالاً حق قدره ، ويدركون أنه هو - دون غيره - رئيسهم وقائدهم
ثورتهم المقبلة . ولكن شيئاً من الغيرة والتوجس يأبى عليهم أن ينتخبوه للرئاسة :
فوجهه النحيل الضامر ، وعينا الذئب ذواتا البريق الرهيب والتألق المخيف ، وأقواله

المسولة التي كانت تبدى ما تحت عسلها من سم اعترن أن يصبه في فم الخليفة صبا . .
وأخيراً تلك اليد الحديدية التي يلوح بها في الهواء . . آه . . ما أغرب طباع البشر !
انهم يرون رأيه في الثورة ويتحمسون لها . ولكن ثمة قدساً من الأقداس
تقشع أبدانهم من مجرد التفكير فيه : فالخليفة - مهما تكن نقائصه - هو الخليفة . .
وامره - مهما يكن جائراً - هو من أمر الله . . وعصيان الخلافة كالكفر بالله . .
ومبتور هو ذلك المهند الذي يشهر في وجه حامى حمى الدين وخليفة المسلمين !

بيد أن المعجزة تتم اذ ينتخب كمال للرئاسة كما اسلفنا . ولا عليه بعد ذلك اذا كان
الأعضاء قد تسرعوا في انتخابه ، فهو الآن رئيسهم ، وهو الآن رئيس لمؤتمر اقليمي
سوف يتبعه مؤتمر قومي ، وليس مجرد « مواطن » لا صفة رسمية له

مصطفى كمال الرئيس يعتلى منبر الخطابة ليشكر الأعضاء على جميل صنعهم ،
فيقول - بعد عبارات الشكر المألوفة : « ان من المحال أن يرى وطنى ما حاق بالوطن
من كوارث ونكبات ثم لا يثور . . وان الوطنيين ألقوا سلاحهم بعد أن اطعمنا
الى انصاف الظافرين - وكان في مقدورهم أن يقاتلوا حتى يقتلوا - أو ينالوا حقوقهم -
بيد أن اطعمناهم الى انصاف الاقوياء استحال الى تسليم وخضوع أعمى من جانب
الحكومة المركزية . ثم استغل الحلفاء هذا الخور والتسليم أسوأ استغلال اذ اقتسموا
الغنيمة فيما بينهم ومزقوا تركيا شرمزق ، ثم أطلقوا اليونان على قرى الأناضول
الآمنة ليعيشوا فيها فساداً وليتهكوا أعراض الترك ويدوسوا على حقوقهم وما يقدسون .
وإن الحكومة المركزية التي قبلت كل ذلك انما هي حكومة لا تخضع لاشراف ممثلى
الشعب بعد أن أغلق مجلس البعثان واحتل الحلفاء العاصمة . وان الحلفاء معذرون
في انتهاكهم حرمان الأمة : فهم ظافرون ، والأتراك منهزمون ، وعروق الوطنية لم
تعد تنبض بالوطنية . . ولاجرم يقسمون تركيا الى أملاك ارمنية ، وأخرى يونانية ،
وثالثة انجليزية ، ورابعة فرنسية ، وخامسة ايطالية . . يريدون بذلك أن يذلوا وطننا
لم يشهد الاذلال منذ ستمائة وخمسين عاماً وصل فيها الى حدود الهند شرقاً ، والنمسا
غرباً ، والروسيا شمالاً ، وقلب افريقيا جنوباً . . فوا أسفاه على امبراطورية تنهار ،
ومجد يهوى الى حضيض الدل ، وغفار ينقلب شناراً واسترقاقاً ! »

وكأنه يخشى أن تؤثر هذه الأقوال في الأعضاء عكس التأثير المطلوب . . لذلك
نراه يعرض حال الشرق المنكوب بعد الحرب العظمى : ويبدأ بمصر فيصف ثورة

المصريين بعد نفى زعيمهم وصحبه الى مالطة . ثم يعرج على الهند فيصف ثورتها
وجهادها في سبيل الاستقلال . ثم يعرض الثورات في سوريا والعراق ، ويذكر
جهاد افغانستان والقوزاق وآذربيجان وكورجستان . فاذا اطمأن الى أن قلوب
الأعضاء بدأ يدب فيها ديب الحياة ، نراه يصف الحالة الدولية وصفاً اجمالياً ، ويخص
الروسيا الشيوعية بالشرح الطويل وكأنه يرى فيها حليقة المستقبل . .

وأخيراً نراه يصف استامبول المحتلة وخروج الوطنيين منها بعد أن ثقل عليهم
نير الاحتلال ، ويقول ان بقاء الرجال المسؤولين في العاصمة أمر غير معقول ، وانهم
اذا صمموا على البقاء فيها فمعنى ذلك أنهم سوف لا يعملون شيئاً ، ولذلك وجب قيام
حكومة ثانية في الأناضول . .

وأخيراً يقول الرجل النحيل ، الضامر الوجه ، ذو العينين البراقبتين :
« وفي ختام خطابي ابتهل الى الله واهب الآمال الذي لم ينس أمتنا التي دافعت
عن هذا الوطن المبارك وهذا الدين الأحمدي الجليل - وستدافع عنهما الى يوم القيامة -
والذي لم ينس جل شأنه مقام الخلافة والسلطنة . . ابتهل اليه أن يدفع بنا الى النصر
والتوفيق بعد أن اخذنا على عاتقنا الدفاع عن حقوقنا المصونة المقدسة . . آمين ! »
كلام غريب ! . ولعل أغرب ما فيه ذكر الخلافة والسلطنة في معرض الابتهال
الى الله !

النواب تتلأ قلوبهم الحماسة الدينية المشبوبة فيصفقون طويلاً ويهتفون بحياة
الرئيس . . ثم يقررون باجماع الآراء :

١ - تنظيم الدفاع عن الوطن ومناهضة الاحتلال

٢ - اقامة حكومة مركزية وطنية في الأناضول

٣ - انتخاب من يمثلهم في مؤتمر سيواس

الى سيواس . . .

مؤتمر سيواس يوشك أن ينعقد

مصطفى كمال رئيس مؤتمر أضرورم في عمل دائم ليل نهار : فهو على اتصال
مستمر بوالى سيواس مصطفى رشيد باشا يصدر اليه الأمر تلو الأمر في وجوب التمهيد

لعقد المؤتمر . وهو على اتصال دائم بحسبي افندى قاضى سيواس يحاول اقناعه بأن ليس ثمة خطر من عقد المؤتمر فى سيواس . ثم إنه يبرق الى قائد الفرقة الثالثة فى سيواس قائلاً ان مؤتمر أرضروم صادف نجاحاً لم يكن ينتظر منه ، وان قراراته قوبلت بحماسة شديدة ، وان دول الاحتلال لم ترفيه خروجاً على المألوف . فهذا وطن يأبى أن ينتحر ويعمل على الخلاص من ربة المحتلين . وكأنه يخشى أن يضعف القائد اذا حان حين العمل فتراه يهدده بأن كل من لا يتحمس لمؤتمر سيواس إما أن يكون جبانا ، وإما أن يكون خائناً . . ولا يكتفى بذلك بل يبرق ويكتب الى مئات من وجوه المقاطعات وأعيانها حاثاً اياهم على وجوب الجهاد بأساليب تناسب كلا منهم ، وان فى هذه الأساليب ما يصل الى القدوة فى البلاغة وقوة الحجة ، وما تنفطر منه القلوب وتسيل الدموع ، ويذكى فى القلوب نارا . .

وفى كل يوم ترى مثالا عليا للتضحية والوطنية :

فهذا شباب يقبل على كمال وي طرح بين يديه حياته ومستقبله . وذاك وجيه يطرح أمامه ثروته . وتلك امرأة تراه فتبكي وتعدده بالمساهمة فى الجهاد . وأولئك القرويون السذج يتطوعون فى جيش الخلاص أو يتبرعون بجانب من محصول أراضيهم للجنود وهناك فى استامبول : البلد المحتل نرى فى بهم الليل ، ومن وراء ستار ، فصولاً لأروع مأساة عرفها القرن العشرون : فأبناء مؤتمر أرضروم تصل الى العاصمة فيسخر منها فريق المتخاذلين ويتحمس لها المجاهدون . وانك ترى ألواناً من التجسس والقدرة لا تتاح لك رؤيتها الا فى مثل تلك الأيام السود . فاذا ما تغلغل فى صميم القلوب السليمة وولجت أبواب المنازل رأيت آيات من البطولة الفذة :

فهنا جماعة من الشبان يجلسون حول مائدة عليها المصحف والسيف ويقسمون على الموت أو الحياة الحرة . .

وهناك جماعة تهرب الأسلحة الى الأناضول . . فاذا سألتنا : كيف ؟ قلنا والله لا نعلم ، ولا يتاح لنا أن نعلم . .

وفى غرفة مظلمة اختفت بدخان اللقائف يجلس شاب تركى نحيل تتدلى على جبينه خصلة من الشعر نابليونية ، ويروح يصف لأحد مراسلى الصحف الأجنبية أو للمحققين بالسفارات الأجنبية أحوال الثورة ويدافع عن حقوق الوطن ويصف كلاً وصحبه بأنهم أبطال يجب الدفاع عنهم والمساهمة معهم فى الجهاد . ولا يكاد يفرغ من

حديثه حتى يتحمس الأجنبي للقضية التركية ويخرج من الغرفة وقد آلى على نفسه أن يساهم في الجهاد مع المساهمين . .

وهذه فتاة يلح عليها خطيبها في وجوب عقد الزواج ، فتصيح في وجهه : « أى زواج والوطن ينتحر ! » . . ثم تراها واقفة أمامه كاللبؤة الثائرة وقد جحظت عنها وتسعث شعرها وراح صدرها يعلو ويهبط ، وتسمعها وهي تهيب به : « أن جاهد مع المجاهدين ، ومت مع الشهداء ان كانت فيك رجولة وكان فيك رجاء . . ! »

آلاف من هذا الشباب وهؤلاء الفتيات تراهم وتراهن في كل مكان وان لم يظهروا في أى مكان . والثورة جياشة في الصدور وان لم يبد منها شيء على الوجوه . وصفحة البسفور والبحر الأسود ترى سفناً وقوارب صيد عتيقة تحمل زهرة الشباب التركي في لباس النوتية ، وتحمل الأسلحة والنخائر تحت طبقة من الغلال أو الفاكهة أو شباك الصيد

والآن نعود الى سيواس لنرى النواب وهم يتقاطرون على المؤتمر من كل فج ، وفيهم الضابط المتقاعد والعامل والسياسى والتاجر والقاضى وشيخ العشيرة : هذا بلباسه الأوربى ، وذاك بلباس رجال الدين ، والآخر باللباس الوطنى القديم . وترى فيهم حليق اللحية ومطلقها ، والعصرى المتسامح والمحافظ المتعصب . .

كل أولئك يصلون الى سيواس بعد جهد جهيد وتعرض لأخطار لا عداد لها . بل ان كلاً نفسه ينجو من خطر القبض عليه بأعجوبة ويصل الى سيواس حيث يتصل بالنواب قبيل عقد المؤتمر ، فيرون فيه الذئب النحيل الضامر ذا العينين المتألفتين ، ويسمعون منه كلاماً هائلاً ما كانوا ينتظرونه ، فيتحمسون ، ثم يجبنون ، ثم يعاودهم التحمس ، وأخيراً تستقر نفوسهم حيث الحماسة ولكن الغيرة والتوجس يأكلان قلوبهم . . .

ويعلم النواب أن اميركا أوفدت مندوباً عنها الى سيواس ليحضر المؤتمر ويوقف الحكومة الامريكية على حقيقة الحال فى الأناضول ، كما يعلمون أن فرنسا وايطاليا تنظران بعين العطف الى الثورة التى توشك أن تشتعل ، فيعجبون أيما عجب ولا يعلمون ان هذا العطف مصدره ذلك الشاب التركى النحيل ذو الحصلة النابليونية الذى يقضى ليله ساهراً فى حجرته المظلمة المحترقة بدخان التبغ فى استامبول . .

المؤامرة

وينعقد المؤتمر في سيواس

وفي أول جلسة من جلساته يشعر كمال بأنه أمام نواب شديد مراسهم طويلة مناقشتهم بمقتون الرئاسة أشد المقت وفي نفس الوقت يلحون في طلب الرئاسة ذات الارادة الفولاذية !

حدثني أحدهم فقال : كنت أمقته .. ولكنى كنت أراه أصلح الموجودين لقيادة الثورة ، ولذلك انتخبناه رئيساً ..

وحق كاظم قره بكير : الرجل الطيب الذي عرفه قائداً في القوقاز ونفذ أوامره بدقة ، نراه يطلب اليه بالحاح ألا يوقع على مراسلات المؤتمر بامضائه

بيد أن كمالاً يتجاهل كل ذلك وينبرى على المنبر خطيباً ، فيشكر للاعضاء اشتراكهم في المؤتمر ، ويقص عليهم قصة الوطن المنكوب من يوم توقيع صلح مودروس الى الساعة التي يخطب فيها ، فيستمع اليه النواب في اعجاب يبلغ حد القداسة ، حتى اذا ما راح يحدثهم عن الصدر الأعظم فريد وعن رحلته المشؤمة الى باريس لتسجيل الفناء على تركيا نرى الثورة متجلية في نظراتهم وهتافتهم : ليسقط الخائن ! فاذا قال لهم ان فريداً استنكر الحركة القائمة في الاناضول - بل كذب حدوثها رسمياً - لعنوا فريداً وحكومة فريد وكل من يشد أزر فريد ..

ويختم كمال خطابه بكلمة عن وجوب توحيد الجهود والجمعيات الوطنية المتعددة ، ويقول ان الأمر صدر بالشروع في الانتخابات الحرة ، فعلى النواب أن يصددوا في الميدان « وستتحقق آمالكم باذن الله .. »

وبعد دقائق معدودات تصل الى كمال برقية من كاظم قره بكير يقول فيها ان أحد جواسيس الانجليز - ويدعى البكباشي نويل - ذهب الى ملاطية للقيام بين الاكراد بدعاية واسعة النطاق ضد الحركة الوطنية ، وان أسرة بدرخان وأسرة جميل باشا تعملان مع هذا الجاسوس بايحاء من حكومة فريد

مصطفى كمال يقرأ هذه البرقية على أعضاء المؤتمر ، ويبين لهم خطورة المؤامرة : فهذا جاسوس انجليزى يعمل بأمر من حكومة استامبول على اثارة الاكراد والهجوم بهم على سيواس والفتك بأعضاء المؤتمر الذي يضم خيار الوطنيين .. فهل هم بعد ذلك

في حاجة الى دليل مادي على خيانة الحكومة القائمة في استامبول ؟
ثم نرى رجل الحرب ينطلق من مؤتمر السياسة الى حيث يتحدث مع جمال بك قومندان الفرقة الثانية عشرة الخيالة في منطقة ملاطية ، فيعلم منه ان والى العزيز وفد على ملاطية حيث قابل نويل مقابلة طويلة . . فيسأله عن عدد الحامية التركية في ملاطية ، فيعلم أنها لا تزيد على عشرين رجلا . . فيأمره بالقبض على المتآمرين ، فيعتذر بعجزه عن ذلك . فيصدر كمال أمره الى الياس قومندان العزيز وإلى قوات خربوط وسيورن وسيواس بالهجوم على ملاطية ، وتكاد هذه القوات تقبض على المتآمرين لولا فرارهم على ظهور الجياد في جنح الليل . .
ويبعد الضباط الأتراك في المكان الذي غادره المتآمرون ستة آلاف جنيه ذهباً كانت أعدت لرشو رؤساء العشائر الكردية !

ويعود رجل الحرب الى مؤتمر السياسة بعد أن يكون قد وحد القوات الوطنية في منطقة ملاطية والعزيز وسيواس وأمرها باجتماع حركة الأكراد من أصولها .
يعود ظافراً ويطمئن رجال السياسة على حياتهم وعلى مؤتمرهم ، فيعترفون بفضلهم ورئاسته ، فيحثهم على ارسال احتجاج شديد الالهجة الى الخليفة فيوافقونه على رأيه باجماع الآراء

ويرسل رشيد باشا والى سيواس خطاباً شديداً الالهجة الى وزير الداخلية التركية يمتنع فيه على مؤامرة ملاطية ، فيرد عليه وزير الداخلية بقوله ان المؤامرة تمت بموافقة الخليفة وتوقيعه « رغبة منه في المحافظة على سلامة الوطن ! »

ليسقط الخفافاش الاسود !

مصطفى كمال دائب على تحرير العرائض والاحتجاجات . فهذه عريضة طويلة يرفعها الى الخليفة باسم مؤتمر سيواس مستنكراً فيها عمل الحكومة على الايقاع بالوطنيين ، مما يؤدي الى اهراق دماء المسلمين وضم الأكراد الى صف انجلترا ، ويطلب في آخرها تحقيقاً شاملاً ينجلى بعده الجو وتقطع الدسائس
ثم نراه يحرر احتجاجاً شديداً الالهجة يطلب فيه من الخليفة اسقاط وزارة الداماد فريد « بعد أن ثبتت خيانتها وعملت على الدس وبذر العداوة بين القوميات العثمانية »

ولا يكتفى بذلك بل يصدر باسم المؤتمر نشرة عامة للجمهور يتهم فيها الحكومة بتأخير اصدار قانون الانتخابات والمواقفة على احتلال اليونانيين لطوروس وما جاورها في مذكرتها التمهيدية لمعاهدة سيفر . . فيكون لهذه النشرة أثر شديد في اثاره الرأي العام الذي هتف من صميم قلبه بوجوب اسقاط الخفاش الأسود الداماد فريد . . مصطفى كمال يكاد يظفر بتأييد الرأي العام بعد أن ظفر بتأييد نوابه . وهذا التأييد يحمله على توجيه احتجاج نارى جديد الى الخليفة يحمل فيه على الوزارة الخائنة ، ويلقى عليها تبعه الكوارث التي حاقت بالبلاد ، ويلعن الداماد فريد « الذي يفاوض الحلفاء في باريس بلسان ، وينشر الاباطيل في العاصمة بلسان آخر » والذي يتجاهل الحركة الوطنية القائمة في الاناضول في مفاوضاته مع الحلفاء ، والذي يأمر بتسريح بقية الجيش العامل في الاناضول حتى لا تقوم للوطن قائمة قط . . وأخيراً يطالب الخليفة بوجوب اسقاط الحكومة الخائنة واصدار قانون الانتخاب الحر . .

وفي الوقت نفسه زاء يوجه منشوراً عاماً الى أهل استامبول وفي هذا المنشور تتجلى قدرته البائية التي لا تبارى : فهو يقول ان لاستامبول غفر السبق والمبادرة الى الثورة . وان الثائرين اتخذوا الاناضول مركزاً لثورتهم لا لشيء الا أنها بعيدة عن هيمنة الحلفاء . ثم يتحدث عن سياسة الداماد فريد الخارجية - تلك السياسة المدمرة التي لا تبقى على شيء يسمى الوطن ، والتي تحرف فيما تنشره من مذكرات المعاهدة المشومة حتى لا يطلع الأتراك على ما تبثته لهم من ذل وأسر . ثم يسهب في ذم سياستها الداخلية ويتهمها بالخيانة والدس والعمل على اغتيال الوطنيين وتشتيت شملهم . ويختم منشوره بكلمات من نار يقول فيها ان مسيو كليمانصو قال لفريد باشا عند وداعه له : ان على الأمة التركية أن تعلن عن وجودها اذا كانت تتشوق بوجوب الاستقلال « فيا أهل استامبول ! ساهموا في أداء الواجب الوطني حتى يكون لنا وجه للاعتراض على أعمال وزارة فريد باشا . . فان العالم سيقول - اذا لم نحرك ساكنا - : لم لم يستعمل هذا الشعب حق الاعتراض على حكومته في الوقت المناسب ؟ وان له بعض الحق في قوله هذا ، فنبينا يقول : كما تكونوا يولى عليكم . . . »

الصحف التركية في العاصمة تنشر هذا المنشور فيدوى كالتقبلة . . وأهل العاصمة يأنفون البقاء على الضيم واخوانهم يجاهدون في قلب الاناضول ، فماذا تراه يفعلون ؟ ان الاجتماعات تعقد . والأدعية تلقى في المساجد . والشبان يتسللون الى الاناضول

بكثرة هائلة . والشاب النحيل ذو الخصلة النابليونية يكاد لا يخرج من غرفته المحتقة بدخان السجائر . وان أخبار المجاهدين في سيواس تصله عن طريق جماعة من الفدائيين راحوا يحملون الرسائل بين سيواس والعاصمة . . آه ! ان هؤلاء الرسل أعرفهم ، وان لهم لمفاخر ترفعهم الى مرتبة كبار المجاهدين . .

وبعد بضعة أيام يلقي كمال قبلته الثانية اذ يوزع على سفراء إنجلترا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا والصرب والسويد والبنمارة وإسبانيا منشوراً مختوماً بخاتم مؤتمر سيواس ، ينص على أن حكومة الداماد فريد التي تفاوض الحلفاء في مصير الأمة ، لا تمثل الأمة في شيء ، وانه ريثما يتم تأليف وزارة وطنية لا يكون الوطنيون مسئولين عن أعمال الحكومة الراهنة ، فان اقرار المعاهدة لا يتم الا بتوقيع حكومة وطنية عليها - حكومة تمثل الأمة خير تمثيل . وان الحركة الوطنية القائمة في الاناضول لن تمس حقوق الدول الاوربية بسوء

قنبلتان في الصميم . .

الحفاش الاسود يشعر بدنو الخاتمة ، بيد أنه لا يسلم ، فها هو ذا في حضرة مولاه وحيد الدين وبين يديه خطة مدبرة لمؤامرة رهيبة . .

انتصار مؤقت

الحفاش الاسود يقدم لوحيد الدين خطته السوداء : فالوطنيون الثائرون جماعة قليلة لا خطر لها . ووحيد الدين ما زال السلطان والخليفة . وأمره لا شك مطاع . والانجليز يسرهم أن يعمل الخليفة على القضاء على الثورة قبل استفحالها . فاذا قضى عليها قدم الحفاش الاسود معاهدته لشعب لا أمل له الا في الحياة الوادعة بعد أهوال الحرب وكوارثها . وسرعان ما يندى الشعب ماضيه - وما أسرع نسيان الشعوب الشرقية !

والحفاش الأسود يضع بين يدي مولاه منشوراً شاهانياً يطلب منه التوقيع عليه لينشره في طول البلاد وعرضها ، فيوقعه الخليفة وفي اليوم التالي يذاع المنشور الشاهاني فيقرأه المتعلمون ويستمع اليه الأميون . .

الخليفة يعلن أسفه على هذا الخلاف الذي شجر بين العثمانيين بسبب نكرة من النكرات يريد الخروج على الحكومة ومعاكسة القائمين بأمر المفاوضة مع الحلفاء .. ويقول ان هذا الخلاف يؤخر اجراء الانتخابات مما يزيد المشاكل تعقيداً . . . « واني انتظر من سائر افراد الأمة أن يقدرُوا دقة الموقف وأن يحترموا القوانين والأحكام ويطيعوا الحكومة القائمة طاعة عمياء فيخبروا أمل كل من سولت لهم نفوسهم بذر الفتن والفتاقل بين صفوف الأمة . . . »

قنبلة لا شك فيها يقذف بها الحفّاش الأسود كمالاً ومؤتمراً سيواس . ولو أنها جاءت قبل عقد المؤتمر وتوزيع نشراته في سائر الانحاء لاحتمت على الحركة الوطنية بخاتم التخاذل الابدى . ولكنها لسوء حظ الحفّاش الاسود - تنشر بعد أن وقف الخاص والعام على كل شيء ، ولذلك فهي تمر دون أن تصيب أحداً بسوء ، شأن كل زيف ينشر بعد أن تتفتح الاذهان الى الحقائق السافرة

أعضاء مؤتمر سيواس يجتمعون ليردوا على منشور الخليفة ، فيقولون إن مطالبهم لا شك شرعية ، وان فريدا لاشك خائن ، وان هذا الداهية لا شك يخفى عن مولاه حقيقة المطالب الوطنية ويصورها له كأنها أعمال قوم ثائرين متهورين . ويختمون رسالتهم بالمطالبة باسقاط الوزارة واعتماد وزارة وطنية يحق لها أن تمثل الأمة أمام مؤتمر الصلح

ولا تكاد هذه الرسالة تذاع حتى تنهال برقيات التأييد على المؤتمر من ولايات طرابزون وارضروم ووان وبتليس وديار بكر وخربوط ودرسم وسيواس وسامسون وملاطية ومرعش وعينتاب وقيصريه وانقرة وقره مان وافيون قره حصار ودكرلى ثم ان على فؤاد قومندان انقرة يسير بقواته الوطنية الى اسكى شهر حيث يحاصر الانجليز فيعلنون رغبتهم عن القتال وينسحبون الى سامسون طالبين اليه ألا يتعرض لهم بأذى ما داموا لا يعترضون اعلان الحرب على الوطنيين

وفي تلك الاثناء يقول مسيو لولون مندوب السفارة الفرنسية في استامبول لأعضاء مؤتمر سيواس ان فرنسا ستقف موقف الحياد التام ازاء حركات الوطنيين ويصل بعده الجنرال هربرت الامريكى فيؤيد باسم حكومته أعمال المؤتمر ، ويثبت للسفارة الامريكى ضعف الحكومة القائمة وعدم تمثيلها للبلاد تمثيلاً صحيحاً وبعد أيام تبرق سائر السفارات الاجنبية الى حكوماتها متنبئة بقرب سقوط الداماد

فريد ، مستندة الى ما تراه من قوة الرأي العام الذى لم يؤثر فيه منشور السلطان
كل هذا يعرفه الوطنيون ويذيعونه فى انحاء البلاد . فترداد الحماسة اشتعالا ويكاد
نور الوطنية يغشى عيني الحفاش الأسود
والخليفة يخشى سوء المقبة فيوسط عبد الكريم باشا للتفاهم مع مصطفى كمال -
باعتباره رئيسا لمؤتمر سيواس !

وحيد في أنقرة !

عبد الكريم باشا جالس أمام آلة التلغراف فى استامبول
ومصطفى كمال جالس أمام آلة التلغراف فى سيواس
عبد الكريم باشا يرجو أن يفرض النزاع القائم بين السلطنة والوطنيين وأن يتم
الصلح بين الفريقين
فيرد عليه كمال قائلا ان الحركة الوطنية لم تكن فى وقت من الاوقات موجهة ضد
السلطنة والخلافة ، فهدفها الوحيد أولئك الذين باعوا وطنهم وخانوه من أمثال
فريد باشا وسائر وزرائه . ثم انه يأسف اذ يرى الخليفة منعض العينين ازاء خيانة
رئيس وزرائه ، واذ يرى رئيس الوزراء يحاول أن يشوه من جمال الحركة الوطنية
بقوله انها حركة بلشفية ، فى الوقت الذى يسمح فيه للانجليز باحتلال الاناضول . .
ثم يقول : « فهل كان يبقى فريد باشا فى الحكم دقيقة واحدة اذا كانت لديه ذرة
من الحمية والوطنية ؟ »

عبد الكريم باشا رجل طيب القلب . . ولكنه رجل فارغ . والنقاش يتخذ
شكلا انشائيا لا يتميز وجهة نظر خاصة ، فهو لا يزال يلح فى ضرورة فض النزاع
والصلح بين الطرفين مع أن النقاش البرق ظل قائما ثمانى ساعات متوالية . .
اجابات كمال البرقية تحمل الى السلطان فىرى أن العاصفة تكاد تنقلب اعصارا
لا يبقى ولا ينذر ، فيستدعى فريداً ويقيه ويعين مكانه على رضا باشا . . .
ولا تكاد الاقالة تبلغ سيواس حتى يصدر كمال نشرة عامة يشتر فيها الأمة بانقضاء
عهد الحفاش الاسود . ثم يقدم مطالب الوطنيين الى الصدر الأعظم الجديد ، وهى
تنحصر فى الاعتراف الرسمى بقرارات مؤتمر ارضروم وسيواس ، وعدم التعاون

مع الحكومة حتى يتم انعقاد المجلس الوطنى الكبير الذى سيقدر مصير الأمة وينتخب من يمثلها فى مفاوضات الحلفاء

قانون الانتخاب يصدر . والانتخابات تجرى فى جو هادى ، فيفوز الوطنيون بأغلبية ساحقة ، ويكون معظم أعضاء مؤتمر سيواس نواباً فى المجلس الجديد مؤتمر سيواس لا يزال قائماً . وهو ينتقل الى انقرة ليتخذ لنفسه مقراً يتوسط ولايات الاناضول

ومصطفى كمال نائب ارضروم فى المجلس الجديد يذهب الى انقرة ليجس النبض ما بال النواب تليهم النيابة عن شئون وطنهم الرازح تحت نير الاحتلال ؟ وما بالهم يهيمون بوجوب العودة الى استامبول وعقد المجلس الجديد هناك تحت انف الاسطول البريطانى الجاثم فى مياه الدردنيل ؟

وما بال بعض ذوى القلوب المريضة يقولون بوجوب حل مؤتمر سيواس لأنه لم يعد له كيان حكومى معترف به بعد الانتخابات الجديدة للمجلس الجديد ؟

وهل يقف الوطنيون فى أول الطريق اذ ينالون أول نصر تافه يصادفهم ويعمون عن المستقبل المبهم - المستقبل الذى ينذر بالحرب وويلات الحرب ؟

مصطفى كمال يتصور جلسته فى شرفة المجلس القديم فى استامبول حيث رأى وسمع النواب وهم يؤيدون حكومة توفيق باشا على حساب وطنهم ، فيتساءل : هل يعود السياسيون الفارغون الى عهد التردد والهزيمة ؟

انه جندى . وانه يرى الجندى أصلح من السياسى لقيادة السفينة فى خضم الحادثات الهائجة

ولكن النواب من رجال السياسة لا يقرونه على رأيه . بل انك لتسمع من بعضهم كلاماً غريباً ما كان ينتظر من قوم كانوا الى الامس القريب ينادون بوجوب قيام حكومة ثانية فى الاناضول تعمل مستقلة عن حكومة السلطان . فهل ياترى تبدلت الحال وزال الاحتلال ؟

كلا ولكنه خور فى العزائم لا يزال نراه الى الآن فى الشرق - واءسفاه ! - وهم اذ ينادون بوجوب العودة الى استامبول يكتفون من الجهاد بالقليل التافه الذى قاموا به احتجاجاً وكلاماً ، لا حرباً وصداماً . .

ورءوف بك - الرجل الكبير الذى رأته فى القاهرة وأكبرت أخلاقه وأعجبت
بدهائه وذكائه - يقود تلك الحركة الخطيرة ويسير فى طليعة النواب الى استامبول ..
فاذا حاول كمال أن يحتفظ لنفسه بحق رئاسة البرلمان ، وقام ينادى بوجود بقائه
فى انقرة سخروا منه - بل قل أوجسوا خيفة من الوجه الضامر وعيني الذئب
المتألقين ..

إذا فليذهبوا الى استامبول . وليبق الذئب فى انقرة وحده لينظم فلول الجيش
الوطنى وليستعد لكفاح موعده قريب
وسيعلم النواب الذين ذهبوا الى استامبول أى منقلب ينقلبون !

سعيد فى الدارين من يقتل مصطفى كمال !

النواب يصلون الى مياه البسفور ويعبرونها الى العاصمة خلال بوارج الاحتلال ،
ثم يدخلون مجلس البعثان دخول الظافرين هاتفين مهللين لأنهم استعادوا مجلسهم
وقانون انتخابهم الحر ..

مهزلة طالما تكررت فى الشرق - وما زالت تتكرر !
النواب يرفعون الى الخليفة كتابا لسان حاله يقول : المجد لوحيد الدين ، ومنبوذ
هو ذلك المارق الجاثم فى انقرة

ثم يشرعون فى العمل . فيتناقشون ، ويطول بهم النقاش
وعندما تصلهم أنباء انسحاب الانجليز من بعض جهات الأناضول ، والفرنسيين
من بعض الولايات التركية ، تبلغ بهم حمى النقاش أشدها ويغيل اليهم أنهم حقيقة
يعملون - فيتناقشون ، ويتناقشون ..

وعندما يتدخل الانجليز فى شئونهم الداخلية : يحتجون ، ثم يحتجون ..
فيضرب الانجليز ضربتهم القاضية فى فجر يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٠ : فهذه
جحافلهم تنزل من الاسطول لاحتلال العاصمة ، فتسير من كوبرى غلطة الى وزارة
الحربية ، ثم الى ميدان بايزيد

وهنا يقف التاريخ ليتحدث عن مذبحه بايزيد ووحشية الانجليز فى قره قول
بايزيد : فهؤلاء عساكر القره قول نيام . وهذه قوات انجليزية تأمر محمدا النوبتجى

بالتسليم ، فيرفض ، فتصرعه لنوره . . ثم تدخل القره قول فترى العساكر في ثياب النوم . فتصرعهم دون رحمة . . فيسجل التاريخ موتهم في أول قائمة الشهداء في حرب الاستقلال

النواب المجاهدون يصممون على الاحتجاج فيشتت جنود الاحتلال شملهم ويسوقون بعضهم - وعلى رأسهم رءوف بك وفتحى بك - الى مالطة وتبرغ الشمس على بلد أرضه محتلة ، ومياهه محتلة ، وفي وسطه قصر يجلس فيه خليفة وسلطان يقال انه حامي حمى الدين وخليفة المسلمين ومن عجب ألا يحتج هذا الرجل والاحتجاج أوهى مراتب الجهاد !

فالول النواب يفرون الى الأناضول . وفلول وزارة الحرية : عصمت وفوزى ولا أدري من من كبار الضباط وصغارهم ، يلحقون بزملائهم كمال وكاظم ورأفت وعلى فؤاد وعارف

والعاصمة لا تنبس بينت شفة وكأنها تطل ينطق فوقه البوم في هذا اليوم المشؤم يدخل تلاميذ احدى المدارس فصولهم . وفي أحد الفصول النهائية يجلس الأستاذ صامتا مفجوعاً . ويطول صمته . فيقوم أحد التلاميذ فيقول : « ما بال استاذنا لا يتكلم ؟ » فيرفع الأستاذ رأسه ويقول : « اليوم لا كلام ولا درس . فالدروس تلقى لحير الوطن ، ونحن منذ اليوم لا وطن لنا نعمل من أجله ! » ثم تتألق عيناه ببريق رهيب ويقول : « لتقطع الألسنة ولتقصف الاقلام ريثا نستعيد مجد الوطن . . فاذا سألتوني : أين هو الوطن ؟ قلت : انه هناك في قلب الأناضول حيث مصطفى كمال ومحمد وفاطمة * . . فهل فيكم من يعمل مع هؤلاء ويستشهد في سبيل وطنه ؟ ! »

التاريخ يقول : أجل . وان من لم يقدر له الفرار الى الاناضول ليعمل في العاصمة ، والا فكيف نفسر عثور الانجليز على عشرات من قتلاهم في الطرقات صبيحة كل يوم ؟

الانجليز ضربوا ضربتهم القاضية . وبقي أن يقوم وحيد الدين بدوره

* محمد وفاطمة اسمان يمان على الجندي التركي والمرأة التركية

هوذا يخرج من اعتكافه الى ميدان العمل . واذا برز الخليفة الى الميدان فلا غنى له عن الحفّاش الاسود
والحفّاش الاسود انجليزى أكثر من جون بول . وهو يرى تشتت النواب واغلاق مجلس المبعوثان بداءة حسنة لم يبق بعدها الا القبض على كمال واركان حربه ليتم له بذلك الفوز الحاسم
وما أسهل القضاء على كمال وحركته بمنشور يحل فيه الخليفة سفك دمه !
والمنشور مكتوب لا ينقصه الا توقيع الخليفة . وتوقيع الخليفة يتم دون تردد منه وفي اليوم التالى يذاع المنشور فى دواوين الحكومة وفى الطرقات . ويتلى فى المساجد وتوزعه الطائرات اليونانية - برضاء الخليفة - فى سائر انحاء الأناضول ، ويخرج الشعب منه بأن الحركة القائمة فى الأناضول حركة سداها الحيانة - وأن زعماءها خائنون ، وأن الخليفة يدعو كل مواطن مسلم الى نصرته ونصرة الدين الحنيف - فالجهاد الجهاد تحت لواء الخلافة للقضاء على اعداء الوطن الكافرين ، ومباح هودم مصطفى كمال المارق ، وسعيد فى الدنيا والآخرة من يقتل هذا الخائن !

قضى الامر

الخليفة وخفّاشه الاسود ينتصران على طول الخط
والحركة الوطنية تتساقط كاوراق الخريف فى يوم عاصف
ومعاقل الوطنيين تسقط فى يد الخلافة تباعاً مبتدئة من السواحل موعلة شطر قلب الاناضول
و « جيش الخليفة » الذى جمعه سليمان شوكت باشا بأمر من مولاه يدخل الاناضول ظافراً وكان الاناضول قطعة من أرض العدو يفتحها سليل آل عثمان والجالس على عرش محمد الفاتح
ورجال الدين يستنفرون الناس الى الجهاد الدينى ، فاذا برز لهم أنصار كمال قتلوه ومثلوا بجثثهم أفظع تمثيل
قرية فى اثر قرية ، وولاية فى اثر ولاية تعلن ولاءها للخليفة : أزمير . . بروسه قونيا . . آطه بازار . . سمسون . . هو ذا جيش الخليفة أوشك أن يبلغ أنقرة . .

ثم ان الفرنسيين يتقدمون من ناحية الحدود السورية ، والانجليز والايطاليون يتحفزون . واليونانيون يزحفون من أزمير الى الداخل . والارمن يقومون لتحقيق حلمهم العتيق : مملكة أرمينيا . والاكراد يرفعون علم الثورة بايعاز من الانجليز . وكل تركى من أنصار الخليفة يتعطش الى سفك دم مصطفى كمال ونيل المكافأة التى قررت لقاتله

فاذا بحثت عن قوات الوطنيين لم تجد إلا جيش كاظم قره بكير فى الولايات الشرقية . أما بقية القوات فهى إما مرتدة الى جيش الخليفة ، وأما فلول لا خطر لها ، وأما عصابات ضررها أكثر من نفعها

فقد مصطفى كمال كل شىء ، الا الأمل !

هو ذا جالس الى مكتبه العتيق فى بهو مدرسة الزراعة بأقيرة ومعه صديقه عارف ونفر من الحراس المخلصين ، وأمامه خريطة ينظر فيها من حين لحين .. هو ذا جندى يرفع يده بالسلام العسكرى ويسلمه رسالة برقية . فيقرأ فيها نبأ كارثة جديدة . فيصدر الامر باتخاذ بعض الاجراءات . ثم يدخل الجندى بكارثة أخرى ، فيصدر اليه أمراً جديداً وهكذا الى ساعة متأخرة من الليل ، كل يوم !

ترى هل يخونه حراسه وجنوده ؟

ولم لا وفى قتله رضاء الخليفة وبضعة آلاف من الجنهيات ! ؟

فاذا ظل حراسه له مخلصين ، فهل ينجو من خطر الاغتيال طالما ان اقيرة محاطة بطائفة من السفاحين المتعطشين الى الدم المباح ؟

فاذا نجح من السفاحين ، فهل ينجو من الثورة التى توشك ان تندلع فيما حول اقيرة ثم تسفى الموت على آخر معقل الوطنيه ؟

وحدة أليمة .. ويأس قاتل .. وصراع مع القدر فوق طاقة البشر !

الذئب يظل فى وحدته حديداً جليداً . ويهتف من حين الى آخر : « ليكن ما يكون ... ان تركيا لم تمت بعد ! »

وبعد بضعة أيام يفتح الباب ويدخل عليه رجلان : عصمت القصير الضئيل ، وفوزى الطويل الفحل . فيتعانق الرجل الثلاثة ولا يتكلمون ، بل ينفرد كل منهم فى غرفة ويعمل

ثم يفد عليهم نفر آخرون :
خالدة أديب نابغة نساء الترك . زوجها عدنان . نواب نجوا من النفي الى مالطة
ووفدوا الى رئيسهم السابق وهم على ما بدر منهم آسفون وعلى الخلافة ناثرون . رجل
كبير الرأس ضامر الجسم ذو لحية صغيرة أعرفه وتلمذت له ، فر من العاصمة
ودخل على كمال وصحبه ليلهب الثورة بشعره الناري وليضع للحركة الوطنية نشيداً .
هذا الرجل هو شاعر تركيا الاوحد واستاذي العزيز محمد عاكف
وفما عدا ذلك فالأيأس القاتل ما يزال غنياً على انقرة . والسفاحون ما يزالون
متعطشين الى السم المباح !

لك الله يا فاطمة !

عجيب والله أمر هذا الشعب التركي : تحمسه خطبة ثم يثبطه منشور . يثيره كمال
ثم يقعده الخليفة ومن وراءه الحفاش الاسود
ولعل السر في هذا التقلب أنه شعب ذهب كوارث الحرب برصاته المعهودة
وبروده المألوف وأشرفت به على تلك الحقة وهذا الترق الذي تتأدى به الهزيمة
إلى الفناء

كان الأتراك حتى الأمس كتلة واحدة تؤيد الخليفة وتسعى في قتل كمال . واليوم
تتغير الحال غير الحال وينقلب الرأي العام آفلاً إلى الرجل الحديدي الجاثم في أنقرة .
فقد تسمع الناس بأبناء احتلال أرض العاصمة ومصرع العساكر في قره قول بايزيد ونفي
النواب واغلاق مجلس المبعوثان ، وأيقنوا أن الخليفة وخفاشه الاسود يعملان بوحى
من الانجليز إذ يبيحان دم كمال ويسعيان في القضاء على حركته التي لا مصلحة له فيها
إلا مصلحة الوطن . وحتى الذين احسنوا الظن بالخليفة لم يعودوا يؤمنون بقدرته على
فعل الخير وهو السجين في قصره في العاصمة المحتلة ، والرأي العام الذي تاب الى كمال
وأناوب وترامى على مكتبة العتيق في دار مدرسة الزراعة باققرة ، رأى عام مؤمن برسالته
نائر لحيانة الخليفة . ولا نظن أنه سيتراوح بين الشك واليقين بعد ذلك
جيش الخليفة تنقصه الروح المعنوية . وهو كل يوم يشهد فرار عساكره وانضمامهم
الى القوات الوطنية . ولا تسكاد تمضى الأسابيع حتى يضمحل ويحول كمال الى باطل
يواجهه حق عتيد

والجنود الذين ارتدوا عن القوات الوطنية يعودون إلى الانخراط في فرقهم
وينحنون على قدمي كمال يملونهما بدموع الندم

والشباب ، والشيوخ ، والنساء - وفيهن العقائل المحصنات - سيل يتحدر من
سائر الانحاء ويجتمع في أنقرة

والقروية الحسنة فاطمة تحمل إلى أنقرة الأقوات وتخدم الجنود . ثم تكرر
أعصابها لحمل البنادق والمسدسات ومئات الألوف من قطع الرصاص والقنابل المهربة
من حيث لا يعلم أحد . فإذا أشرف عليها الليل وهي في عرض الطريق نامت حيث هي
وحينما اتفق واستكثرت الغطاء على نفسها في صبابة الشتاء والمطر ينصب عليها انصباباً
فغطت به ما تحمل من أسلحة وذخائر !

وهي لا تحمل السلاح والذخائر وحسب ، وإنما تقدم للوطن ابناً ووحيدها
قرباناً حلالاً

لك الله يا فاطمة يا بنت الشهيد ، وزوجة الشهيد ، وأم الشهيد !
مصطفى كمال يرى كل ذلك فلا يزال حيث كان وكما كان حديداً جليداً . ويطيب
له الآن أن يدرب عساكره بالحديد والنار على صراع مقبل رهيب ، الذخائر فيه
شحيحة والراحة محرمة والقوت تافه قليل . وانك لتراه هنا وهناك في كل مكان
كالمهيكل الجبار من فولاذ أسلاكه

وهو يدعو سائر نواب الأمة إلى أنقرة فيجتمعون فيها ويعقدون مجلساً يسمونه
« المجلس الوطني الكبير » . وهم إذ ينتخبون كمالاً للرئاسة في هذه المرة إنما ينتخبون
أصلحهم عن عقيدة وإيمان . ولا يخيفهم - بعد - الوجه الضامر وعينا الذئب
المتألفتان

بعد نكبة « سيفر »

وتمضى معاهدة سيفر . والسلطان يتحمس لها . والمعاهدة تنشر وتذاع فيقرأها
الأتراك فتجيش الثورة في قلوبهم من جديد
ألهذا أمرهم السلطان بالصبر والتريث وعدم القيام في وجه الاحتلال ؟
ألهذا أفتى العلماء بكفر مصطفى كمال وأباح الخليفة دمه ؟

إن تركيا لتقسم بين الحلفاء قسمة عادلة .. ولا يترك للوطنيين منها الا قسم ضئيل .
ثم إنهم لا يدعون للاتراك شيئاً من الحق في الاشراف على شئون بلادهم :
فالجيش سيأمر الحلفاء بتسريحه . والمواصلات ستكون تحت اشرافهم المباشر .
والضرائب والعوائد والمكوس كذلك . وكل بارقة أمل في الاستقلال يحونها محو
ازلياً . .

نكبة فادحة . ومعاهدة جاءت بدون كفاح دموى . . معاهدة رخيصة هزيلة ،
جاء بها سياسى كذاب يلوح بمطالبه بيد وبلمدفع بيد أخرى
ذئب انقرة يتحدى السلطان والحفاش الأسود وأولئك الجبابرة الذين يقررون
مصائر الدول والشعوب لمصلحتهم بعد أن خرجوا من الحرب العظمى ظافرين
وهو لا يترث حتى تتوعد أقدام الحلفاء في الأناضول ، بل يأمر جيوشه في
الشمال والجنوب والشرق والغرب بمناوشتهم واحتلال كل شبر من الارض ينسحبون
منه ، فتخلص له ولايات بأسرها من مغالب الفرنسيين والانجليز
وهو في تلك الاثناء يلهب نواب المجلس الوطنى الكبير بخطبه النارية . ثم يعود
إلى الشعب فيرى منه أذنا صاغية واستعداداً للكفاح :
« لقد خرج الحلفاء - أو كادوا - من الأناضول . ولم يبق إلا اليونان في ازмир ،
والانجليز في استامبول . وإن حملة واحدة موقعة لتدفع باليونان الى البحر ، وبالانجليز
إلى حيث . . . »

وهو يقول إن الاحتلال الانجليزى في استامبول احتلال ضعيف لا يقوى على
المقاومة . ثم ان أحرار الفرنسيين والايطاليين والامريكيين يقولون - بوحي من
صاحبنا الهزيل ذى الخصلة النابليونية - إن الحلفاء في حالة من الضنك والسأم لاتسمح
لهم بمعاودة الحرب من جديد ، وإن الشعوب الأوربية لن تتيح لحكوماتها بعد ذلك
أن تزج بها في نيران حروب جديدة معها يكن الباعث عليها . .
ثم ان جيش الاحتلال في استامبول خائف متوجس بعد أن علم بقوة الحركة
الوطنية وتصميم بطل الدردنيل على الكفاح . والانجليز اذ يتصورون كملاً يتصورون
معه عشرات الألوف من قتلاهم الثاوين تحت تراب غاليبولي . .
إذا فالبدار البدار الى استامبول !

ميت يبعث من جديد !
جيش الخليفة لا تبقى منه باقية !
جلاء الحلفاء عن أطراف الأناضول يتم بسرعة عجيبة !
كاظم قره بكير ينظف منطقة أرمينيا ويزيل شبح الأرمن . الى الابد !
صناديق وافرة من الرصاص يغنمها هذا الرجل من الاعداء فيبادر الى ارسالها
الى أنقرة

على فؤاد ينظف المنطقة المحيطة بازير من طلائع اليونان والأرمن
أدهم الشركسى - رئيس العصابات فيما سلف - يقوم بأعمال حربية باهرة مع
على فؤاد !

جعفر طيار : هذا الجندى الكبير المخلص لكمال والحامل لواءه فى تركيا أوروبا ،
فى منطقة أدرنة ، يشرع فى الزحف على استامبول
ومصطفى كمال فى أنقرة كاتقلب الجبار ييث فى الجنود روح الاستبسال ويدفعهم
الى هنا وإلى هناك

وإن فى ارادته الفولاذية وروحه القوية ونظراته النارية لآية لمن يرى ويسمع

فنزىلوس رجل الساعة !

رجل ضئيل أصفر : فيه من الذئب والثعلب الغدر والدهاء . فى كريد ولد ،
وفى الثورات شب عن الطوق . وفى الدماء ولغ . وله فى عالم السياسة الدولية
جولات بارعات

فدائى كأروع ما عرف عن شيخ الجبل وطائفة الحشاشين !
مئات الألوف من الجثث يتخطاها . وبحار من الدماء يعبرها ليصل الى غايته فى
الحياة : مجد اليونان ، ورفع الصليب على مسجد أيا صوفيا
هو الآن رجل الساعة : فقد جلس مع جبابرة العالم ليبت معهم فى مصائر الأمم
والشعوب ، فرأى ما هم فيه من ارتباك بعد أن ثار الترك واعتموا اجلاء الحلفاء عن
استامبول ، فتطوع لافناء الترك بجيش من بنى وطنه
جبابرة العالم يرجون بما عرض عليهم ثعلب كريد ، فلئن كانت شعوب أوروبا فى

حالة من الضنك والسأم لا تسمح بقتال الأتراك ، فهذا شعب يتطوع قائده بالقتال دون أن يرغمه أحد على ذلك

ثعلب كريد يتقلب ذئباً ، ويطلب إلى جبابرة العالم امداده بالاسلحة والدخائر ، فيمدونه بما بقي لديهم من مخلفات الحرب ، مدافع وقنابل ورشاشات وبنادق وطلقات وطائرات وخيول وعربات

وذئب كريد يسوق إلى ازميز زهرة الضباط والجنود اليونانيين تمهيداً للزحف على الأناضول

وفي طرفة عين يرى كمال أن الموقف انقلب رأساً على عقب : فبعد فلول الحلفاء الراغبة عن القتال يفد على الأناضول جيش عرمرم متحمس للحرب مستعد لها وفي ٢٣ يونيه سنة ١٩٢٠ يشرع اليونان في الزحف :

ففي تركيا أوروباً ينهزم جعفر طيار بحيشه ويقع في الاسر ، ويستولى اليونان على ما بقي في يد الأتراك من القرى والبلدان

وفي ازमित يقضى الجيش اليوناني على مقاومة الأتراك قضاء مبرماً ومن ازميز يزحف جيشان يونانيان جباران فيكتسحان عصابات أدهم الشركسي وقوات على فؤاد ، ويسيران في الأناضول صعداً رافعين ألوية النصر على القرى والمدائن

اليوناني في السلم ندل وبقال . ولكنه في الحرب جندى جبار . وهو في زحفه هذا على الأناضول وحش كاسر أيقظ فيه ذئب كريد ثأره القديم فراح يقاتل كأروع ما يقاتل جندى تركي أو فرنسي

ثم انه لم يقاس أهوال الحرب الكبرى . والسلاح والدخيرة في متناول يده . والاموال تنهل عليه . والحلفاء من خلفه يدفعونه ويؤيدونه . والوطنيون أمامه عصابات وفلول جيوش جائعة ، فقيرة ، لا سلاح معها ولا ذخائر

ما أشنع فرار الوطنيين أمام الزحف اليوناني ! وما أسعد الخليفة والحفاش الاسود بهذا الفرار !

اليونان أوشكوا على بلوغ اسكيشهر . وقوادهم يصرون على وجوب الزحف حتى يبلغوا شرق الأناضول . ولكن ثمة ارادة عليا من الحلفاء تمنعهم من مواصلة

الزحف حتى يوطدوا أقدامهم في الأرض التي فتحوها

وفي أنقرة ثورة كلامية توشك أن تؤدي إلى فشل ذريع . فنواب المجلس الوطني الكبير الذين سمعوا بالأمس من كمال أنهم على وشك الظفر وبلوغ استامبول تهولهم أبناء الهزائم والفرار ، ولا يصدقون أن الحالة تغيرت عما كانت عليه . فهل كان كمال يلعب بعقولهم عندما قال إن استرجاع استامبول أصبح قاب قوسين أو أدنى ؟ أم أنه تسبب - بحماقته وطيشه وجبن قواده - في فشل الحركة الوطنية ؟ !

مصطفى كمال يكاد يصبح عدو الشعب في نظر بعض النواب . وعصمت وفوزي لا يصلحان لإدارة المعارك . وعلى فؤاد الذي انسحب أمام اليونانيين خائن يجب إعدامه . وأدهم الشركي - السفاح - ورئيس العصابات فيما سلف ، هو المنقذ الوحيد والرجل الذي يصلح الآن لإدارة المعارك !

بل إن في النواب من ينادون بوجوب حل الجيوش المنظمة وجعلها عصابات يقودها أدهم الشركي . . .

وأدهم الشركي يزور أنقرة فتستقبله استقبال الغزاة الفاتحين . وزعيم العصابات السفاح يدخل المجلس الوطني الكبير فيقوم له النواب أجلاً ويهتفون له ويصفقون ، فإذا دخل كمال المجلس استقبلوه ببرود وفتور ، وتفرسوا فيه بنظرات ، الاغتيال كامن فيها والثأر في أشعتها يتألق . .

مصطفى كمال لا يزال كما كان وحيثما كان حديداً جليداً

إنه يتقدم إلى منبر الخطابة بخطوات ثابتة ، ويقف أمام النواب صامتاً ريثما تفرغ جعبة هتافاتهم العدائية ، ثم يتكلم خافت الصوت في أول الأمر ، قويه بعد لحظات ، مدممداً بعد دقائق . . .

إنه يقول للنواب إنهم لا يقدرّون الموقف حق قدره . وإن الحركة الوطنية لا ينتظر منها أن تقف في وجه الزحف اليوناني وهي بعد في مهدها . وإن الجيش اليوناني جيش جبار مزود بالمال والسلاح والذخيرة . وإن الخليفة وخفاشه الأسود هما الملوّمان فقد سرحا القوات الوطنية ثم وقعا على معاهدة سيفر ، ولم يكفهما ذلك بل أثارا حرباً أهلية بين أهل البلاد فأصبح التركي يقاتل أخاه وكأنه يقاتل عدواً دخيلاً . فكيف ينتظر من بلد هذا شأنه ، وجيش تلك حالته أن يقف أمام اليونانيين ويهزمهم في أول معركة يواجههم فيها ؟

ثم ينطلق موجهها كلامه الى دعاة التسليم بالأمر الواقع ، فيهدف بهم أن اذكروا
عبدكم القديم وغار آبائكم وأجدادكم ، وتذكروا انكم كنتم لليونان سادة حاكمين .
فكيف تقبلون الذل والاسر من عبيدكم بالأمس ؟ ! « حاش لله أن تكونوا عبيداً
وقد خلقكم الله أحراراً . ثوروا لقوميتكم ، ووحّدوا شتات قوتكم ، واعلموا أن
لواء النصر معقود لكم آخر الأمر باذن الله ! »

ويغادر الرجل الحديد الجليد المتبر فيسود الصمت العميق بضع دقائق . ثم تنطلق
الحناجر بالهتاف والأكف بالتصفيق بمجدة عدو الأمس وبطل اليوم !

الويل لأدھم الخائن !

مصطفى كمال رجل الحرب النظامية يخرج من قاعة المجلس الوطنى الكبير ظافراً
بتأييد النواب مصمماً على القضاء على أدھم الشركسى زعيم حرب العصابات . وهو
- كماداته دائماً - لا ينفو عن أساء اليه والى قضية الوطن . وقد أساء أدھم الشركسى
اليه كما أساء الى الحركة الوطنية بغروره وحركات عصاباته الجنونية ، وتسبب فى هزيمة
القوات الوطنية أمام الجيش اليونانى الزاحف ، وأوشك أن يقضى على النظم العسكرية
التركية ، وشجع نفعراً من الضباط والجنود على خلع اللباس العسكرى والترنى بزي العصابات
وكال رجل النظم العسكرية والحرائط والارقال يرى فى حرب العصابات الهزينة
الحقيقة . فهو لذلك يعين عصمت قائداً للجهة الغربية ، ويأمر أدھم وأتباعه بتلقى
الأوامر من قائدهم وتنفيذها تنفيذا حرفياً

ولكن أدھم يرفض أن يكون تابعاً لعصمت ونصيراً لجيشه . ويجمع من أشتات
عصاباته جيشاً يسميه « الجيش الأخضر » . ويحاول أن ينفرد بالولايات الغربية وبقتال
اليونانيين . ويجمع من أهل القرى ضرائب فادحة ، ويتحدى كمالاً وحكومة أنقرة .
بل أكثر من ذلك كله أنه يهدد كمالاً بالشنق اذا تعرض له بسوء !

ولقد حاول كمال أن يردعه عن غيه فما ارتدع . واستقدمه الى انقرة ذات مرة
ليقنعه بوجوب حل عصاباته ، فهدده زعيم العصابات بمسدسه . . ودعاه الى زيارة
عصمت فى خط النار وفض النزاع القائم بينه وبين غريمه ، قفز أدھم من القطار فى
احدى المحطات واعتصم بعصاباته مخافة أن يغتاله مصطفى كمال . .

وهناك في ولاية كوتاهية يشق أدهم عصا الطاعة على كمال وعلى الحركة الوطنية . ويعود السفاح إلى أصله فيعيش في الأرض فساداً . ثم ينقلب خائناً فيفاوض حكومة الآستانة ويعرض عليها مساعدته ، ويعمل على قتل الروح المعنوية في صدور الأتراك ، ويصدر النشرات بوجوب الكف عن القتال والاستسلام للأمر الواقع ومفاوضة الحلفاء على أساس التسليم بكل شيء . . .

كل ذلك يوحى من حقه على كمال ورغبته في القضاء على حركته . وهو في هذا الانحدار من الوطنية المتطرفة في أول الحركة الوطنية - إلى الخيانة السافرة في منتصفها يسعى في أحد أمرين : إما القيادة العليا ، وإما القضاء المبرم على الحركة الوطنية ! وأخيراً يضرب كمال ضربته القاصمة إذ يوجه رأفت إلى كوتاهية بجيش كبير يهزم عصابات أدهم ويشتت أتباعه ، فيفر أدهم إلى حيث استقر جيش اليونان ، ومن ثم يندثر اسمه كزعيم وطني . . إلى الأبد

ومصطفى كمال رجل النظم العسكرية والخرائط والارقام يتنفس الصعداء فقد استراح من خصم عنيد أوشك أن يشطر تركيا المجاهدة إلى معسكرين متقاتلين

عصمت في «اينونو»

في منزل السيدة الكبيرة القلب بايان شريفه صالح كورخان جلست في أحد أيام العام المنصرم أتحدث إلى رءوف بك ، وكان موضوع حديثنا عصمت . فقال رءوف بك : « انه رجل كبير . كان القواد يتنافسون في الحصول عليه عندما كان ضابطاً بسيطاً . وقد عرفته في اليمن فعرفت فيه رجل المستقبل . ولما عين أنور وزيراً للحرية اتخذته مديراً لشعبة الحركات - وهي وظيفة كبيرة بالغة الخطورة . وان أنس لا أنسى سفرنا إلى « يانيا » مع بعثة أركان الحرب ، إذ قال لي وهيب باشا - وكان معنا - مشيراً إلى عصمت : هذا رجل ليس له مثيل . . . »

ثم صمت رءوف بك لحظة ليعاود حديثه :

« وأنا لا أظن ان مصطفى كمال خلق عصمت كما يقول الكثيرون ، فعصمت خلق نفسه بنفسه . وكل ما أستطيع أن أقوله في صدد الكلام عن رجل تركيا العتيدين أن أحدهما يكمل الآخر »

هذا الرجل الكبير الذى يقول رءوف بك انه يكمل مصطفى كمال يفتح الآن تاريخه الوطنى الحافل بنصر مجيد فى معركة « اينونو » الأولى ، فقد حسب اليونان أن انضمام أدهم اليهم معناه انقسام الجيش الوطنى ، فزحفوا على مدينة افيون قره حصار واحتلوا جانباً من الخط الحديدى الرئيسى فى الاناضول ، ولكنهم سرعان ما فوجئوا بهجوم واسع النطاق من عصمت اجلاهم عن المدينة التى احتلوها وأعادهم الى صفوفهم الأولى عند اسكيشهر

عصمت فى هذا الهجوم موفق إلى أقصى حده . واليونانيون - بعد - يستشعرون الخوف من الجيش الوطنى الذى زعم ذئب كريد - وكان محقاً فى زعمه - أنه الى الفلول الواهية أقرب منه الى الجيش المنظم الكبير

وفى انتصار عصمت الذى يكاد يكون احدى المعجزات اضعاف للروح المعنوية فى صفوف اليونان ، وتقوية لروح الكفاح فى الجيش الوطنى . وتلك الفلول التى حقر فزيابوس من شأنها يعاودها الحماس ويصور لها الانتصار تصاویر باهرة فتجالد الفقر والجوع والعرى وتستعيد ما فقدته من البسالة والنظام تحت لواء عصمت

وأما اليونانيون فيظنون معسكرين حول اسكيشهر . وهم فى هذه الشهور الستة يزيدون فى قواتهم ويطلبون المزيد من الاسلحة والذخائر من حلفائهم استعداداً للهجوم المنتظر

أيام انقرة ولياليها

مصطفى كمال فى أنقرة يعمل . وعلى كتب منه فوزى مكب على خرائطه وشئون الجيش التى لا أول لها ولا آخر . وعصمت فى « اينونو » كما عهدناه - وسعدهم دائماً - كتلة من العمل صماء بكما

ويحاولى فى هذا الصدد أن أعدل فى أقوال رءوف بك قليلاً : مصطفى كمال وعصمت وفوزى أقانيم ثلاثة يكمل أحدهم الآخر وتتألف منهم - مجتمعين - تلك الحركة الوطنية الباهرة التى تتحدث عنها فى هذا الكتاب

ومن حق فوزى أن نصفه للقراء ما دام يزهد فى الاعلان عن نفسه :
هو رجل مديد القامة ممتلئها ، حديدى الارادة ، كامل الأخلاق ، لا يدخن ولا

يعرف الحمر أو الميسر ، متزوج وله ذرية صالحة ، محافظ على الشعائر الاسلامية في مظهره وغبره ، صلى ويصوم ويذكر ويرتل القرآن منذ نعومة أظفاره ، زاهد في المال والجاه ، لا يعرف الا مكتبه وخرائطه وجنوده وسجاداته . اذا تحدث خلته رجلا عاديا . وهو في تنظيم الجيش وتدير الأقوات والأسلحة عسكري من الطراز الاول عالمي الكفاءة الحربية . ملم بخريطة بلاده إلمام الرجل منا بتصميم منزله ، لا تسأله عن قرية أو جدول أو رابية أو طريق زراعي في أية جهة من جهات الأناضول حتى يحدد لك مكانه بالضبط وكأنه ولد وعاش فيه طوال أيام حياته . .

مصطفى كمال يعمل في أنقرة الى جوار هذا الرجل . وهو موقن أن اليونانيين في اسكيشهر يستعدون لهجوم واسع النطاق ، فهو لذلك يصدر الاوامر الى سائر الولايات بتجنيد المتطوعين ، ويشرف على الحركات العسكرية بنفسه ، ويأمر أهل الأناضول باقراض حكومة أنقرة نصف محصول أراضيهم وما يربحون ، ويعدهم بتسديد هذا القرض عندما تستقر الأحوال بعد طرد العدو من أرض الوطن

وأهل الأناضول لا يترددون في اقراض الحكومة نصف محصولاتهم . بل ان منهم من يتبرعون بهذا النصف ولا يطالبون الحكومة به . ولقد يعجب المرء لهذه التضحية من شعب استنزفت الخلافة موارده طوال ستة قرون ، كان ينفق فيها بسخاء على اليمن وبلاد العرب والعراق والشام ويسكب دمائه في تلك البوادي السحيقة ، دون أن يعترف له أحد بفضلها عليه . واني لأجد السر في تلك التضحيات الجديدة في هذا الروح الجديد الذي نفخه مصطفى كمال فيهم ، فهو الآن لا يطلب منهم أموالهم ومحصول أراضيهم للدفاع عن أقطار أخرى وتعميرها ، بل يأخذ منهم ليعطيهم ، ويستخدمون في الدفاع عن الوطن الذي يشربون مائه ويعيشون تحت سمائه . وهو في حركته الوطنية الجديدة مصمم على أن يكون الأناضول لأهل الأناضول ، ومنهم واليه ، وهو دائماً أبداً يعترف بأن أهل الأناضول هم تركيا الحقيقية ، تركيا التي ستخذ مكانها في طليعة الدول الشرقية وعلى قدم المساواة بالدول الغربية . وأهل الأناضول لذلك مغتبطون مزهوون بتلك المسؤولية العظمى الملقاة على عواتقهم ، فلا عجب أن يجودوا الآن بأخر قطرة من دمائهم ، وآخر سنبله في أراضيهم

وتضحياتهم لا تقف عند اقراض الحكومة وحسب . بل انهم يتطوعون في الجيش الوطني غلمانا وشيخاً . فمن لم يتطوع في الجيش منهم انضم الى الفواطم العاملات

في نقل المؤن والدخائر الى خط النار . وان السائر في المنطقة بين أنقرة و « اينونو »
اذ ذاك ليرى ألوفا مؤلفة من النساء والرجال فيهم وفيهن حاملة القنابل على ظهرها ،
وحامل الغلال على عربته التي تجرها الثيران في طرق متعرجة ووهاد ونجاد ، دون
أجر معلوم أو مجهول
وفي الميدان اليوناني كنت ترى سيارات النقل الكبيرة والقطر والطائرات
تستعمل في نقل المؤن والدخائر والرجال الى خط النار

ومصطفى كمال ينتقل الآن من دار مدرسة الزراعة الى دار ناظر محطة أنقرة .
قراء هناك في حجرة ضيقة مظلمة فيها من الالاث أكله، ومن الخرائط والمحابر والاقلام
والاعلام الصغيرة التي تستعمل في رسم الخطط على الخرائط آكام
يومه من مطلع الشمس الى مغربها ينقضي في المجلس الوطني الكبير، وحيث
الجنود والحديد والنار ، وأمام عامل التلغراف ، وهنا وهناك وفي كل مكان
ويله ينقضي في غرفته الضيقة حيث يجلس على نور الغاز وأمامه منضدة فوقها
خريطة الاناضول وبحواره عشرات من لفائف التبغ يدخنها تباعاً ويلقي بأعقابها في
المنفضة أو في الغرفة حينما اتفق . وهو في جلسته أمام الخريطة دائب على تثبيت
الاعلام الصغيرة على مواقع العدو ومواقع جنوده ، يرسم خطته ويناقشها ساعات
طويلة ، فاذا وجد فيها نقطة ضعف عدل عنها في جملتها أو في بعض تفاصيلها . وكثيراً
ما نرى بحواره صديقه عارف ، أو مساعده فوزي ، أو هذا أو ذاك من ضباط أركان
الحرب أو من حراسه المعروفين « باللاظ » وعلى رأسهم عثمان أغا
والفجر وحده يجحد كمالاً متمدداً على فراشه الحشن . . !

وبعد بضعة أسابيع ينتقل كمال من منزل ناظر المحطة الى قمة راية « تشان كايا »
المشرفة على قرية أنقرة . هناك يقيم في منزل متواضع مبني من الحجر فتصلح حاله قليلا .
وتعمل أمه « زبيدة » على توفير أسباب الراحة له فترى لونا مؤثراً من حنان الامهات
« زبيدة » التي رأيناها في سلايك وسمعتها تصيح ابنها كمالاً بعدم التعرض للخليفة
الذي يملك قوة سبعة من الاولياء . . زبيدة التي أشرفت الآن على مرحلة عمرها
الاخيرة ، والتي لا تزال تتصور كمالاً طفلاً في المهد يبكي ويضحك ويرضع اللبن من
ثديها . . زبيدة هذه لا تسكاد تصدق أن ابنها أصبح « باشا » من الباشوات وأخذ تركيا

من نكبة غاليلوى وها هو ذا الآن ينقذها من نكبة سيفر . .
انها تتحدث اليه كما تتحدث الأمهات الى طفل شقى . فيضحك كمال - وما أنسر
ما يضحك !

وهى تشرف على طعامه وفراشه بمساعدة فكرية هانم ولا تنسى أن تقول : « ابنى
كان يحب كذا ولا يحب كذا من ألوان الطعام لما كان طفلاً يلعب . . »
وهى تقوم من فراشها فى الصباح مبكرة فلا تجد ابنها فى المنزل . فتدخل غرفة
نومه فتجد أثاثها منقلباً رأساً على عقب : كثيراً مهيلاً فيه « قلبى » وطربوش وحذاء
عسكرى خشن وملابس داخلية وخارجية وخرائط وأعلام صغيرة وعشرات من
أعقاب السجائر تملأ أرض الغرفة . . فتتهدد

المجلس الوطنى الكبير دائب على العمل . يعقد جلساته فى الحفير والخطير من
الأمور . والنواب يعملون باخلاص وتضحية ولكنهم فى نظر كمال جبهة من الناس
لهم ألسنة تتكلم ، وأفئدة تجيش فيها الوطنية ، وأكف تجيد التصفيق ، ولا أكثر
من ذلك . . شأن سائر البرلمانات فى سائر انحاء العالم

نعم ان فيهم السياسى ، والعالم الدينى ، والزارع ، والتاجر ، والصانع ، والشاعر
الاديب . وكل ما يصدر من قوانين أو أوامر لابد أن يناقشوها ويوافقوا عليها .
ولكن من الذى يشرع القوانين ويوحى باصدار الأوامر ؟

نحن نقرر - للحقيقة والتاريخ - انهم كانوا يرهقون أعصابهم فى النقاش والهتاف
ولكننا نقرر - للحقيقة والتاريخ أيضاً - ان كالا هو الذى كان يقرر وينفذ . بيد
أن وجودهم ووجود المجلس الوطنى أمر لا بد منه لتتخذ قرارات كمال ومشروعاته
صفة القوانين

ومصطفى كمال إذ يجلس على أحد مقاعد المجلس الخلفية شخصية لا بأس بها فى
نظر النواب . بيد أنه ينقلب شخصاً غير مرغوب فيه اذا استكثر مناقشتهم وسئم
تشعب وجهات أنظارهم فارتقى ذروة المنبر وظهر أمامهم بوجهه الشاحب الضامر وعيني
الذهب المتألفتين . . فاذا تحدث وعلا صوته ودمدم ، وراح يغلب ألبابهم بسحر بيانه
وروعة خطابه ، صفقوا له طويلاً وأيدوه على طول الخط . .
وان كالا ليفاجئهم فى كل يوم بكل جديد مستطرف :

فروسيا البلشفية التي قامت على انقاض القيصرية تختط في مستهل حياتها سياسة جديدة أساسها هدم الرأسمالية وعداء حلفاء الأمس وعلى رأسهم إنجلترا . وهي تنسى تلك العداوة التقليدية للاتراك التي توارثها الروس قيصرًا عن قيصر ، وتتقرب الى حكومة انقره بعد اعترافها الرسمي بها وعقد محالفة معها في ٢٤ أغسطس سنة ١٩١٩ وكاظم قره بكير يهزم الأرمن عند (قرص) ويستولى على كميات وافرة من الذخائر والمدافع والبنادق صنعت في معامل إنجلترا ومنحت للأرمن بعد عقد الهدنة فيرسلبا فوراً الى أنقرة

وفرنسا وايطاليا تشعان بالضيق والخرج من جراء السياسة الانجليزية اليونانية ، فتوحيان الى حكومة انقره بأنهما - منذ الساعة - على الحياذ ، وبأنهما على استعداد لبيع السلاح للجيش الوطنى

وانجلترا لا تقل عن زميلتها ضيقاً وحرَجاً . ولكنها لا تزال تؤمل في نجاح الغزوة اليونانية ، فهي لذلك جاثمة بأسطولها وجيشها في مياه استامبول وثكناتها ، عاملة على امداد اليونانيين بالأسلحة والمؤن والمال

وفي الشرق الاسلامى موجة من الحماسة تمحو آثار العهود البائدة ، وتيار من العطف يتحدر على انقره من سائر الانحاء ، وأموال تجمع ، وأدعية تلقى في المساجد وقصائد يهتف بها الشعراء مجدين كمالاً وحركة الوطنية ، قائلين :

« من العار أن يفدى الغزاة نفوسهم ونحن بدينار نضرب ودرهم . . . »
وان فيهم من يبلغ به التأثير شأوه فيهتف :

عظم المصاب وضج كل موحد وملا الأسى في القبر قلب محمد
وترزّل الحرمات حتى أوشكا يتداعيان الى الحضيض الأوهده . .

كل هذا يقصه كمال على النواب من فوق المنبر ويضفى عليه الواناً من آيات بلاغته فيتحمسون ويهتفون ! وبذلك يحتفظ بمكاته في قلوبهم في تلك الأشهر الطويلة المملة التي تسبق زحف اليونانيين وتندرب بهبوب العاصفة النكباء

ثم ينطلق داهية الحرب والسياسة في تحميس النواب والجنود فيقترح تأليف نشيد للحركة الوطنية . ويعين للفائز جائزة كبيرة . فيتبارى الشعراء والمتشاعرون في تأليف النشيد . ولكن أتى لهم ذلك وشاعر تركيا الأكبر محمد عاكف مقيم في

أثيرة ؟ وهل يؤلف النشيد وعاكف في المدينة ؟
 أطال الله بقاءك يا استاذي العزيز . . انه يضع نشيدا : الاعجاز في كل بيت منه ،
 والنار فيه تتوهج . . فيفوز بالجائزة ، ولكنه يتنازل عنها للحركة الوطنية وهو
 أحد أقطابها قائما : ان قبول الوطن لنشيدته يكفيه فخراً وتحليدا
 ويلقى النشيد في المجلس الوطني الكبير في يوم اشتدت فيه الحماسة ، فيقاطعه النواب
 بعد كل شطرة منه بعاصفة من التصفيق تستمر بضع دقائق ، حتى اذا ما وصل الشاعر
 الى قوله :

« لتبرغن أيام مجدك التي وعدك بها حقك العتيد . . .
 » ومن يدري . . فلعلها تبرغ غداً ، أو لعلها أقرب اليك من الغد القريب !
 نرى كلاً يخرج عن طوره فيهتف للنشيد وواضع النشيد ، وينادي بأن أيام
 لمجد أقرب اليه من جبل الوريد ، ويقفز الى فوق للمقاعد هاتفاً مصففاً ، حتى تسجل
 عقارب الساعة مرور عشر دقائق !

المناحة الكبرى

عصمت في خط النار يستعد لملاقاة الهجوم اليوناني . وهو الآن سعيد بجيشه
 المنظم بعد أن رحل أدهم الشركسي وتشنت فلول عصاباته ، معزّم الدفاع عن اسكيشهر
 وافيون قره حصار وما حولهما بما بين يديه من جيش صغير واسلحة لا تكاد تقارن
 بأسلحة الاعداء

وفي كل يوم يسمع عصمت ازيز الطائرات اليونانية فوقه ، فيصر على أسنانه غيظاً
 لأن قوة دفاعه لا تملك طائرة واحدة . .
 وكأنّ القدر يأبى الا أن يكون ساخرًا فيبعث الى الجيش بطائرة واحدة من
 طائرات الانجليز يقودها شاب تركي جسور . .

ولهذه الطائرة قصة : فهذا الشاب الاستامبولي ينجل لأنه لم يتمكن من الالتحاق
 باخوانه المجاهدين ، فيبعث بزوجه الحسنة الى حيث ضباط سلاح الطيران الانجليزي
 فيلعب جمالها دوره الساحر الخطير ويأسر لب أحد الضباط ، ويحاول العاشق أن ينال
 من معشوقته ما يتمنى فتقول في دلال واغراء : « قبل أن انيلك أمنيئك خذني معك

في الطائرة مرة واحدة . . » فيوافق الطيار على ذلك ويدعوها للركوب معه . فتقول له : « ألا تركب زوجي معنا ؟ ! إنه أبله لا خطر له . . » فيركبه الطيار معه أيضاً . . وفي عالم الفضاء نشهد مأساة رهيبة : فالشاب التركي يصرع الطيار الانجليزي ويلقي بجثته الى الأرض ، ثم يقود الطائرة بمهارة فائقة الى اقتره . . الى مصطفى كمال . . فتكون الطائرة الوحيدة التي يملكها الجيش الوطني !

عصمت لا يقدر على مبادرة اليونانيين بالمهجوم فكل جندي يفقده ، وكل طلقة يضيئها تضعف الجيش الوطني
أما اليونانيون فقادرون على الهجوم . وها هي ذى مدافعهم تملأ الفضاء قصفاً وتذكر استحکامات الأتراك دكا . . ها هي ذى طلائعهم تخرج من الخنادق معتصمة بقنابل المدافع ، حاملة على جيش عصمت حملات رهيبة توشك أن تحمله على التقهقر . . . والويل له اذا تقهقر !

وهناك في اقتره رعب شديد ونقاش طويل . . ونواب المجلس متشبثون بضرورة صد اليونانيين مهما تكن النتيجة . ومصطفى كمال يشعر بخطورة الزحف اليوناني فيعمل ليل نهار ، ويتصل بعصمت في كل ساعة ليقف على سير المعارك ، فيعلم منه أن الزحف اليوناني لا يمكن الوقوف في سبيله ، وأن العدو احتل كوتاهية وافيون قره حصار وأوشك أن يدخل اسكشهر . . . فيأمره بالدفاع عن اسكشهر . ولكن عصمت يوقفه على استحالة ذلك ، ويتوسل اليه أن يأتي بنفسه ليدر المعارك أو يأمر بالانسحاب الى موقع آخر منيع . فيغادر مصطفى كمال اقتره ويذهب الى خط النار وسرعان ما تذاع انباء الزحف اليوناني وتقهقر الجيش الوطني فتقوم في الأناضول كله مناحة كبرى . .

لن يبق اليونانيون على شيء اسمه تركيا في هذه المرة !
ولينتقم الأرمن من الأتراك أشد انتقام !
ولتحرق القرى والمدائن . ولتباحن الاعراض . وليقتل الشيوخ والنساء والاطفال بعد الرجال . ولتهدم المساجد . وليصمتن الى الابد صوت المؤذن : « الله أكبر الله أكبر ! » ولتقلب تركيا ارضا غير الأرض ، وقوما بعد قوم ، ودينا بعد دين . . أهل القرى يستعدون للفرار فيحزمون أمتعتهم ويودعون مساكنهم ويستودعون الله مساجدهم وقبور أوليائهم وشهداءهم . .

وأهل اقرة يفرون الى الداخل فتكاد تخلو القرية الا من أعضاء المجلس الوطنى
والجنود وبعض الرجال الشجعان
والياس ، والحراب ، والموت ، كل أولئك أشباح تراءى للناس في نومهم
ويقظتهم
وهناك في استامبول لا يزال خليفة المسلمين وظل الله في الأرض صديقاً للعدو ،
عدواً للمجاهدين

مصطفى كمال يذهب الى خط النار فيستقبله عصمت بجرارة ويتخلى له عن القيادة
مكتفياً بتنفيذ الأوامر
وفي بضع ساعات يقضيها مصطفى كمال متنقلاً في خط النار يؤمن إيماناً لا تردد بعده
بأن الانسحاب الى الداخل أمر لا بد منه ، والا فالهزيمة المحققة .
ومصطفى كمال إذا آمن بشئ لم يتردد . فهو لذلك يأمر عصمت بالتقهقر إلى
ضفاف نهر سقاريا

معركة سقاريا

أرأيت الذئب الذى دوخ مراعى آسيا منذ فجر التاريخ ، وانطلق يقفز من تلك
القمة الشاغرة إلى هذا النجد الشاهق ثم ينحدر إلى الوديان ومنها يعاود ارتقاء النجاد
ليهب الى الوهاد من جديد ؟

أرأيت ضمور وجهه وتألق عينيه في ساعة الخطر ؟

إن هذا الذئب بعينه يقطع المسافة بين اسكيشهر واقرة قفزا ، حتى إذا ما بلغ
اقرة هرع إلى حيث تجتمع الذئاب فى المجلس الوطنى الكبير ، فتستقبله بعواء :
الموت فى جلجلته والياس القتال فى نبراته . فيعوى أمامها بدوره ويقول لها كما قال
ذئب آسيا لاتراك آسيا من قبل : « النجاة من هنا . . على كذب من اقرة . . على
ضفاف سقاريا . . »

فتعاود الذئاب العواء ، وتكشر عن أنيابها ، ويتألق الموت فى عينها ، وتهم
بافتراس زعيمها فى ساعة الخطر وليكن بعد ذلك ما يكون . .

ولكن الذئب الزعيم يتحدى الانياب والنظرات القاتلة بأنياب ونظرات أشد منها فتكا وأروع تألقاً ، ويقول وهو يلهث : « ما بالكم تجبنون ، وفي ساعة اليأس تتمردون ؟ أقول لكم النجاة من هنا . . على كسب من انقرة . . على صفاف سقاريا . . امنحوني قيادة الجيش العليا أمهد لكم سبل النجاة . . »

فتعاود الذئاب العواء من جديد . وقاعة المجلس الوطني تكاد تحترق من تألق النظرات النارية . والموت ترقص اشباحه في عالم من اليأس مميت وهناك في أقصى القاعة يقعى الذئب الزعيم على ذنبه ويتحفز للهجوم . .

يا له من منظر !

إن عواءه يصم الآذان . إن وجهه الضامر يبدو كقطعة من الفولاذ حمراء ملتبة . إن عينيه تصرعان سائر الذئاب بتألقها الوحشي المخيف . . إنه لاتكاد تمر لحظات حتى يخرج الذئب الزعيم من المجلس قائداً أعلى للجيش لا يرد له أمر

والذئب الزعيم يقطع المسافة من انقرة إلى سقاريا قفزاً . وهو إذ يدنو من خط النار يسمع دوى قنابل العدو فتألق عيناه بشدة . . ويلهث !

فاذا اشرف على مواقع العدو ، نراه على ظهر جواده وفي يده منظار الميدان المكبر . نراه يطبع تضاريس الميدان على صفحة ذهنه . نراه يقيس كل شبر في هذا الميدان ويقدر لذلك السهل يوما ، ولتلك الراية ليلة ، ولهذه التلال وما وراءها ليالى وأياما

ثم نراه فوق السهل . وعلى الراية . وفوق قم التلال . وفي كل مكان : كما رأيناه في غاليلوى من قبل يتحدى الموت وهو موقن أن الموت ليس من نصيبه

آلاف من الطلقات تصوب اليه فلا يموت

مئات من القذائف تنهوى حوله فتقصف الأعمار : أعمار القواد ، والضباط ، والجنود ، وهو رغم ذلك كله لا يموت

وئمة طلقة واحدة تصيب جواده فيهوى الى الأرض صريعاً . فيقوم الذئب من فوقه وقد تكسرت ثلاث عظام من ضلوعه . .

ولكن هل مات ؟

كلا . . إنه يقعى على ذنبه ويهتف في جنوده وهو يلهث : « إلى بجواد آخر . .

هنا فوق هذه الراية سقطت عن ظهر الجواد ، وهنا فوق هذه الراية سينهزم العدو ! »

ثم نراه فوق ظهر جواده ثمانياً وأربعين ساعة متتالية لا يذوق خلالها طعم النوم ، مع أن ضلوعه المكسرة تذيبه من الآلام ما هو فوق طاقة البشر إنه يتحدى القدر . . إنه يعلم أن سقاريا هي الأمل الأخير : فلما نصر خيافه ، وأما هزيمة ففناء . فهل يعبأ بعد اليوم بسقطة من فوق جواد ، أو تكسير في بعض الضلوع ؟

سقاريا تسجل تاريخها بدماء عشرات الألوف من الضحايا فعلى كشب من النهر يحمل اليونانيون على الأتراك حملات صادقة ويفنون منهم في كل حملة كتلا هي زهرة الشباب التركي وآخر أمل للذئب الزعيم واليونانيون إذ يقاتلون الترك إنما يصبون عليهم حمما من الثأر القديم الهاجع ، الثأر الذي أيقظه فزيوس ذئب كريد

والأرمن الذي يقاتلون في صفوفهم ينتقمون اليوم من الاتراك أعداء الامس واليوم ، ويؤملون في قيام دولتهم على انقاض دولة آل عثمان

وعلى مسيرة أميال من النهر حيث تتعرج التلال وتنحدر الطريق الى انقرة ، نجد جنود الذئب الزعيم جاثمين في حينما تتهم الارض أو تنجد . نجدهم في حالة من اليأس لا شبيه لها فيما قرأنا من صفحات التاريخ . ولكن ثمة رجلا واحداً يثبت في نفوسهم الأمل وفي قلوبهم الاستبسال والجبروت : هذا الرجل هو الذئب الزعيم . .

فإذا انحدرت مع الطريق المؤدية إلى انقرة رأيت معالم الهزيمة في كل مكان : فهذه اسر تفر الى قلب الاناضول على ظهور الخيل أو بعربات تجرها الثيران وهؤلاء تجار أو زراع يصفون أملاكهم بسرعة ويخزمون حقائبهم استعدادا للفرار

وأولئك ذئاب المجلس الوطني بعثوا بزوجاتهم وأفلاذ أ كبادهم الى حيث الأمان ووقفوا على باب المجلس يسمعون دوى القنابل وازير الطائرات ويصرون على انيابههم صارخين : « الويل للذئب الزعيم اذا عاد الينا مدحورا !! »

وهناك في قرية « آلا كوز » نجد منزلاً صغيراً منفرداً يقف ببابه نفر من الحراس الشاكي السلاح ، ونسمع في الطريق المؤدية اليه وقع حوافر الخيل على الصخور ، وصليل بعض السيوف ، ونرى من حين لآخر ضابطاً وجنوداً يدخلون ويخرجون بوجوه في صفرة الموت ونظرات دامية وأعصاب تكاد تتحطم

فاذا ولجنا باب المنزل رأينا حارساً مخيفاً يقف بباب حجرة القيادة . فاذا ولجنا بابها وقفنا أمام هذا المنظر :

غرفة حقيرة ، أثاث تافه محطم ، سقف يكاد يتداعى ، مائدة كبيرة ، مصباح غاز ، خريطة لتركيا ، أعلام صغيرة مثبتة فوق الخريطة هنا وهناك ، والذئب الزعيم نراه أمام المائدة رهيباً مخيفاً . .

كل شيء هادئ في غرفة الذئب . ولكن العاصفة توشك أن تعصف . .

هوذا جندي يدخل عليه برسالة طويلة . فيتناولها الذئب دون أن ينظر في وجهه ،

ويقراها ، فليث . .

العدو اكتسح الترك حيث الجناح الايسر !

الذئب يقطع أرض الغرفة جيئةً وذهاباً . ثم يعود الى المائدة ويتطلع الى الخريطة . ثم يقتلع بعض الاعلام الصغيرة من أماكنها ويثبتها في أماكن أخرى . ثم يصدر أمره بالهجوم من حيث ثبتت الاعلام . فيهجم الأتراك فيكتسحون العدو اياما اكتساح !

وبعد بضع ساعات :

رسالة أخرى يقرأها الذئب ، فليث . .

ثم يثبت الاعلام في أماكن جديدة . ويصدر أمره بالهجوم . فيهجم الأتراك

ولسكنهم لا يكتسحون العدو في هذه المرة . فيقوم الذئب من فوق المائدة ويقفز بجواده إلى حيث المعركة الدائرة . ولا يكاد يشرف عليها ويراه الجنود حتى يستميتوا في الدفاع ويردوا اليونان على أعقابهم منهزمين !

وفي منتصف الليل :

كل شيء هادئ في غرفة الذئب الزعيم

الذئب الزعيم غارق في تأملاته الحربية . والاعلام الصغيرة تكاد تغطي نهرسقاريا والتلال الملتفة حوله

عارف يدخل عليه . ثم عصمت . ثم فوزى
وكل واحد من هؤلاء الذئاب يصف هول المعارك ويخشى الهزيمة في الغداة . .
ولكن الذئب الزعيم لا يتوقع الا النصر . . ويقول بصوته الذى يتحدر من فيه
كالرصاص : « انظروا . . ألا ترون تلك الراية المشرقة على العدو هناك ؟ فوق
هذه الراية سوف تنتصر على اليونانيين . . »
يقولها هكذا على البديهة دون أن يتدبرها . .
ومن عجب أن يحقق الغد نبوءته المعجزة !

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل :
كل شيء هادئ في غرفة الذئب الزعيم
الذئب الزعيم متمدد على فراشه الحشن بخدائه الضخم ولباسه العسكري ومعطفه
الرمادى الطويل . .
وعلى كنب منه المائدة الكبيرة ، وعليها مصباح الغاز ، والخريطة ، والاعلام
الصغيرة ، ومئات من اعقاب السجائر
إنه ينام . وعشرات الألوف من جنوده ينامون في خط النار استعداداً للغد . .
وفي الساعة الخامسة صباحاً :

الذئب الزعيم يقوم من نومه ليعاود الكفاح
والشمس تشرق عليه وهو تمتط جواده في طريقه الى خنادق الجيش
لم يعد مكانه في غرفة القيادة في « آلا كوز » بل وجب عليه أن يعيش مع جنوده
في خنادقهم رغم الحاح القواد عليه بوجوب الابتعاد عن مراكز الخطر
لقد بدأت المعارك في صباح يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢١ وهاهى شمس ٦ سبتمبر
تشرق دون أن يظفر بأعدائه . فهل تظل المعارك هكذا أبد الآبدين ؟
لقد دحر اليونانيون غير مرة . ولكن ظهر أن قواتهم لا ينضب لها معين .
فهم في كل يوم يعاودون الهجوم بقوات جديدة . وذخائرهم - لوفرتها - تطمعهم في
النصر آخر الأمر . فهل ينتصرون ؟

الذئب الزعيم يقفز بجواده فوق التلال والمرتفعات وفي يده منظار الميدان ، وقيس
الابعاد ويدبر الخطط الحربية بسرعة ، ويزور تلك الفرقة زيارة مفاجئة ، ثم ينطلق

الى الفرقة التالية فيتفقدوها ، ثم الى خط النار حيث يتحدى القنابل والرصاص ، ثم يعود الى الفرق مرة أخرى ، ثم ينزل عن ظهر جواده ويتحدث الى ضباطه اركان الحرب ، ثم يقف هو وعصمت وفوزى ويناقشهم في خططهم الحربية ، ثم يعالج بنفسه اطلاق احد المدافع ، ثم يقفز الى التلال حيث يهجم اليونانيون على الاتراك ويكادون يحلونهم عن أماكنهم ، فيجد جنوده على وشك الفرار ، فيحسبهم ويخطب فيهم ، ويهددهم بالقتل ، ثم يعود فيتوسل اليهم ألا يفروا ، فتقلب الهزيمة آخر الامر نصراً ... وفي الليل نراه في كل مكان

وقبل الفجر بساعات نراه بخدائه الضخم ولباسه العسكري ومعطفه الرمادي الطويل ممتدداً على أرض الخندق ، أو تحت عجلة مدفع من مدافع الميدان . . هكذا حينما اتفق !

وفي الصباح المبكر نراه حيث يجب أن يكون . نراه في مناطق الخطر . فنعجب كيف توحى اليه غريزة الحرب أن يكون هناك في الساعة التي يجب أن يكون فيها هناك وينقضي النهار بطوله والذئب الزعيم يقفز بجواده فوق المرتفعات ويزور الجنود في الخنادق ويحدث الضباط ويناقش القواد ويساهم في اطلاق المدافع ، ويرى حوله آلاف من الجثث فلا يعيرها التفاتاً . ويسمع آلاف الآهات فلا تختلج احدى عضلات وجهه ولا يبدو عليه شيء من التأثير . .

انه يخارب . والحرب ضريبة الحياة على الانسانية . وهذه الجثث يدفعها الذئب الزعيم لعزرائيل عن طيبة خاطر . أما الأئين والتأوه وضعف في القلوب وخور في العزائم لا يود الذئب أن يراه ، ويصم أذنيه دونه . .

وفي صباح ذات يوم تشرق الشمس على خط النار فيبدو كما هو ، ولا يرى فيه القواد أو الجنود شيئاً جديداً

ولكن الذئب الزعيم يتطلع اليه بمنظاره المكبر فيرى هذا الشيء الجديد الذي لا يتاح الا لمن كان ذئباً أو زعيماً . .

انه يرى ان اليونانيين على وشك الهزيمة والتمهقر ! ومن العتب أن تناقشه في رأيه هذا فهو لا يقبل النقاش ولكن يأمر بالهجوم ، والهجوم بشدة . .

فبهجم الأتراك ، ويستमित اليونانيون في الدفاع عن خطوطهم . بيد أن جحافلهم لا تقوى على القتال ، فهي لذلك تغادر الميدان في ١٣ سبتمبر وتعتبر نهر سقاريا ممعنة في الفرار !

فيتسم الدثب الزعيم وهو واثب فوق تلال من الجثث والأشلاء
فقد انتصر !

« لم تنتصر بعد .. »

انهزم اليونانيون في « سقاريا » وارتدوا الى مواقعهم الأولى حول اسكيشهر وعاد مصطفى كمال الى أنقرة

انقرة تستقبل بطلها استقبال الغزاة الفاتحين . والأتراك الذين كانوا يسمعون أمس قصف المدافع فيراودون أنفسهم بين البقاء والفرار ، يحملون رجل الساعة على الأعناق ويهللون ويهتفون في فرح جنوني

والمجلس الوطني الكبير يجتمع ويقرر منح مصطفى كمال لقب « الغازي » ورتبة « المارشالية »

وبعد أسابيع :

أعضاء المجلس الوطني الكبير يقولون : لقد انتصرنا . فلنعقد مع الأعداء هدنة ومع الحلفاء معاهدة نستعيد بها استقلالنا المفقود

ومصطفى كمال يقول : لم تنتصر بعد ، وإنما أوقفنا تقدم العدو بأحدى المعجزات ، أما الهدنة والمعاهدة فلن أسمح بهما حتى نقذف بالعدو الى مياه البحر الأبيض !

وتنقضى أسابيع في صراع بين أنصار الوقوف في منتصف الطريق والأمل في المعاهدات الرخيصة ، وبين الرجل المصمم على السير الى آخر المرحلة واملاء شروط الصلح على العدو المغلوب

وأخيراً ينتصر مصطفى كمال . ليبدأ صراعاً آخر

فالنواب يقولون : لم لاتهاجم العدو مادمت مصمماً على اجلائه عن الأناضول ؟ فلا يحجبهم مصطفى كمال بل يستعد للقتال باذلاً جهود الجبارة في ترميم أنقاض الحرب وتجهيز الجيوش وشراء الأسلحة والدخائر ، ويعقد مع روسيا معاهدة « قرص »

ومع فرنسا « ميثاق أنقرة » الذى استعاد بمقتضاه ثمانين ألف جندي أسير ضمهم الى الجيش الوطنى ، ويشتري من ايطاليا وفرنسا عشرات الألوف من البنادق ، ويحمل الشبان على التطوع فى الجيش ، ويحس الأتراك الراغبين عن القتال بخطبه النارية ، ويقاوم رغبات السياسيين فى الصلح ، ويضرب على مؤامراتهم بيد من حديد . ويسمع إذ ذاك أن أنور رجل الخيال والخطط الجنونية أصبح أميراً فى بخارى ، وأن جمالا أصبح مستشاراً فى حكومة افغانستان ، وتصله منهما برقيتان يقول أنور فى احدهما انه مستعد للانضمام الى القوات الوطنية بجنوده من التركستانيين ، ويقول جمال فى الأخرى انه يمهّد لتحالف عسكري بين تركيا وأفغانستان ، فيمزق البرقيتين فى غضب واحتقار ، ويهتف بصوت كعواء الذئب : « لن أسمح لأنور وجمال بالعودة الى تركيا ، ولن أسمح لتركيا أن تستقل الا بجهاد أبنائها ! »

وفى الثالث الأخير من شهر أغسطس سنة ١٩٢٢ يزور مصطفى كمال خط النار زيارة قصيرة يسر فيها الى عصمت وفوزى بأن يستعدا للهجوم فى يوم ٢٦ ولكي يحيط حركاته بالكتمان ويبعدها عن الشبهات يأمر باقامة مباراة فى كرة القدم بين جنوده . . وفى ساحة اللعب يجتمع بالقواد ويفضى اليهم بتفاصيل الهجوم ثم يعود الى أنقرة فلا يشعر أحد بأن ثمة شيئاً جديداً . . بل إن داهية الحرب ليدعو سائر النواب الى حفلة ساهرة فى ليلة ٢٦ أغسطس ، فى ليلة الهجوم العتيد . . وفى تلك الليلة بالذات يعود الذئب سرّاً الى خط النار . .

الى الامام !

فى الساعة الرابعة من فجر ٢٦ أغسطس يصدر الأمر التالى :
 « أيها الجنود . . الى الامام . . الى البحر الابيض ! ! »
 فيهمج الجنود على « دوملوبنار » ويأخذون العدو على غرة ، ولا تغرب الشمس فى هذا اليوم المجيد حتى يشطروا الجيش اليونانى الى شطرين . . .
 والقائد الأعلى لجيش العدو يسقط أسيراً هو وجميع أركان حربه . .
 قضى الأمر . وانهزم اليونانيون أشنع انهزام !

هاهي ذى فلولهم ترتد على أعقابها في فرار غجل مشين . الغزال لا يلحق بهم اذ يفرون . الدمار والموت والنار في كل قرية عنها يرتدون . شيوخ وفتيان ونساء تقربطونهم أو يذبحون

وفرسان الترك في أثر العدو المهزم يرون كل ذلك فيصابون بجنون الحرب فلا يرحمون . يقتلون ولا يأسرون . وفي الدماء يخوضون . وعلى الاشلاء يسرون . . . ونساء الترك ينقلبن ذئابا يذدن عن أعراضهن ويحملن السلاح مع الرجال ويتقدمن الصفوف فاتسكات مقاتلات . .

وفي احدى القرى يحملن رؤوس الزجاجات المحطمة ويقتلن بها مئات من اليونانيين والطيور الجوارح تخلق فوق الجثث ثم تنحدر اليها لتشارك الذئاب والكلاب في وليمة الموت . .

والهواء تسممه روائح الجثث المنتنة في منطقة بين « دملو نار » والبحر الابيض ذرعا مائتان من الاميال . .

ذئب انقرة على ظهر جواده يسير في أثر العدو فوق الانقاض والقرى المحترقة وعشرات الألوف من الاجداث دون أن تطفر دمعة من عينه أو يبدو على وجهه الضامر ظل من التأثر !

إنه يسير ويسير . . ولا يسمع أنين هذا الجريح . ولا حشجة هذا الطفل ولا نواح تلك الأم الثاكلة ، ولا لعنة هذا الشيخ التي يصبها على العدو ، ولا عواء الذئاب ، ولا نباح الكلاب . .

إنه يسير ويسير . . ومن حوله أرواح تزهق ، وقرى تحترق ، ومساجد تنهار ، ومزارع لا تبقى فوقها نابتة ، ونسور تشيل من فوق الرمم وتحلق في الفضاء . .

إنه يسير ويسير . . عشرة أيام كاملة حتى تبدو ازمير من بعيد . . انه يسير . . حتى يدخل المدينة في عاصفة من التهليل والهناف ، ويسير في طرقها في موكب عسكري فرسانه قد جردوا سيوفهم فتتصاعد الهتافات من صميم الافئدة ، وينهال الاتراك على قدميه ويديه وجواده تقبلا وبكاء . .

انه يسير حتى يرى مياه البحر الابيض . . فيبتسم ! وكما تلمع البرقة الحاطفة ثم تستسر في بهيم الليل ، تختفي هذه الابتسامة ويعود الذئب كما كان وحيثما كان حديداً جليداً

الخدعة البارعة !!

مصطفى كمال لا يزال غير راغب في الصلح مع أنه قذف باليونانيين الى مياه البحر الابيض

انه مصمم على اجلاء آخر جندي أجنبي عن تركيا ليتمكن بعد ذلك من املاء شروط الصلح على الحلفاء - لا مفاوضتهم عليها

ومع ان اليونانيين خرجوا من الاناضول ، فان جيوشهم لا تزال في تركيا أوروبا ، في تراقيا

ومصطفى كمال مصر على عبور الدردنيل وافناء الجيش اليوناني عن آخره . . . ولكن ثمة مشكلة دولية تقوم في طريقه ، فالانجليز معسكرون في منطقة جناق قلعة ، وقد رفضوا السماح للجيش التركي بالمرور الى تراقيا . وهام أولاء يقفون أمام طلائع الأتراك ويهددون باطلاق النار . .

المجلس الوطني الكبير في انقرة في أزمة عصية . . والنواب فريقان : فريق يصر على وجوب عقد الهدنة والشروع في مفاوضة الحلفاء ، وفريق يرى وجوب الهجوم على الانجليز والاشتباك معهم في حرب طاحنة ، وليكن ما يكون !

ويقوم بين الفريقين صراع دبلوماسي خطير . فيقف مصطفى كمال في المجلس بين التيارين المتعارضين ، ويقول انه لا يقبل رأى هذا الفريق ولا رأى ذاك ، فالصلح قبل اجلاء آخر جندي أجنبي عن أرض تركيا نكبة فادحة . والاشتباك مع الانجليز في الحرب نكبة أفدح . . فلينتظروا قليلا ريثما تهدأ العاصفة . .

ثم يعود الى منزله فيستعرض الموقف من أوله الى آخره ويرسم خططاً عديدة يناقشها واحدة بعد الأخرى حتى يستقر على خطة بارعة فيصدر الأمر الى القوات التركية بالتقدم الى خنادق الانجليز خافضين بنادقهم معلنين رغبتهم عن القتال !

ويتقدم الجنود الأتراك شطر الخنادق الانجليزية بخطى وئيدة وبنادقهم مخفضة الى أسفل ، فيرتبك الانجليز أمام هذا الزحف السلمي العجيب ويستشيرون ضباطهم فيما يجب عليهم عمله ، فيستشير الضباط قوادهم ، فيستشير القواد قائدهم الأعلى السير شارلس هارنجتون ، فيفغر هارنجتون فاه دهشة ، ويرتبك بدوره !!

ولا عجب في ذلك فهارنجتون لا يقدر على مقاومة الأتراك . ثم إن رأى العام

الانجليزى ينكل الآن بكل من يهدد لحرب جديدة . والحلفاء يخشون أن يؤدى اشتباك الأتراك مع الانجليز الى حرب دولية أخرى . .

مصطفى كمال يشاهد فصول هذه الرواية التى ألفها تمثل أمامه على مسرح السياسة ، فيقسم . وعندما يدخل عليه فرانكلن بويون ممثل فرنسا الرسمى ويطلب اليه فى الحاح وخوف أن يوقف زحف جنوده مخافة أن تنطلق فى الفضاء طلقة طائشة فتؤدى الى الحرب . . فيقول مصطفى كمال يرود انه ينتظر هذه الطلقة بصبر نافذ . . فيقف شعر فرانكلن بويون عندما يتصور هول الحرب المنتظرة ، ويحسب أن كمالا يريد اعلان حرب جديدة تؤيده فيها الروسيا . . فيصرح له بكل شئ ويسلم بكل شئ : فاليونان يتعهد الحلفاء باجلائهم عن تركيا أوروبا . وجيش الاحتلال يتعهدون بسجبه . والصلح يتعهدون بقبوله . .

وامام إصرار فرانكلن بويون وتوسلاته المستيرية يقبل مصطفى كمال أن يوقف تقدم جنوده . . ويكون ذلك منه تفضلا على الحلفاء ومنة يقابلونها بالشكر وعرفان الجليل !

وفى قرية « مودانية » تعقد الهدنة فى ٩ أكتوبر على يدي عصمت . وبعد أيام لا يبقى فى تركيا أوروبا يونانى واحد ! !

مصطفى كمال كما أعرفه

تمت المعجزة . وانتصر مصطفى كمال . ولم يبق من آثار الاحتلال الاجيش بريطانى هزيل فى استامبول أو شك أن يستقل بوارجه الى بلاده ، وخليفة خائن أو شك أن ينبذ نبذ النواة

ومصطفى كمال الآن رجل الساعة . رجل الشرق . رجل العالم وهذا الرجل النحيل بوجهه الضامر وعيني الذئب المتألفتين يقف على قنة الانتصار والفخار وسط هالة من المجد

والأتراك يهتفون له من أعماق قلوبهم : « يعيش الغازى مصطفى كمال ! »

والشرقيون يهتفون : « يعيش البطل الشرقى ! »

والاسلام يهتف : « يعيش سيف الاسلام ! »

ومن مصر ، وسوريا ، والعراق ، وإيران ، وأفغانستان ، والهند ، والصين ،
وجزر الهند الشرقية ، والحجاز ، واليمن ، والسودان ، والحبشة ، وتونس ، والجزائر
ومراكش ، تنهال البرقيات ، والدعوات ، والسبح ، والمصاحف ، والسيوف ،
والخناجر المرصعة بالجواهر . . .

وفي كل قطر من هذه الأقطار ، وفي كل مدينة وقرية ، وفي كل منزل ، يمجّد
المسلمون بطل الشرق والاسلام

ومئات الملايين من المسلمين الذين خرجوا من الحرب العظمى مستعدين مضطهدين ،
يتمنون لو يعاود التاريخ سيرته الأولى ، ويحمل الغازي مصطفى كمال سيف الاسلام
ولواء الاسلام ، ويدعو سائر المسلمين الى الجهاد في سبيل الحرية ، في سبيل الشرق ،
في سبيل الاسلام . .

ودعاة الأبراطورية العثمانية من الاتراك يتمنون لو يصبح قائدهم محمداً وفاتحاً
آخر يشرع في بناء امبراطوريتهم من جديد . .

وفي وسط هذا العالم الزاخر التآجيج ، والحماسة المستعرة ، والسيل العرم ،
والشرق المضطرم ، يقف الرجل النحيل بوجهه الضامر وعيني الذئب المتألفتين كما كان
وحينما كان حديداً جليداً . .

فأما الراغبون في بعث الامبراطورية العثمانية فجوابه عليهم : « لا . . دعوا العظام
النخرة في قبورها ولا تزعجوا الأموات في عالم الأموات . . نحن لا نحيا الموتى ،
ولا نشيد الأتقاضا من الخبرة من جديد »

وأما الراغبون في الجامعة الاسلامية فنصيهم منه : « لا . . أنا لا أؤمن بالجامعة
الاسلامية في عصر ناري حديدي لا يعرف الا دولا مستقلة وحدوداً معترفاً بها في
القانون الدولي العام . فان كان ثمة اتفاق فليكن بمعاهدات هجومية دفاعية ، ومثل
هذه المعاهدات لا أعقدها الا مع الدول المستقلة ذوات السيادة والقوة ، والمصلحة التي
أراها أسمى كما أرى أن $1 + 1 = 2$ »

وأما الراغبون في المساعدة فيقول لهم : « لا . . كيف نساعدكم ونحن أنفسنا في
حاجة الى المساعدة ؟ ! أنا أعلن على رءوس الأشهاد اني لن أساعد أحداً . وكل
ما هنالك اني أتمنى لسائر الشرقيين الخير والحرية »

وأما الراغبون في بعث الاسلام بالسيف والجهاد فجوابه عليهم : « لا . . لسانا في

عصر الحروب الصليبية . دعوا الاسلام وحده وجاهدوا اثم لتستقلوا ، فاذا نلتم استقلالكم ورأيت على خريطة العالم عشرات من الدول الاسلامية المستقلة أيقنت أن الاسلام بعث من جديد . أما الجهاد في سبيل الاسلام وأتم مستعدون فحرب تعلنونها على الاسلام . .

وأما البلاشفة ، أولئك الذين جاءوا بنظام عالمي جديد ، وعولوا على اتخاذه بوقاً شرقياً وخليجاً يعبرونه ليصلوا منه الى الشرق فجوابه عليهم : « اثم تقولون انكم سترفعون عن الطبقات المستعبدة نير الاستعباد . فأقول لكم اني لا أعرف طبقات مستعبدة (بالكسر) وأخرى مستعبدة (بالفتح) ، وإنما أعرف طبقات تسمح لغيرها بأن تستعبدها . ومثل هذه الطبقات يجب أن تقضى في الرق والاستعباد . . دعونا من البلشفية فأنا لا أؤمن بها . وتعالوا نتفق على الهجوم والدفاع كما تفعل سائر الدول الغريبة »

كلمة « نعم » لم يقلها هذا الجبار لأحد قط . . ولو كان أحد غيره في مكانه لأسكرته نشوة الظفر ، وأخرجه الشرق المضطرب عن طوره ، فراح يتخطب في سياسات خرقاء ، كتلك التي سارت عليها الامبراطورية العثمانية في أواخر عهدها ، فيتخبط ، ويحطم معه الشرق أجمع

وانى لأراه في هذه الساعة واقفاً فوق قمة الانتصار والفخار وحوله هالة المجد ، فأرى كتلة من الحديد الجليد ، وأرى عينين متألفتين ولكنهما لا تبصران إلا حدود تركيا شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وأسمع كلمات كائناتها الفولاذ المصبوب : « ألا بعداً للعاطفة . ! ألا سحقا للحاسة الزائفة والتعصب الديني الكليل الزائف ، لن أكون بطلا شرقياً ، ولا بطلا اسلامياً . . لن أقاوم الغرب . . فقد رأينا الويل من عدااء الغرب . . لن أقاوم المسيحية فقد قاومناها قرونا وها نحن أولاء نقف أمامها مهزومين مدحورين . .

« الجامعة الاسلامية والجهاد الديني يوقظان عداوة الغرب وتعصبه ، فيطالبنا أبداً بأن نعيش له عبيداً . . سأعيش ويعيش الأتراك لتركيا وحسب . . حدودنا لا تتجاوزها . . صداقة الغرب لا بد منها . . مجارة الغرب في مدنيته واختراعاته وعلومه ديننا . . أما الاسلام ، دين الله ، فسوف أمحو من معالمه الديني ما يثير تعصب الغرب وعداوته . . ألا بعداً للشيوخ المتعصبين الجاهلين . . ألا بعداً للتعصب وكل ما يمت الى التعصب

بسبب . . ألا بعداً للخلافة . . ألا بعداً لكل ما يعيد الى الأذهان عهد الخلافة
فيوقف عداوة الغرب المهاجمة . . الدين بيني وبين ربى ، أما الدنيا بيني وبين الغرب ،
ولأفصلن بين ديني ودنياي ما دمت حياً . . تلك رسالتى للعالم ، وللشرق خاصة . . »

وهناك على رابية بعيدة في التركستان ترى قبراً كقبور الأولياء يحجج اليه
التركستانيون ويمللون صخوره بدموعهم الحرى
تحت هذه الصخور عظام أنور : رجل العاطفة ، رجل الحماسة الزائفة ، رجل
الخلافة ، رجل الامبراطورية ، رجل الجامعة الاسلامية . .
قضى هذا الرجل نحبه شاهراً سيف الاسلام - سيف الشرق المجاهد - فى وجه
الروسيا - فى وجه الغرب المتعصب !
فماذا كان نصيبه الا الدموع ؟
ألا تعساً لأولئك الباكين ولتلك الدموع الحرى ان كانت العاطفة والحماسة الزائفة
والخلافة ، والامبراطورية ، والجامعة الاسلامية تؤدى بالشرق الى قبر كقبور
الأولياء يحجج اليه الضعفاء باكين مترحمين !

تم الكتاب الثانى

الكتاب الثالث

عهد جديد

« لقد قننا في وقت قصير بأعمال عظيمة مثمرة . وإن أجل هذه الاعمال خطراً هو اعلان الجمهورية التركية التي تتركز على بطولة الشعب وثقافته العالية . ويجب علينا أن نعمل على نجاح هذا الأثر معتمدين على ارادة الظفر الحديدية التي أظهرها شعبنا وجيشنا الباسل . ولكن هيهات أن نعد ما فعلناه كافياً ، فإن من الواجب علينا وفي نيتنا - أن نقوم بأعمال أخرى وآثار أعظم من سائر آثارنا . لنرفعن وطننا فوق مهد سيكون أعظم أقطار العالم رخاء وأرقاها مدنية ، ولنتيحن لأمتنا أحسن الموارد وأغناها ، ولنمنحها وسائل الرخاء والرفاهية ، ولنشيدن ثقافتنا الوطنية فوق مستوى المدنية المعاصرة »

كمال اتاتورك

اكتوبر سنة ١٩٣٣

رسول انقرة في استامبول

١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢

ما بال استامبول تدفع بأهلها من مساكنهم الى الطرقات في تلك الساعة المبكرة ؟
الطرقات تموج بالرجال والنساء والأطفال وفي يد كل منهم علم وصورة مكبرة
لمصطفى كمال . وساحل البسفور لا تكاد تجد فيه موطناً لقدم
والجميع يهتفون ويهللون ويكبرون . .

وتبرغ الشمس . ويرتفع الضحى . وتدق الساعة الثانية بعد الظهر . فتظهر من
بعيد الباخرة « جول نهال » . .

وتمر بضع دقائق تخفق فيها القلوب بشدة . . وفي تلك الاثناء تدنو الباخرة
من الميناء متهايدة على صفحة الماء ، لابسـة من الأعلام والاكاليل حلة الظفر . .

الحناجر تنطلق بهتافات تشق عنان السماء ، وتهتز لها صفحات الماء :

« يحيي الغازی مصطفى كمال باشا ! » . . « يحيي رأفت رسول انقرة ! »

آلاف من الزوارق تنطلق الى الباخرة وعليها عشرات الألوف من أهل استامبول
ذهبوا يحيون رسول انقرة في عرض البحر . وانك لتسمع لهم هتافات لن تنساها
مياه البسفور أبداً . .

وتلقى الباخرة مرساها ، وينزل منها وحوله الألوف المؤلفة - رأفت باشا مندوب
مصطفى كمال فوق العادة في استامبول

رجل قصير جداً ، نحيل جداً ، في بذلة عسكرية انيقة جداً ، على رأسه « قلبق »
طويل جداً ، الابتسامة لا تفارق شفتيه ، والدكاء يتألق في عينيه

ولا يكاد رأفت ينزل من الباخرة حتى يخفق في خضم زاخر من الكتل البشرية
الأیدی تمتد اليه وترفعه الى الأعناق فيرتفع ، ولكنه - لفرط صغر حجمه -
لا يكاد يظهر من بين الجماهير الا اذا قفزت الى الهواء لتبينه . .

« ياشا ! ياشا ! ييك ياشا ! ! »

شباب وشيب . رجال ونساء وأطفال . . الجميع في نشوة الظفر سكارى وماهم
بسكارى

الرصين منهم يقفز في الهواء مصفقاً مهللاً .. فما بالك بغير الرصين ؟ !

طرق استامبول تشهد من المواكب الحماسية ما لم تشهده أبداً - حتى في عصر
السلطين واستقبال الغزاة الفاتحين !

ولا عجب ، فتلك عاصمة الاحتلال تستقبل رسول عاصمة الحرية . وهذا بلد
الذل والاسر والهوان رفع النير عن كاهله فعاد - كما كان - حرّاً ، وبخريته سعيداً .
وتلك نفوس كادت تزهقها أغلال العدو الغاصب أتيح لها الآن أن تتنفس الصعداء بعد
أن قطع الرجاء

وتغرب الشمس فلا تغرب مواكب الجماهير . وتأوى ذكاء الى مضجعتها ولكن
هيئات أن تؤوى الجماهير المضاجع !

إنها ليلة في العمر . فلا حرج عليهم أن يقضوها في مرح وسرور وتهليل وتكبير ..
المشاعل تحيل الليل نهاراً . المنازل والمساجد تغرقها الثريات أنواراً . استامبول
تتطلع إليها من عل فترى - وما أجمل ما ترى ! - ترى من الانوار المتألقة أنهاراً .

وفي احدى طرق « بيره » يرى فريق من الشبان الوزير السابق والصحافي
اللاحق على كمال : الخائن المرتشي الذي طالما نادى بوجوب القضاء على الوطنيين وعلى
الحركة الوطنية . فيختطفونه في سيارة ويسرون به إلى شاطئ البسفور حيث ينقلونه
الى ازميت ويودعونه في منزل حاكم المدينة نور الدين باشا
ومن منزل الحاكم يساق الخائن إلى السجن ، فلا تكاد الجماهير تراه في حراسة
الجند حتى تنهال عليه بصقاً وضرباً ورجماً بالحجار فيموت الميتة التي يستحقها هو
وأمثاله

ومصرع على كمال يصل الى مسامع وحيد الدين فيعلاّ الرعب قلبه ويتساءل :
أهكذا اعتزم الوطنيون أن يعاملونا ؟

ثم يطلب من هارنجتون قائد جيش الاحتلال في استامبول أن يزيد قوة الحرس
الانجليزي الذي يحمي قصره ، فيوفد اليه صديقه الحميم عشرات من الجنود الانجليز
ولا يهدأ بال خليفة المسامين بعد تلك الحماية ، فيطلب الى صديقه هارنجتون أن
يتوسط له لدى رأت باشا في تحديد موعد لمقابلته والتحدث اليه في شئون المستقبل ،
فتحدد المقابلة في الساعة السادسة من مساء ٢٩ أكتوبر

وفي تلك الساعة يلج رأت أبواب قصر يلنر ، ثم يدخل على وحيد الدين دون

أن يكثر بما يسمونه « البروتوكول » ، يدخل في ثوبه العسكرى والغدارة معلقة في منطقته

ويقف الرجالان وجهاً لوجه :

هذا شيخ جاوز الستين من عمره ، قضى سنى ولايته للعهد في عالم الحريم فهل من عالم اللذات وكرع ، وأمضى سنى سلطنته في هزائم متتالية فتحت بها الحرب الكبرى ، وفي صراع دموى رهيب استهل به حرب الاستقلال ، فوافق على صلح مودروس ، وسلم للعدو المحتل بلاده وحل جيشها ، ورضى باحتلال أزمير ، وأمر كلاً بتسريح القوات الوطنية في شرقي الأناضول ، وقاوم الحركة الوطنية في مهبها إذ سلط عليها العشار الكردية والجالسوس الانجليزى ، وأباح دماء الوطنيين بنشوره اللعين الذى وزعته الطائرات اليونانية على سائر بلاد الأناضول ، وقنع بمعاهدة سيفر وحكومة خفاشه الاسود ، وانضم إلى الانجليز واليونانيين طوال حرب الاستقلال .. وهو إبان تلك الحادثات لم يزل في عالم الحريم واغلا وفي وهدة الخيانة متردياً وعلى فراش النذل والحنا متقبلاً سعيداً ..

وذاك رجل دعاه وطنه فأجاب ، وبهره الجهاد فانهبر ، فقاتل ، فظفر ..

الرجلان يقفان وجهاً لوجه . فيحاول الخليفة الحائن أن يستوضح رأفت رأى حكومة أنقرة فيه ، فيقاطعه رأفت بحدة قائلاً : « سيدى ! الموقف الحالى لا يقبل التأجيل أكثر مما أجل ، ومحال أن تظل في تركيا حكومتان احدهما فى استامبول والأخرى فى انقرة . فهل لك فى أن تخنى رأسك أمام الأمر الواقع فتوقف هذا الازدواج الذى يتعارض مع مصالح البلاد باقالة حكومة الباب العالى ؟ »

وحيد الدين يراوغ .. ويشرع فى التحدث عن الدستور وواجه نحوه ، ويقول إن حكومة أنقرة لا تمثل البلاد تمثيلاً صحيحاً .. ويقول أشياء كثيرة يختمها بالسؤال عن نيات حكومة أنقرة . فيصيح رأفت فى وجهه :

« ماذا تنتظر من الذين حكمت عليهم بالاعدام ! ؟ إن أغلبية المجلس الوطنى الكبير تأبى أن تقبلك سلطاناً على تركيا بعدما كان من صداقتك لاعداء الوطن . ومن يدري فاعلمها ترغب أيضاً فى إراحتك من سلطانك الروحى تكليفة للمسلمين ! ! »

وحيد الدين وجهه فى صفرة وجوه الموتى .. ولكنه سرعان ما يستعيد رباطة جأشه فيقول إن مسألة الخلافة أخطر من أن يفصل فيها مجلس أنقرة ، فهى مسألة

الشرق الاسلامي أجمع .. ثم يحاول أن يهدد رأفت فيقول : إن بقاء حكومة استامبول أمر لا مفر منه . . فيحز رأفت على أضراره ويصيح :

« لا تنس يا سيدي أنك الآن في يدنا . . أما وزراؤك فانهم إذا كانوا يصرون على البقاء في مناصبهم ضد ارادة الشعب ، فعنى ذلك أن جبل المشتقة معد لكل واحد منهم !! »

ويخرج رأفت . فيتهالك وحيد الدين على أحد المقاعد الوثيرة ، وتمر أمام الخليفة الأسود أشباح سوداء معلنة دنو الخاتمة . .

خاتمة السلطنة

أنقرة بعد الظفر . .

معالم الفرح توشك أن تزول ، وانك لتتفرس في القرية فتراها كما كانت : منازل عتيقة ، وأكواخا حقيرة ، ووجوهاً شاحبة ظاهرة الاعياء

معركة السياسة تقوم بعد معارك القتال ، نواب المجلس الوطني الكبير يتناقشون في خير الطرق للحصول على معاهدة تعيد الى البلد استقلاله ، وزعماء المجلس يتطلعون بلهفة الى رئاسة وفد المفاوضة وعضويته

وعندما تبلغ أنباء استامبول انقرة ، ويتسامع النواب بتلك المقابلة التاريخية التي تمت بين وحيد الدين ورأفت ، يدب الشك في نفوسهم ، ويتوجسون شراً من نيات كمال نحو الخلافة والسلطنة

نعم انهم يمتقون وحيد الدين ويلعنون عهده الأسود . ولكنهم لا يمتقون السلطنة ولا الخلافة . بل انهم لا يتصورون تركيا بدون سلطان وخليفة . وما كانت الجمهورية تخطر لأحد منهم ببال

ورءوف بك الذي يكاد يرأس الآن حركة المعارضة في المجلس ، يكثر من الهمس والغممة والناورات السياسية . فيشعر كمال بأن في جو المجلس شيئاً غريباً ، شيئاً ينكره العقل والمنطق وتكره البرامج السياسية التي وضعها في غيخته ورسمها في صفحة ذهنه

وفي ذات يوم يدخل عليه رءوف في غرفته الخاصة في المجلس الوطني في حالة

عصبية ، ويظهر له رغبته في الافضاء اليه بأمور خطيرة ، ويدعوه للحضور الى منزل رأفت باشا والسماح لعلى فؤاد باشا بالحضور أيضاً ، فيقبل كمال الدعوة وفى منزل رأفت يجتمع الأربعة : كمال ورءوف ورأفت وعلى فؤاد ، ويشرع رءوف فى الحديث فيقول إن المجلس قلق أشد القلق من جراء الاشاعة الرائجة عن الغاء مقام السلطنة ومحاولة هدم الخلافة ، وانه - أى رءوف - مرتاب فى خطط كمال المقبلة ويطلب منه بالحاح أن يطمئن المجلس - ببيان رسمى - على مقامى السلطنة والخلافة

مصطفى كمال يلعب دوره بمهارة فائقة ، فيعبث بشاربه قليلا ثم يشعل سيجاراً ويسأل رءوفاً فى هدوء عن رأيه هو فى السلطنة والخلافة ، فيقول رءوف انه مرتبط حساً ووجداناً بمقام السلطنة والخلافة ، لأن والده نشأ فى ظلال نعمة السلطنة وأصبح من أركان الدولة العثمانية . وان ذرات من تلك النعمة تجول فى عروقه . وانه لن يكون كافراً بهذه النعمة . وانه يشعر يواجب المحافظة على إخلاصه للسلطان . أما ارتباطه بالخلافة فمرجهه الى تربيته الدينية . ثم انه فضلا عن ذلك كله يرى استحالة تصريف الأمور فى تركيا بدون السلطنة والخلافة . . وأخيراً يقول إن محاولة إلغاء هذا المقام الجليل يؤدى - بلا شك - الى أعظم النكبات . . .

فيسأل رأفت عن رأيه ، فيقول انه يشترك فى رأى مع رءوف . وانه لا يمكن التفكير فى أى شكل للإدارة غير السلطنة والخلافة . . .
فيسأل على فؤاد ، فيتهرب من الاجابة بلباقة قائلاً انه عاد من موسكو أخيراً وليس فى استطاعته ابداء رأى قاطع فى هذه المسألة . .

ويسود الصمت المجلس بضع دقائق يشعر فيها كمال بخطورة الموقف . ولكنه رغم ذلك يعالجه ببروده ودهائه المعهودين ، فيقول متفرساً فى وجوه الحاضرين بنظراته الخفية ، ان المسألة التى يتحدثون عنها ليست مسألة اليوم ، وانه لا محل لقلق بعضهم فى المجلس

فيبدو على رءوف انه ارتاح لهذا الجواب . . ولكنه لا يقوم ليعود الى منزله بل يظل يتحدث فى نفس الموضوع ساعة بعد ساعة . . حتى ينتصف الليل . . ثم الى الصباح ! وأخيراً ينال من كمال وعداً بالقاء بيان فى المجلس يطمئن النواب القلقين .
فيدون كمال بالقلم الرصاص بعض ما قاله خلال المناقشات ، ويعد بالقاء البيان

وفي نفس اليوم يلقي كمال البيان فيخيل إلى أعضاء المجلس أنهم سجلوا عليه وعداً صريحاً بعدم التعرض لمقام السلطنة والخلافة ، مع أنه لم يعد بشيء ، ولم يقل أكثر مما قاله لرؤوف بك - وهو أن هذه المسألة ليست مسألة اليوم . .
ثم يجلس كمال في مقعده في المجلس منتظراً يوم السلطنة كما ينتظر اللاعب الماهر نهاية لعبة مضمونة النجاح

ويحين هذا اليوم إذ تصله من الصدر الأعظم توفيق باشا برقية يقول فيها : إن النصر « الذي أحرزناه بعونه تعالى ! » قد أزال أسباب العداء بين استامبول وانقرة ومهد للوحدة القومية . . وانه لم يبق في البلاد عدو . ومعنى ذلك أن الخليفة لا يزال على عرشه ، وأن الواجب يقضى بالانقياد لأوامره . ثم يطلب إليه أن يوفد - على وجه السرعة - شخصاً يوثق فيه ليحمل الى الوفد المسافر من استامبول تعليمات انقرة - إذ أن الدعوة الى مؤتمر الصلح موجهة الى حكومتي استامبول وانقرة معا ! هذه هي القبلة التي سينسف بها كمال السلطنة . . وها هو ذا يثور إذ توجه الدعوة الى حكومة استامبول الخائنة التي لم تعد تمثل الانفسها ، وإذ يرى الصدر الأعظم يتحدث عن النصر « الذي أحرزناه بعونه تعالى . . » مع ان الخليفة وحكومة استامبول كانا حرباً على الحركة الوطنية وشوكة في ظهرها وسيفاً مصلناً في أيدي الاعداء ومصطفى كمال يعرف متى يجب الصمت ومتى يجب الكلام والعمل ، فهو لذلك يقيم القيامة على حكومة استامبول ، ويستمطر عليها اللعنات ، ويستخرج من نفوس النواب عوامل الثأر الهاجعة ، ويعلن على الحونة حرباً شعواء يتجلى فيها على حقيقته : رجل حرب في ميادين القتال وفي عالم السياسة المضطربة . وانك تراه في عينيه ذواتي البريق الذي رأيناه فوق مرتفعات غاليبولي وعلى شاطئ سقاريا . .

ومصطفى كمال لا يرحم . فهو لذلك في صراع رهيب مع دعاة الابقاء على قوائم عرش مزعزع الأركان ، يريد ان يثله لينقض خرائب ينقع فوقها اليوم . وانه لينتصر - كما انتصر دائماً وسينتصر - وانك تراه زعماء المعارضة يلتفون حوله ويسلمون له على طول الخط

المجلس يعقد في يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢
النواب ثأرون . والاعصاب متوترة . ومنصة الخطابة تهتز من تحت الخطباء الذين راحوا يتعاقبون فوقها منادين : الويل للخونة المارقين . .

وثمة بيانات تلقى . وتقارير تقدم بوجوب عاكمة وزراء استامبول بتهمة الحياة العظمى ، لأنهم - بانتحالهم صفة ممثلى الأمة أمام مؤتمر الصلح - انما يطعنون الحركة الوطنية فى الصميم

وثمة تقرير طويل يقدم الى المجلس موقعاً عليه من اكثر من ٨٠ نائباً - بينهم كمال طبعاً - متضمنا انقراض الامبراطورية العثمانية وقيام دولة تركية جديدة لها دستور وحقوق مستمدة من الشعب نفسه . .

وفى ثورة النفوس وتوتر الأعصاب يوافق النواب على ما جاء فى هذا التقرير وهم لا يكادون يشعرون بأنهم انما قضوا على السلطنة بقرارهم هذا . بيد أن فريقاً من غلاة المعارضين يصيحون ملء أفواههم بأنهم لا يوافقون على القرار ، فيبتلع هتاف المجلس صياحهم وتطغى الاغلبية المتحمسة على معارضتهم الضئيلة

وفى ركن من أركان المجلس يحلس كمال كالساحر الرهيب يوزع نظراته المتألقة الملتهمية ذات اليمين وذات الشمال ويسجل على كل نائب حركاته وسكناته وأقواله تهديد للعقاب والثواب فى يوم موعده قريب

ثم يجتمع المجلس فى أول نوفمبر والجلس بالغ أشده . فيسعى كمال الى المنبر كما يسعى من قبل الى خط النار ، ويقف أمام النواب حديداً جليداً ، ويلقى عليهم خطاباً هو البيان والتاريخ والمنطق أجمع ، أعده للنواب فى الليلة السابقة - ولا ندرى بأية معجزة أعده - فيقول إن البشرية مرت بطورين : طور الطفولة والشباب ، وطور الرجولة واكتمال القوى الروحية والعقلية . وإن الطور الأول هو العهد الذى بدأ بآدم وتخلله الأنبياء الذين جاءوا قبل محمد ، حتى إذا ما بعث نبينا الكريم بدأ الطور الثانى . ثم يحدثنا عن ميلاد محمد حديثاً يخلب الألباب ، ويقول إن مولده كان فى مثل هذا اليوم الذى يخطب فيه ، فما أجمل المصادفة السعيدة ! . .

ثم يصف لنا محمداً : وجه نورانى ، وكلام روحانى ، ورشد لا رشد بعده ، وصدق وحلم ، ومروءة ، وأمانة لا حد لها ، ونفخ للعالم أى فخر

ثم يحدثنا عن ذلك الصراع الرهيب بين محمد والكافرين ، بين الكتاب والاصنام ، بين الروح والمادة الصماء ، بين الحق والباطل

ثم يقول إن محمداً انتقل الى الدار الآخرة بعد أن ترك للدنيا ديناً هو خاتمة الاديان وأصبح - برسالة العظمى - خاتم النبيين والمرسلين

ثم ينتقل بنا إلى انتخاب أبي بكر للخلافة ويطيل الحديث عن هذا الانتخاب ، ويعيد كلمة الانتخاب غير مرة عندما ينتقل إلى خلافة عمر . . ثم يحدثنا عن فتوحات عمر وشعوره بالانقلاب الشامل الذي سوف يتطور بالاسلام الى امبراطورية واسعة النطاق ، ويصف لنا عمر التقى الورع الذي يخشى أن تؤثر الفتوحات والمدنية الدنيوية على روح المسلمين فيسأل حذيفة بن اليمان عن الباب الذي سيؤدي الى هذه الفتوحات ، هل سيفتح أم يتحطم ، فيقول حذيفة : بل سيتحطم . . فيقول عمر إنه إذا لن يغلق بعد ذلك . . ومن عجب أن يصل بنا كمال في حديثه التاريخي هذا الى قنة التضج التاريخي إذ يصف فتوحات عمر ووفاته ، وانتخاب عثمان وما جره على الاسلام من نكبات ، وخلافة علي وما دار بينه وبين معاوية من حروب ، وموقف عمرو بن العاص من أبي موسى الاشعري ، ومصرع علي ، وخلافة معاوية . . وهنا يحدثنا عن مبدأ ظهور السلطنة مع الخلافة ، تلك السلطنة الوراثية التي جرت على الاسلام أهول النكبات طوال تسعين عاماً اندثرت بعدها وظهرت على صفحات التاريخ الدولة العباسية ، دولة الملك والأبهة والترف والرخاوة ، دولة الخلفاء الذين كانوا يولون ارضاء لشهوات سياسية أو طائفية ، الخلفاء الماجنين السكيرين المهاجرين في عالم الحريم بين الكأس والطاس والمحرمات . . وفي هذه الدولة لا يبقى للخلفاء من السلطنة شيء ، فقد انتقلت - أو كادت - الى الاتراك السلجوقيين ، ولا يبقى لهم من الخلافة شيء ، فمن العار أن يمثلوا دين الله وخلافة دين الله وهم أبعد ما يكونون عما أمر به الله والرسول . فما أشبه تلك الحال بحال الخليفة في استامبول ، والمجلس الوطني الكبير في انقرة !

ثم تمر القرون من بين شفثيه سراعا ، فيحدثنا عن قيام جنكيز خان في أواسط آسيا واكتساحه الشرق والغرب ، ثم انحدار حفيده هولاكو الى بغداد وقتله الخليفة المستعصم ومحوه بذلك معالم السلطنة والخلافة من عالم الوجود . . وينجو المستعصم بالله - أحد ورثة الخلافة العباسية - من مذبحه بغداد بأعجوبة فيفر إلى مصر ويعتصم بها . وتمر قرون أخرى تنتقل فيها الخلافة بين بلاد المغرب ومصر ، وتقوم دول وتندثر أخرى ، حتى يركب السلطان سليم جواده ويدخل مصر ظافراً ، فيجد فيها - فيما يجد - رجلاً هزيعاً يكاد ينكره قومه ولكنهم يدعونه « خليفة المسلمين » ولا يستعملونه الا في مواكب النصر ومعالم الافراح ، فلا يجد بأساً في اغتصاب لقبه منه . ولكن سرعان ما تلهيه فتوحه عن التفكير في أنه أصبح « خليفة للمسلمين »

ويرث عرش سليم سلاطين آخرون لا يكادون يفكرون في الاستفادة من الخلافة، حتى يدب الانحلال في السلطنة العثمانية ، ويظهر على مسرح التاريخ العثماني سلاطين ضعفاء متخاذلون ، فيحاولون ستر ضعفهم باللقب الذى ورثوه عن سليم ولم يستفد منه أحد من آبائهم ، فيحيون ما اندثر - أو كاد - من معالم الخلافة ، ويهولون فيها ويفخمون حتى نصل الى عهد عبد الحميد فوجد السلطان الداهية يستغل لقب الخلافة إلى أقصى حدود الاستغلال ليسير به سلطنته التى بلغت أقصى حدود الضعف والهزال . .

ثم تتحدر الخلافة والسلطنة إلى وحيد الدين ، فيستغل لقب الخلافة في التسليم للعدو بكل شئ ويسرح الجيش بأمر الخلافة ، ويتآمر مع العدو باسم الخلافة ، ويعد للوطنيين جبل المشنقة باسم الخلافة ، ويمحو تركيا من عالم الوجود في معاهدة سيفر باسم الخلافة . .

(أصوات صاحبة : الويل لوحيد الدين !!)

« هذا الرجل الدنيء يحاول القضاء على الوطن باسم الحكومة ، باسم السلطنة ، باسم الملكية ، باسم الخلافة . . . »

(أصوات مدممة : قاتله الله !!)

« ولكن هيهات أن يضمحل الوطن أمام شخص كهذا نخر في عظامه الاضمحلال من عهد بعيد . . »
(تصفيق حاد . .)

وهناك في احدى غرف المجلس الوطنى الكبير تجتمع ثلاث لجان لبحث مسألة فصل السلطنة عن الخلافة : لجنة الدستور ، ولجنة الشؤون الشرعية ، ولجنة الشؤون القضائية

ويرأس هذه اللجان الثلاث الشيخ مفيد افندى : رجل عتيق الافكار ، غارق الى شوشته في خضم من كتب الفقه لا يعرف لها برأ . .

ويبدأ النقاش . . . ويطول . . . ويطول . . .

والمشايخ المتمدون الى لجنة الشؤون الشرعية يدعون أنه لا يمكن فصل السلطنة عن الخلافة . .

وأعضاء اللجان الأخرى لا يعارضون . .

وتمر ساعة بعدها ساعة والنقاش في شعب مستمر . .
ومصطفى كال الذئب جالس في ركن من أركان الغرفة كالبركان يوشك أن ينفجر
وتمر ساعة أخرى . . فيثور البركان ، ويقف كال الرهيب على المنصة فيبدو
كالجبار المارد ، ويقول بصوت قاصف :

« اسمعوا . . ليست السلطنة أو الحكم من المنح التي تمنح بالنقاش على اعتبار
انهما من ضرورات العلم ، إنما السلطنة تؤخذ قوة واقتداراً . . وقد سيطر آل عثمان
على الشعب التركي زهاء ستة قرون قوة واقتداراً ، أما الآن فهاهوذا شعب يثور في
وجه مغتصب حقوقه ويسترد منهم حقه المهضوم . هذا أمر واقع وليست مسألة ترك
السلطات للشعب مسألة اليوم فهي مفروع منها . وإنما مسألة اليوم هي : تقرير هذه
السلطات ، وهذا التقرير لا شك واقع . وإلا فمن المحتمل قطع بعض الرؤوس ! ! »
ثم يخفف من حدته قليلاً فيشرح لأعضاء اللجان حقيقة الخلافة والسلطنة بحمل
عسكرية مقتضبة - ولكنها مقنعة - فيقف النائب الشيخ مصطفى افندي ويقول
بصوت مضطرب :

« معذرة فقد كنا ندرس المسألة من وجهة أخرى . والآن وقد ظهرت الحقيقة
بما أدليتموه من بيانات فقد انتهت اللجان المشتركة من حل المسألة . . . »
وقانون فصل السلطنة عن الخلافة يعد بسرعة عجيبة تهيداً لرضه على المجلس
الوطني الكبير . .

مصطفى كال يخرج من غرفة الاجتماع الى غرفته الخاصة في المجلس . وهناك
يستدعى رؤوفاً ويستقبله استقبالا عسكريا ويقول له بلهجة آمرة :
« سنفصل بين الخلافة والسلطنة ونعمل على الغاء السلطنة . أريد منك أن تلقى
من فوق منبر المجلس بيانا تحبذ فيه هذا الأمر . . »
فيخرج رؤوف دون أن ينبس ببنت شفة !
وهناك فوق المنبر يلقي رؤوف بيانه في حماس عجيب ، ويقترح اتخاذ يوم الغاء
السلطنة عيداً من أعياد تركيا القومية ! !

١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢

أعضاء المجلس الوطنى الكبير يستمعون فى دهشة واستنكار إلى برقية رسمية وردت من استامبول هذا نصها :

« لقد اختفى وحيد الدين أفندى من السراى هذه الليلة »
ثم تقرأ برقية أخرى هذا نصها :

« الحضرة السلطانية وضعت نفسها فى حماية إنجلترا وغادرت استامبول على ظهر سفينة حربية انجليزية على الوجه المبين بالبلاغ الرسمى المرفقة صورته »

إمضاء

١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٢

« هارنجتون »

وفىما إلى نص البلاغ الرسمى :

« يعلن رسمياً أن الحضرة السلطانية قد طلبت حماية الانجليز ونقله فى نفس الوقت من استامبول بصفته خليفة جميع المسلمين اجتناباً للخطر الذى يهدد حريته وحياته على أثر الحالة الحاضرة . وقد تمت رغبة الحضرة السلطانية فى هذا الصباح اذ ذهب الجنرال سير شارلس هارنجتون القائد العام للقوات الانجليزية فى تركيا لتسلمه ورافقه الى سفينة حربية انجليزية . واستقبله على ظهر الباخرة الاميرال سير دوبروك القائد العام لاسطول البحر الابيض . وزار السير نيفل هندرسون المندوب السامي الانجليزى الحضرة السلطانية فى السفينة واستفهم عن رغباته لابلغها الى جلالة الملك جورج الخامس »

مصير وحيد الدين

ماذا حدث فى استامبول ؟ وكيف فرّ الخليفة ؟

ان لهذا الفرار قصة يحاول الى أن أروىها للقراء :

فوحيد الدين لما صمم على أن يرسل وفداً عنه الى لوزان ، كان يعمل بوحي من صديقه هارنجتون الانجليزى . فلما ثارت أنقرة وتحدى كمال الصدر الأعظم توفيق باشا وشعر الانجليز بان وراء الأكمة ما وراءها ، أعلنوا حيادهم وتركوا وحيد الدين فى حالة من اليأس لا يحسد عليها !

يبد أن الخليفة الأسود يأبى الا أن يقاوم . فيظل متمسكاً بحكومته ثلاثة أيام

متواليات رغم الغاء سلطنته . ولكنه يتخاذل في اليوم الرابع فيشير على توفيق بالاستقالة ، فتشهد بوابة « يلدز » الكبيرة آخر مظهر من مظاهر السلطنة في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٤ نوفمبر ، إذ يخرج توفيق من لدن مولاه مستقيلاً وفي اليوم التالي تبدأ حاشية الخليفة في الانحلال السريع . . وتصل أنباء مقلقة من أنقرة . . ويصور الوهم لوحيد الدين أن جبل المشقة في انتظاره . فيصمم على الفرار . .

ووحيد الدين يستدعى زكي بك مدير فرقة الموسيقى الشاهانية وينفرد به في إحدى غرف قصره بعد أن يغلق الأبواب ويسدل الستائر ، ويهمس في أذنه بأن خليفة المسلمين قد اختاره من بين حاشيته ليؤدي له الواجب الأخير . فيعلن زكي بك استعدادة لخدمة مولاه فيأمره وحيد الدين بالذهاب سرّاً الى منزل الجنرال هارنجتون ومفاوضته في أمر الاحتماء بالنجلترا والفرار على إحدى بوارجها الراسية في ميناء استامبول . . زكي بك يذهب لأداء واجبه . فيقابل هارنجتون ويقول انه لا يمانع في حماية الخليفة ومساعدته على الفرار . ولكنه يرجو منه أن يكتب بذلك طلباً كتابياً يوقعه بامضائه الشريف . .

فيعود زكي بك الى مولاه ويبلغه أوامر هارنجتون . فيكتب الخليفة الطلب بيده ويوقعه « محمد خليفة المسلمين » . .

وتمر ايام في مفاوضات بين هارنجتون ولندن . وهذه الايام يقضيها وحيد الدين في يأس ورعب لا حد لهما ، ويرى بعيني رأسه كيف ينفض أتباعه من حوله ، وكيف يزول الباطل أمام الحق القوي . .

وفي يوم الجمعة ١٠ نوفمبر يذهب ليؤدي فريضة الجمعة على جاري عادته . فيمر في طريقه الى المسجد في طرق خاوية . ويقبض صدره انحلال موكله الفخم الذي اعتاد الخروج فيه

وفي المسجد يقف الخطيب على المنبر داعياً خليفة المسلمين دعاء فاتراً لا يردد المصلون بعده كلمة آمين . أما « سلطان البرين وخاقان البحرين » وما الى ذلك من ألقاب السلطنة فلا يسمعها الخليفة

والعود من المسجد عود سخيخ فاتر . .

وهو إذ يدخل حجرته الخاصة يجد خطاباً من هارنجتون يحدد فيه موعد الفرار

وفي اليوم التالي : ١١ نوفمبر ، ينتقل مع ابنه الصغير أرطغرل وكبير أمنائه وزكي بك والدكتور رشاد باشا وبعض الخدم والأغوات الى « كشك المراسم » حيث يقضون الليل ساهرين بعد أن كدسوا في الحقائق ما خف حمله وغلائمه من جواهر السلطنة العثمانية وتحفها الذهبية - الا أرطغرل فقد نام على الفراش الذي نام عليه من قبل امبراطور المانيا في زيارته لعبد الحميد . .

نام وهو لا يشعر بأنه على وشك مغادرة العاصمة التي ولد فيها وكان مقدرًا له أن يجلس على عرش سلطنتها وخلافتها في يوم من الأيام

وفي الساعة السادسة صباحاً - والظلام لا يزال دامساً - يخرج من « كشك المراسم » خليفة المسلمين وأتباعه ، ويستقلون سيارتين من سيارات الصليب الأحمر الانجليزي الى الميناء ، وتتبعهما سيارات أخرى فيها الحرس الانجليزي

وفي الطريق ينضم اليهم هارنجتون صديق الخليفة

وفي الميناء ينزل وحيد الدين : شيخاً عظم الأعصاب ظاهر الخوف ، فيسير بخطى مضطربة الى حيث رست البارجة الجبارة « ملايا » . .

وقبل أن يستقر فيها يفقد شيئاً . . فيعود الى المحرك مسرعاً ويبحث عن حقيبة الجواهر ، فيجدها هناك في إحدى القاعات ، فيعود بها الى البارجة ويفتحها ليطمئن على ما فيها . .

ويستقبله الاميرال سير دوبروك القائد العام لأسطول البحر الأبيض استقبالا رسمياً ، ثم يتقدم اليه السير نيفل هندرسون المندوب السامي البريطاني في استامبول ويسأله عن رغباته ليلفها الى ملك الانجليز ، فيشكر له وحيد الدين عطفه ولملك الانجليز كرمه

ثم تمهم البارجة بالرحيل فيودع وحيد الدين صديقه الحميم هارنجتون وتنحرك البارجة :

ها هي ذى استامبول عاصمة السلطنة العثمانية منذ محمد الفاتح تختفي عن الانظار

ها هي ذى غاليلوى حيث هزم كمال الحلفاء

ها هي ذى أزمير التي سلمت لليونانيين بأمر من الخليفة

ها هو ذا رصيف أزمير حيث فر آخر جندي يوناني

ها هي ذى مياه البحر الأبيض المتوسط

لقد اختفت تركيا عن أنظار وحيد الدين الى الأبد ، واختفى شيخ السلطان
الاسود . . الى الأبد ! *

عصمت في لوزان

« بعد الحرب ياباشا يجب أن تستريح . . فقد أجهدت نفسك أيما اجهاد . . »
هذا ما قالته خالدة أديب لمصطفى كمال قبيل دخوله أزمير ، وهذا ما كان يقوله
كل سياسى فى المجلس الوطنى الكبير

مصطفى كمال ، وعصمت ، وفوزى : هم الثلاثة يجب أن يستريحوا ، أو بعبارة
أخرى : يجب أن يتركوا الميدان لرجال السياسة فقد ختمت الحرب العسكرية وبدأت
الحرب الدبلوماسية !

وفى أزمير - وقبل صلح مودانيا - تصل كالا برقية من هيئة الوزراء فى أنقرة
يفهم منها أن عمله فى السلك الحربى قد انتهى ، وان رئيس الوزراء رءوفا يستدعيه
الى أنقرة على وجه السرعة ، فلا يعترف بانتهاء عمله طبعاً ، ويعتد هو فى استدعاء
رءوف الى أزمير !

وعند عودته الى أنقرة يجد - فيما يجد - ان الاجماع يكاد يكون معقوداً على
إيفاد رءوف الى مؤتمر الصلح كرئيس لهيئة المفاوضات . . ومصطفى كمال يعتقد ان
الوفد الذى يرأسه رءوف لا ينجح ، لأنه لا يكاد يفرق بين مشاعره وواجباته ، الا
أن رءوفا يصر على الرئاسة ، ويحاول - ارضاء لكمال - أن يعين عصمت مستشاراً
له . فيقول كمال ان الفائدة تكون أعظم لو أصبح عصمت رئيساً للوفد ، فلا يقتنع
رءوف برأيه هذا ، ويظل يقوم بالدعايات السياسية لنفسه

وفى تلك الأثناء يؤدى عصمت مهمته فى صلح مودانيا على الوجه الأكمل ،
ويذهب الى بروسه ، فيلحق به كمال هناك ويشرع فى استجوابه عما تم فى مودانيا ،

* تساءل الناس بعد فرار الخليفة : لم لم يقتله مصطفى كمال جزاء خيائته ؟ وجواباً عن ذلك
قول إنه أشفق على وحيد الدين أن يصبح ضحية من الضحايا وشهيداً من الشهداء فى نظر
بعض ذوي القلوب المريضة ، فأراحه من الاعدام ، واستراح منه ، وأتاح له الفرار فى حى
الانجليز نفث حياته بخاتم الخيانة التى لا خيانة بعدها

فيقتنع تماماً بكفاءته السياسية ويصمم على أن يعينه رئيساً لوفد المفاوضة
وفي هذا اليوم بالذات يبرق الى يوسف كمال وزير الخارجية راجياً منه أن
يستقيل ليعين عصمت بدله تمهيداً لايافته رئيساً للوفد ، فيستقيل الوزير عن طيبة
خاطر معلناً انه يجذ الفكرة

وفي ذات يوم يرت كمال على كتف عصمت ويقول له بلهجة الامر الواقع إنه
أصبح وزيراً للخارجية ورئيساً لوفد المفاوضة . . .

فيظهر التردد والحيرة على وجه عصمت ، ويشرع رجل الحرب في الاعتذار
عن قبول المنصبين بأنه جندي - والجندي قد لا يجيد تعاطي السياسة ، فلا يوافق
كمال على رأيه ، وعندئذ يقول عصمت بلهجة عسكرية :
— اذاً أنا أقبل الاقتراح كأمر عسكري . . .

وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ينعقد مؤتمر الصلح في لوزان ، ويحضر الرئيسان :
كيرزون رئيس وفد الحلفاء ، وعصمت رئيس وفد اقرة ، وجهاً لوجه
وكيرزون هذا لورد انجليزى بغض الصلف عتيق الافكار ، ما جلس في مؤتمر
قط الاحاول أن يفرض أفكاره على العالم فرضاً ، فكان يفشل على طول الخط ،
ويكون موضع سخيرة المتفاوضين

وهو في هذه المفاوضات بالذات يعن في الصلف والارستقراطية ، ولا يخطر بباله
انه يفاوض وفداً وراءه جيش جرار يحمل لواء النصر . فيقابله عصمت يبرود سياسى
يكاد يصصره ، ويتعمد الصمم عندما يسأله أسئلة سخيفة ، ويتجاهله كلما دمدم وضرب
على المائدة بقبضته ، ويعبث بطرف المائدة ويسرح ، حتى اذا ما فرغ صاحبنا من
بياناته السقيمة راح يعرض عليه أقصى ما يطمع فيه من شروط الصلح . . . فيثور . .
فينظر اليه عصمت يبرود وفتور . . .

وتمر أسابيع وشهور وكيرزون لا يزال بغض الصلف فاشلاً في مهمته كدبلوماسى
يمثل بريطانيا . وفي لندن يثور الرأى العام ويطالب حكومته بانهاء المهزلة التي تردت
فيها عندما ساعدت اليونانيين في حربهم مع الاتراك ، وعندما أمرت بابقاء أسطولها
في مياه استامبول بعد أن فقدت كل أمل في احباط الحركة الوطنية
وواقع أن موقف كيرزون أمام عصمت كان موقفاً أقل ما يقال فيه أنه مزر

بالدبلوماسية البريطانية التي اشتهرت بالتهرب في ساعة الخطر والتسليم بكل شيء
للقوى المعتد بقوته . .

كمال يؤسس حزباً سياسياً

المجلس الوطنى الكبير يدخل فى سنته الأخيرة . والانتخابات الجديدة قاب قوسين
أو أدنى

مصطفى كمال يشعر بأن أمامه صراعاً سياسياً رهيباً ، فعناصر الرجعية توشك أن
تلعب بذهنها ، وفى المجلس الوطنى حركة معارضة واسعة النطاق الغرض منها مقاومة
مصطفى كمال السياسى وساعده الايمن عصمت

ومصطفى كمال يعرف من أين تؤكل الكتف . فهو يغادر انقرة بخيرها
وشرها فى ١٤ يناير سنة ١٩٢٣ وفى نيته أمران : الاتصال بالشعب اتصالاً مباشراً ،
وتحويل جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول الى حزب سياسى . فيزور معظم ولايات
الأناضول ويطلب من الجمهور أن يوجه اليه ما يشاء من أسئلة فى مختلف شئون
السياسة ، ويلقى محاضرات طويلة فى كل بلد يمر به ، وبذلك نراه يتقلب رجل سياسة
بعد أن كان إلى الأمس القريب رجل حرب

وبينا هو فى ازमित يقوم بالدعاية السياسية لحزبه الجديد ، إذا به يسمع أن أحد
نواب المجلس الوطنى : الشيخ شكرى افندى وزع على النواب وعلى سائر الولايات
التركية نشرة سياسية دينية عنوانها « الخلافة الاسلامية والمجلس الوطنى الكبير » ،
وقوامها « أن الخليفة للمجلس والمجلس للخليفة » ، وأن الخلافة « حكومة عينية
وليس فى وسع إنسان أو مجلس أن يطل حقوقها وواجباتها » . . وأنه لا بد من
توحيد الشرق كله تحت لواء الخلافة الحاكمة . .

نشرة لا شك أنها بالغة الخطورة والسخافة . فالخلافة التي اثبت كمال انقراضها
وانحلالها بالبراهين التاريخية التي لا تقبل جدالاً هي التي ستحكم الآن ، وستحكم جامعة
إسلامية قوامها ثلثمائة مليون مسلم ، وتدير شئون الأمم ، وتعمل على تنفيذ المشروعات
النافعة وتدافع عن حقوق المسلمين كافة ، وترد عنهم عدوان الدول الأجنبية . . !
أو بعبارة أخرى ان تركيا التي خرجت من الحرب الكبرى معطمة واهية القوى

ناضبة الموارد هي التي ستكون زعيمة الشرق الاسلامي كله ، وهي التي ستدافع عن الشرق كله ، وهي التي ستشمل بتاج خلافتها الاسلام كله ، والاستعمار كله ، والتعصب كله . . .

فان لم يكن هذا سخافة فأين هي السخافة بعد ذلك ؟

وهل استشير الشرق الاسلامي في هذه السيادة ؟ وهل يقبلها إذا هو استشير فيها ؟ فإذا لم يقبلها واعتد باستقلاله فأين هي القوة التي ستخضعه لتاج الخلافة ؟ وإذا قبلها فكيف تتحمل تركيا الممزقة المحطمة اعباء خلافة حاكمة لم تتح لأحد من الخلفاء قط بعد أبي بكر وعمر ! فإذا لم تكن الخلافة حاكمة مهيمنة على شؤون الشرق ، فما فائدتها ، وهلا يكون وجودها كعدمها ؟ والغرب المستعمر المتعصب : ألا يقيم على هذه الخلافة حربا شعواء ويعمل على ألا تقوم لها - ولا للشرق التابع لها روحياً أو سياسياً - قائمة بعد الآن وخاصة بعد أن خرج الشرق من الحرب العظمى مجزأ موزعا بين إنجلترا وفرنسا وإيطاليا ؟

مصطفى كمال يبشر بهذه المبادئ بين طبقات الشعب الذي تغلغت الخلافة في ذرات دمه ، ويشعر وهو واقف أمام تلك الكتل الصماء من التعصب الساذج أنه مستهدف لخطر شديد ، ومع ذلك فهو لا يخاف ، ولا يتردد ، بل يحمل على الخلافة الحاكمة حملات صادقة فيلقى من الجماهير آذانا صاغية ، ولا يترك بلداً من البلدان حتى يترك فيه آلافاً من المتحمسين لآرائه السياسية والدينية وكما ربح منشور شكري افندي ولاية من الولايات ربح كمال بحولاته السريعة وخطبه البارعة ولايات بأكملها . . .

وفي استامبول نرى الخليفة عبد المجيد الذي انتخبه المجلس الوطني للخلافة بعد وحيد الدين كهلاً في الخامسة والخمسين من عمره ، طيب القلب ، رضى الخلق ، ولكنه أسف على ضياع السلطنة ، عامل على استعادة مظاهرها وأمثال الشيخ شكري افندي في تركيا كثيرون . وهم يعملون سراً وعلانية على التمهيد لعودة السلطنة . وعبد المجيد لا شك مرتاح إلى هذه الدعايات والمؤامرات . وثمة علائق متينة بينه وبين رأفت ورءوف وغيرهما من رجال الحرب والسياسة ، علاقات قد يرون هم انها بريئة ، ولكن ذئب انقرة لا يراها كذلك . . .

اعلان الجمهورية

« حافظوا على حزبكم وناضلوا عنه . ان العدو خرج من بلادنا ، ولكن الحرب لم تضع أوزارها بعد . البلاد مלאى بالخائنين . ادعوا الى سبيل حزبكم ، وانشروا مبادئه في كل بلد ، وفي كل قرية ، وفي كل منزل ، وقفوا في الجهاد دوني وأطيعوني . فيكم سألني تركيا الجديدة - تركيا التي ستظل أبداً للاتراك

« حزبكم هذا هو حزب الشعب . والسيادة فيه للشعب . أي مقام غير مقام المجلس الوطني الكبير لا سلطان له على الشعب . السيادة القومية هي رائدنا في سن القوانين وتنفيذها بما يكفل لكم الرخاء والحرية . والقرار الصادر بالغاء السلطنة دستور لا يتغير »

الشعب بأسره ينضم الى الحزب . والمعارضون في المجلس الوطني يشعرون بدنو الخاتمة ، فيقاومون كالأبطال ما في جعبتهم من وسائل النضال :

فهذا مشروع بقانون يحرم على كل من لم يولد في أرض تركية ولم يقيم في دائرته الانتخابية خمس سنوات حق الانتخاب . والغاية من هذا القانون حرمان كمال من حق الانتخاب ، لأنه مولود في سلانيك - وهي ليست داخل الحدود الآن - ولأنه لم يقيم في أية دائرة انتخابية خمس سنوات . . . ولكن هذا المشروع يقبر في مهده . . . وهذا رءوف رئيس الوزارة يستغل انقطاع مفاوضات لوزان وعودة عصمت الى انقرة بدون معاهدة ليحمل عليه حملات شعواء الغرض منها القضاء عليه وإضعاف نصيره كمال ، فلا يستقبله في المحطة بدعوى أن كمالا قابله في اسكيشهر وعرف منه خلاصة أخبار المفاوضة قبل أن تعرفها الوزارة ، فإذا ما حاسبه كمال على هذا الإهمال في واجبات اللياقة استقال من الوزارة وراح يرأس حزب المعارضة في المجلس . ولكن كمالا يقاومه ويقاوم المجلس ويحمل الجميع على احترام عصمت والساح له بالعودة لاتمام المفاوضات

وهذا وفد من نواب المجلس يتقدم الى كمال طالباً منه الاستقالة من حزب الشعب لأنه لا يليق برئيس البلاد الأعلى أن يكون رئيس حزب سياسي ، فيرد عليه كمال قائلاً انه لا يوافقهم على رأيهم ، فليس حزب الشعب حزباً سياسياً يمثل جانباً من الأمة ، بل هو الأمة بأسرها ، وأنه سيرأس المجلس الوطني كما يرأس الحزب الوحيد في البلاد

وهذه جبهة قوية تؤلف ضده : رءوف ، كاظم قره بكير ، رأفت ، على فؤاد ، نور الدين ، رحمى ، عدنان ، وكلهم من أعظم القواد وأكبر الساسة مصطفى كمال يحل المجلس الوطنى ويدعو لانتخابات جديدة . فىرى بعد أسايىع مجلساً وطنياً لا يكاد يفرق عن المجلس السابق فى شىء : فرءوف ما يزال على رأس المعارضة ، ودعاة الرجعية موجودون ، والعداء السياسى يستفحل شره . إذاً لابد من الخطوة الحاسمة : وهى اعلان الجمهورية ، فان تركيز السلطة التنفيذية فى المجلس الوطنى لم يعد محتملاً ، ولابد من رئاسة تشرف على أعمال الوزراء عن كسب حتى لا تعرض على المجلس كل شاردة وواردة من شئون الحكم وهذه الخطوة يسبقها اعلان جوهريان فى نجاحهما :

فعصمت رجل « اينونو » و « مودانيا » يصبح الآن رجل « لوزان » فقد عاد الى أقرة بمعاهدة « هى الوثيقة التى تدل دلالة واضحة على هدم المؤامرة الكبرى التى كانت تدبر ضد تركيا منذ قرون ، والتى كانوا يظنون أنهم ختموا فصولها بمعاهدة سيفر . و « هى الاثر الخالد لا تنصار سياسى لا مثيل له فى تاريخ تركيا المجيد » على حد قول مصطفى كمال

وأسطول الاحتلال الذى كان راسياً فى مياه استامبول يرحل عن المياه التركية وسط عاصفة من التهليل والتكبير ، وبعد أن يحيى جنوده العلم التركى تحية التمجيد والاكبار مصطفى كمال الآن رجل الحرب الظافر ، ورجل السياسة الظافر . وسيضرب ضربته القاضية عما قريب

هو ذا جالس فى منزله المشرف على أقرة من « تشان كايا » وفى عينيه بريق ذئب غاليولى وسقاريا . وحوله هيئة الوزارة وعلى رأسها فتحي بك هو ذا يلى على الوزراء خطته الحاسمة : فهم سينهبون الى المجلس الوطنى فى الغداة ويقدمون له استقالتهم . وهم سيرفضون الاشتراك فى أية وزارة جديدة تشكل ، وهم سيرون بأعينهم كيف يختلط الأمر على النواب فيتخطون ويتخطون حتى يظهر افلاسهم ، فيعودون اليه آسفين نادمين ، ويسلمونه زمامهم ويخضعون لكل ما يأمرهم به وفعلاً تستقيل الوزارة . ويتخط نواب المجلس ثم يتخطون دون أن يصلوا الى نتيجة حاسمة . ويتصافى غياب رءوف وبقيّة المعارضين فى هذا الاسبوع فتزداد المشاكل تعقيداً

وأخيراً - وفي عاصفة من النقاش والاحتجاجات والتناقضات، يقف كمال الدين سامى باشا ويقول إن ثمة رجلاً واحداً بنقذ المجلس مما هو فيه ، وهذا الرجل هو مصطفى كمال .. فينسى النواب أنفسهم وما يحملون لكمال من سخائم وعداء ويوافقون على الاقتراح بخمسة عجيب ..

ويوفد المجلس رسولا الى كمال في منزله ليحضر إلى المجلس وينقذه مما هو فيه .. فلا يعبأ كمال بالرسول ولا بالمجلس ...

فيوفد المجلس رسولا آخر . فلا يعبأ به كمال .. ولكنه يعود بعد الحاح منه فيشترط على المجلس قبول ما يمليه عليه دون نقاش أو معارضة . وعلى هذا الاساس يغادر منزله ويتجه صوب أنقرة

وهناك في احدى قاعات المجلس يجتمع بأقطاب حزب الشعب ويطلعهم على نيته : إعلان الجمهورية ، وتشكيل الوزارة بعد ذلك . ويقف عصمت فيقول : إن ساسة أوروبا انتقدوا هيمنة المجلس الوطنى على شئون الوزارة دون وجود رئيس للحكومة ، وإن تشكيل الوزارة غير قانونى إذا لم يسبقه إعلان الجمهورية وانتخاب رئيسها ، فيوافق الحزب على إعلان الجمهورية ..

ثم ينعقد المجلس الوطنى فى الحال . ويدير عصمت - نائب الرئيس - دفة النقاش بلباقة مدهشة ، فيوافق النواب على اعلان الجمهورية .. فى الحال !!

وفى الحال أيضا ينتخب مصطفى كمال رئيساً للجمهورية باجماع الآراء !! وفى الحال أيضا يقف كمال على المنبر ليشكر النواب على ثقهم فيه ويخضهم على التمسك بالجمهورية : أعظم أثر من آثار حرب الاستقلال ، ثم يعلن تشكيل الوزارة برئاسة عصمت ، وينتخب فتحي لرئاسة المجلس

وتطلق المدافع . ويداع النبأ فى سائر الانحاء فيستقبله الشعب بخمسة عجيب : إلا طائفة المعارضين - وهم قليلون

ويتم ذلك كله فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة من مساء ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣ وفى منتصف الليل يعود الذئب الظافر إلى منزله المشرف على انقرة ، فيخيل اليك أنه مارد جبار يقفز من مرتفعات غاليبولى ، إلى تلال سقاريا ، إلى انقاض السلطنة ، إلى صخرة الجمهورية .. وأن بريق عينيه الذى رأيناه فى غاليبولى وسقاريا ليزداد تألقاً وهولاً ..

الخلافة بعد السلطنة

مصطفى كمال يجلس الى رقعة تركيا فيجد كل شيء على ما يرام ، فقد زالت معالم العهد القديم ولم يبق ثمة الا الخلافة

ومصطفى كمال مصمم على الغاء الخلافة ، فقد مهد لهذا الالغاء بالمجلس الوطني الكبير ، ثم بحكومة المجلس الوطني الكبير ، ثم بالغاء السلطنة ، ثم باعلان الجمهورية . وهو الآن يتحين الفرصة لتحقيق آخر آماله وينتظر دسائس الرجعيين وقلاقلهم ليضرب الضربة القاضية

وما أسرع ما يشرع الرجعيون في إثارة القلاقل :

فهذه جرائد استامبول « طنين » و « توحيد أفكار » و « وطن » تستقبل اعلان الجمهورية استقبالا فائراً ، وتقول إن العمل المجدى لا يتاح بتغيير الأسماء واستعارة كلمة « جمهورية » من قواميس الدساتير

وهذا رءوف بك التميم في استامبول يتحدث الى الصحف حديثاً يفهم منه أنه معارض لقيام الجمهورية ، عامل على تأسيس حزب رجعى لمناهضتها وهذا لطفي فكرى بك يوجه الى الخليفة خطاباً مفتوحاً يقول فيه إنه سمع أن مقام الخلافة يفكر فى الاستقالة ، ويصف أثر هذه الاشاعة فى نفوس الأتراك ، وينذر بالويل والثبور إذا ما فكر أحد فى التعرض لخليفة المسلمين

وهذا حزب رءوف بك يظهر فى الميدان . وها هو رءوف يغادر استامبول الى أنقرة فيودعه أنصاره : رأفت ، وعلى فؤاد ، وكاظم قره بكير ، وعدنان ، وتحدث الصحف عن براجمه المعارضة وعن الوداع الحماسى الذى لقيه من أهل استامبول وهذا رأفت يهذى الى الخليفة جواداً اسمه « قونية » ومع الجواد خطاب كله ولاء وعبودية للخليفة عبد المجيد

وفى أنقرة يشرع رءوف فى المعارضة . فيقطع عليه كمال خط الرجعة بدعوته الى جلسة خاصة فى حزب الشعب ليدافع فيها عن نفسه . فيحاول رءوف أن يبعد كمالاً من الجلسة ليأمن قوة تأثيره ، ولكن كمالاً يصمم على الحضور وفى الجلسة يهاجم عصمت رءوفاً ، ويقول : « إن الخليفة إذا قامت فى ذهنه فكرة التدخل فى شئون البلاد ، فإن صاحب تلك الفكرة لاشك مقضى عليه . وإن كل من

يفكر في إحداث انقلاب قد يؤدي الى عودة السلطنة بعد خائناً ، فقد كفى ما لقينه البلاد من وحيد الدين « فيتراجع رءوف مقهوراً ويعلمن ولاءه للجمهورية وإيمانه بها وفي تلك الأثناء تقوم القيامة في استامبول . ويخلق أعداء الجمهورية حول الخليفة جواً مكهرباً بمقالاتهم الشديدة اللهجة وترحمهم على العهود الغابرة

وفي أواسط أكتوبر سنة ١٩٢٣ تنشر جرائد استامبول خطابين موجّهين الى عصمت من أغا خان والأمير على (المرحوم الملك على) وخلاصتهما أن مقام الخلافة لا بد أن يظل قوياً ، وان السلطنة لا بد أن تعود الى الخلافة كما كانت من قبل . .

فيكتفي كمال بهذا القدر من عوامل الرجعية ، ويشرع في العمل الجدى على إلغاء الخلافة ، فيقيم القيامة على المعارضين ، ويخطب ساعده الأيمن عصمت في المجلس الوطنى مستكراً تدخل أغا خان والأمير على في شئون تركيا الخاصة ، ويتم انجلترا علانية بأنها بدأت تحرك ذنبها وتلعب في الخفاء

وكلمة « انجلترا » وحدها تكفى لاثارة المجلس . ولذلك لا نعب إذا رأيناه يقرر إيفاد محكمة استقلال الى استامبول لتأديب الرجعيين وتطهير الجو منهم

لطفى فكرى بك يحكم عليه بالسجن خمس سنوات . رؤساء تحرير الصحف التى نشرت الخطابين يقدمون الى محكمة الاستقلال . وثمة مشايخ يسجنون ، والدساسون يحاكمون ، واليد الحديدية تسيطر على الموقف بحزم وسرعة

ويخرج كمال من كل ذلك برأى عام يؤيده ويتوقع إلغاء الخلافة يوماً بعد يوم !

٢٢ يناير سنة ١٩٢٤

مصطفى كمال في أزمير يشرف على مناورات الجيش . فصله من عصمت رئيس الوزارة برقية مؤداها أن صحف استامبول عادت الى إثارة مسألة الخلافة من جديد . ووضعت الخليفة في صدر المعارضة . وان الخليفة يود أن يتصل بالحكومة ويشترك معها في تحمل مسئوليات الحكم . وأنه يطلب زيادة مخصصاته ليظهر بالمظهر اللائق بمقامه الكبير

فيرد عليه كمال برقية طويلة يقول فيها ان الخليفة وحده هو المسئول عن الجو السياسى المكهرب في استامبول ، فقد عمد الى الظهور بمظاهر السلطنة ، وبالغ في تفخيم مواكبه أيام الجمعة ، واتصل بسفراء الدول الأجنبية ، واستقبل في قصره كبار

الموظفين وصغارهم ، مع أنه لم يعد له - بعد قيام الجمهورية - كيان سياسى ، بل أصبح تذكراً من تذكارات التاريخ لا أكثر ولا أقل . فلا معنى إذاً لاتصاله بشئون الحكم الا أن يكون ساعياً فى استعادة السلطنة . ولا معنى كذلك لمظاهر تخفيته فهو لم يعد سلطاناً وانما هو رجل دين وحسب . والمقام الدينى يتناقى مع مظاهر الدنيا . إذاً يجب وضع حد لهذه الحركات الخطيرة ، وإفهام الخليفة صراحة ان الحكومة ستقتطع من كادره مالا ترى مبرراً له

وبعد بضعة أيام يجتمع كمال وعصمت فى أزمير ويتفق معه على وجوب الغاء الخلافة بمجرد العودة الى أنقرة

أول مارس سنة ١٩٢٤

مصطفى كمال يلقي خطبة افتتاح الدورة الخامسة للمجلس الكبير ، فيركز أقواله فى ثلاثة أمور :

أولاً - رغبة الأمة فى صيانة الجمهورية حالاً واستقبالاً
ثانياً - رأى العام يطالب بوضع سياسة تعليمية من غير تسويق
ثالثاً - لابد من تنزيه الاسلام وإعلاء قدره بإبعاده عن عالم السياسة

٣ مارس

ثلاثة مشروعات لقوانين تعرض على المجلس :

- ١ - مشروع بقانون مقدم من الشيخ صفوت أفندى بالاشتراك مع ٥٠ نائباً ، وهو يقضى بالغاء الخلافة وابعاد الأسرة السلطانية
 - ٢ - مشروع بقانون مقدم من خليل حلقى افندى بالاشتراك مع ٥٠ نائباً ، وهو يقضى بالغاء وزارة الشؤون الدينية والاعواق
 - ٣ - مشروع بقانون مقدم من واصف بك بالاشتراك مع ٥٠ نائباً ، وهو يقضى بوضع سياسة تعليمية موحدة
- فتحى بك رئيس المجلس يطرح المشروعات الثلاثة على المجلس . فيوافق عليها فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والاربعين !
- وبمقتضى هذه القوانين تصبح الخلافة ملغاة . وتصبح الأحكام الشرعية من شأن

المجلس الوطنى ، وتلقى وزارة الشريعة والأوقاف ، وتضم جميع المعاهد الدينية إلى
وزارة المعارف

ويقوم الشيخ راسخ افندى فيقول إنه مكلف من قبل المسلمين بعرض لقب السلطنة
والخلافة على مصطفى كمال . . فيشكر له كمال ولسائر المسلمين حسن ظنهم ، ولكنه
يعود فيقول إن السلطنة والخلافة مقامها مقام رئيس الدولة ، فكيف يستطيع أن
يكون رئيساً على دولة شرقية لها ملوكها ورؤساء حكوماتها ؟ وهل إذا أصدر إليها
أوامره تففذ هذه الأوامر ؟ وهلا يكون من المضحك أن يتقلد مركزاً وهمياً ليس له
مدلول ولا موضوع ؟

وبذلك تمحى كلمة الخلافة من التاريخ التركى

الساعة العاشرة من مساء ٣ مارس

الخليفة عبد المجيد نائم فى قصر « ضوله باغچه » . والى استامبول ورجال
البوليس يطرقون الباب ويدخلون القصر ويطلبون مقابلته . فيوقظه الخدم من نومه
ويدعون والى والى والضباط إلى مكتبه فى القصر . وهناك يقابلهم الخليفة فيقرأون عليه
قرار المجلس الوطنى بإلغاء الخلافة وإقصائه هو وأسرته إلى سويسرا . فيهتف الخليفة :
« لست خائناً . أنا وطنى وأحب بلادى . . » وتغمره موجة من التأثر فيجلس
إلى مكتبته خائر القوى . فلا يلبث أن يكرر عليه والى أوامر أنقرة . فيستعد
للرحيل . .

وفى فجر اليوم التالى يغادر قصره هو وأفراد أسرته فى سيارات الحكومة . وفى
الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يتحرك القطار من محطة « شاطلجة » حاملاً آخر
خلفاء آل عثمان الى سويسرا

وهناك فى « تشان قايا » المشرقة على أنقرة من عل يجلس الذئب وفى يده رسالة
برقية تصف رحيل الخليفة هو وأفراد أسرته ، فيبتسم كما ابتسم وهو يتطلع من شاطئ
غاليولى إلى أساطيل الحلفاء الراحلة عن مياه الدردنيل
فقد زالت الخلافة فزال معها تعصب الغرب

المؤامرة الى هيبته

كلا . . لم تفرغ جعبة الرجعيين بعد

إن مؤامرة رهيبة تدبر في الخفاء لقلب نظام الجمهورية والعودة إلى المثل الأعلى للحكم في نظريءوف وأنصاره : المجلس الوطني الكبير ، والخلافة
ها هو ذا كاظم قره بكير باشا ، المشرف على ثلث الجيش التركي في الولايات الشرقية ، يقدم استقالته إلى رئاسة عموم أركان الحرب بحجة إهمال اقتراحاته لتنظيم الجيش ، وقبل أن تقبل استقالته ويصل خلفه إلى مركز قيادته في شرقي الأناضول نراه في انقرة

وها هو ذا على فؤاد باشا مفتش الجيش الثاني في قونية يستقيل من الجيش أيضا ويعود إلى انقرة على حين غرة ويتصل برءوف وانصاره ولا يلبى دعوة كمال لتناول العشاء معه

وها هو ذا وأفت باشا في حكم المستقيل
وحصف استامبول تظهر في تلك الأيام العصية حاملة حملات شعواء على الجمهورية ، وعلى الدكتاتورية المزعومة في المجلس الوطني
والنائب الشيخ أسعد افندي يقدم إلى المجلس عدة أسئلة تتناول نقط الضعف في الحكومة التركية الجديدة ، وهذه الاسئلة تنقلب استجواباً في اليوم التالي لتقديم كاظم قره بكير استقالته

ويتم كل ذلك بسرعة عجيبة في تلك الايام السوداء التي تبعت تأديب النسطوريين واحتجاج انجلترا عليه ، ورد تركيا القاسي على انجلترا ، هذا الرد الذي أوشك أن يثير حرباً بين الدولتين . . وقبل قيام الثورة الكردية الرهيبة التي كانت كل الدلائل تشير الى قرب وقوعها

وقد خيل الى المتأمرين الأربعة أنهم ضمنوا تأييد الجيش وأوشكوا أن يضمنوا تأييد الرأي العام ، فأجمعوا أمرهم على الهجوم ، وبسرعة ، وبشكل حاسم . .
مصطفى كمال كان ينتظر هذه الحركة من المتأمرين . وإنه لسعيد بها فستتيح له القضاء عليهم قضاء أخيراً

إنه يطلب من عصمت وسائر الوزراء الاستعداد للرد على الخصوم في المجلس ببيانات

وافية مقنعة . ويطلب من فوزى باشا الاستقالة من النيابة فيستقيل في الحال . ثم يذهب إلى مكتب التلغراف حيث يطلب من بقية قواد الجيش الاستقالة من نيابة المجلس ، فيستقيل منهم عز الدين باشا وعلى حكمت باشا وشكري نائلي باشا وغير الدين باشا ، ويرفض كل من جواد باشا وجعفر طيار باشا الاستقالة ، ويفصلها من الجيش ويعين بدلها اثنين آخرين في الحال . وبذلك يضمن ابتعاد عنصر القواد عن عالم السياسة ، ويضع حداً لتسرب المناورات السياسية إلى الجيش

٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤

عصمت رئيس الحكومة يفتح الجلسة بلباقة وكياسة ، إذ يعلن أن الحكومة لم تكن تنتظر استجواب الشيخ أسعد افندي ، ولكن تبين لها أخيراً أن هناك أسئلة لا عداد لها توشك أن توجهها المعارضة الى الحكومة . ومع انها لم تكن على استعداد لكل هذه الأسئلة ، فانه يسرها أن تجيب عنها ارتجالاً . . . ولا يكاد يعود عصمت الى مكانه حتى يتكلم من فوق المنبر نحو ثلاثين خطيباً ، ويظهر جلياً أن المؤامرة بالغة أقصى درجات الخطورة ، فلمعارضون يحملون على الحكومة بشدة وعنف ، والحكومة تدافع عن نفسها دفاع المستميت . . . وعندما يجيء دور رءوف يصعد المنبر ويطعن الحكومة طعنات مسممة . ويقول بعد أن يجول في معارضته ويصول : إن شعار سياسته وسياسة انصاره يقوم على أساس السيادة القومية . . . فترفع من كل مكان أصوات هاتفة : « والجمهورية ! ؟ » . . . فلا يعأ رءوف بالاحتجاج ويقول : « المكان الذي تتجلى فيه السيادة القومية هو المجلس الوطني الكبير . . . » فيعود الصياح : « والجمهورية ! ؟ » . . . فلا يعترف رءوف بوجود شيء اسمه جمهورية . . . ثم يطر الحكومة بوابل من الاسئلة المثيرة عن شئون الجيش والتعليم والزراعة والتجارة والصناعة ، ويتهما بأن ثمة ظلماً فادحاً يقع على الاهالى ، ويروح في حملته الرهيبة واغلا دون أن يرحم أو يقدر أن الفترة بين انقضاء حرب الاستقلال وقيام الجمهورية لا تتيح لأية حكومة أن تفعل أكثر مما فعلت حكومة عصمت . وأخيراً يقول بلهجة (دراماتيكية) مؤثرة : « اللهم احفظ بلادنا ووطننا وارحمنا . . . » ثم يغادر المنبر وهو على يقين من أن طعناته أصابت مقتلًا

مصطفى كمال جالس في المجلس دون أن يتحرك أو يتكلم . بيد أن الوزراء والنواب لا يلبثون أن يتقاطروا على المنبر لتفنيد أقوال رءوف والدفاع عن سياسة الحكومة . وانك لتلمس في أقوالهم عزيمة المستميت في الدفاع . ومن عجب أن يحسنوا الرد على حملات المعارضة ، وأن يشفعوا أقوالهم بالبيانات والوثائق الرسمية ، مما يدل على أن (الارتجال) كان مناورة سياسية بارعة من عصمت !

وبعد بضع ساعات يعود رءوف الى المنبر ليرد على الحكومة . وهنا تظهر خافية أمره وينكشف الغطاء عن مؤامراته ، إذ يعلن من فوق المنبر أنه - وإن لم يكن من انصار الخلافة والسلطنة - إلا أنه عدو لدود لكل من يتزعزع حقوق هذين المقامين ثم تطول المناقشات وتستغرق بضعة أيام ، وكلما اشتدت استمات الطرفان في الدفاع عن سياستهما ، حتى تختم بطرح الثقة بالحكومة على المجلس . وعندئذ ينهزم رءوف وانصاره إذ يثق المجلس في الحكومة بأغلبية ١٤٨ صوتاً ضد ١٩ صوتاً

ولكن المعركة ما زالت قائمة على أشدها :

فجرائد رءوف تهاجم الحكومة باقلام من نار ، وانصاره يؤلفون حزبا يدعونه « حزب الترقى الجمهورى » . ومبادئ هذا الحزب تقوم على مناهضة الحكومة والعمل على استعادة الخلافة

وثمة دعايات تروج بين سائر الطبقات ، وقوامها الحض على مقاومة الاستبداد والعمل على استرجاع الخليفة ورفع لواء الدين

وثمة مراسلات سرية بين الحزب من جهة ودعاة الثورة في الولايات الشرقية ثم الأكراد من جهة أخرى . وكاظم قره بكير يصبح في نظر زعماء الأكراد - دون أن يعلم - المخلص الوحيد والرجل الذى سينقذ الدين من حكومة انقرة (الكافرة) وهكذا تتطور حركة رءوف وانصاره إلى ثورة رهيبة لهم في اسهمها النصف ، وللذهب الانجليزى الذى ينثر في كردستان النصف الآخر

ولست من السذاجة بحيث أقول إن حزب رءوف ساهم في الثورة الكردية . ولكنى أقرر أن حركته كانت - دون قصد منه - أخطر تهديد لهذه الثورة ، وهو عن هذا التمهيد مسئول أمام التاريخ

حبال المشانق

تركيا في حالة من القلق يرثى لها ، فالبلاد على أبواب حربين : حرب سياسة وحرب ميدان

معالم اليأس تراها في كل مكان : في استامبول ، في أنقرة ، وفي كل بلد أو قرية ، فرءوف وأعضاء حزبه ما يزالون يطعنون الحكومة والجمهورية طعنات نجلاء ، والشيخ سعيد زعيم الاكراد الرهيب يرفع علم النبوة الأخضر ، علم الثورة الدينية ، ووراءه لورانس وفي يده الجنيه الانجليزى الرنان

كل شيء ينذر بالهزيمة والدمار . والأتراك الجمهوريون في بيوتهم رابضون كائن على رؤوسهم الطير ، الا البيت المشرف على أنقرة من عل حيث يجلس الرجل النحيل الضامر الوجه ، رجل غاليلوى الذى انتصر والدنيا بأسرها تقسم : لينهزمن ، رجل سقاريا الذى انتصر والعقل والمنطق وشواهد الحال تدمدم : ليندحرن ، رجل الغاء السلطنة والخلافة الذى انتصر وتراث مئات السنين يسجل : لأعودن . .

هذا الرجل الحديد الجليد الآن يجلس وأمامه خريطة لتركيا عليها الأعلام الصغيرة ، فيشرع في تثبيت الاعلام حول منطقة الثورة الكردية ، ثم يسوقها الى قلب الثورة من الشمال والغرب والجنوب ، فاذا فرغ من ذلك أشعل سيجارة وراح يدخن ، فقد اندحر الأكراد !

أى والله لقد اندحر الاكراد وكان القضاء عليهم مبرماً رهيباً :

الطائرات تصب عليهم من السماء دماراً ، والمدافع من فوهاتها ترسل حمماً والبنادق ترسل ناراً ، والسيف يحز الرؤوس ، والخنجر تبقر البطون ، وأربعون ألفاً من الجنود ألهمهم كال بخطبة نارية يقفزون في بلاد الكرد من راية الى قمة ، ثم الى الوهاد بنحدرون ، والناس يقتلون ، والقرى يحرقون ، ومن الانجليز وعناصر الرجعية في شخص الاكراد ينتقمون

وتشرق شمس ٢٨ يونيه سنة ١٩٢٥ على مشانق تتدلى فيها حبال تتأرجح بحث

خمس وأربعين زعيماً من زعماء الاكراد

وأخيراً . . ها هو زعيمهم الاكبر الشيخ سعيد يتقدم الى مشنقته مبتسماً . فيضع الجنود تحت قدميه كيساً مملوءاً بالذهب الانجليزى ليتخذة كرسياً . فيصعد فوقه

بثبات عجيب ويلتفت الى رئيس محكمة الاستقلال ويقول : « لست أبغضك . ولكننا جميعاً سنقدم الحساب يوم الحساب »

ثم يقول لقائد الجيش التركي الذى دحره : « تقدم أيها الجنرال وقل السلام على عدوك الاكبر . . » فيسأله القائد : « ومن هو عدوى وعدو تركيا الاكبر ؟ » فيستسم الشيخ سعيد ويقول : « انجلترا . . »

وتكون هذه الكلمة آخر كلماته إذ يسحب الجلاد من تحته كيس الذهب الانجليزى فيهرى به الجبل ، فيموت

ويرفع الذئب النحيل الضامر الوجه ، الجائم فوق أنقرة خريطة تركيا من أملمه ، ويقبع فى مريضه حديداً جليداً . الا من بريق عينيه . بريق غاليولى وسقاريا . . .

الآن هو منتصر . والآن الحديد منصهر . فليضربه وليشكل منه ما شاء من النماذج ، وليظهر جو الجمهورية من أدران الرجعية

الآن نراه خطيباً على منبر المجلس الوطنى الكبير . وزى الاتهام تلو الاتهام يتحدر من بين شفتيه ، ونسمع منه فى الوطنية والقومية كلاماً هو كالسحر ، يهتف له النواب طويلاً ويصفقون ، ثم يمنحونه على البلاد سلطة دكتاتورية

ورئيس الجمهورية الدكتاتور سريع فى قراراته وحاسم . فهو يقرر : أن رؤوفاً عدو لدود للجمهورية منذ مهد للحركة الرجعية بخزبه الجديد وإن كاظم قره بكير وعلى فؤاد ورأفت وجواد متمردون رجعيون ، وأن كل من يت إلى حزب الترقى الجمهورى بصله رجعى دساس

وإن جرائد استامبول المعارضة شوكة فى ظهر الجمهورية كل هذا يجب أن يزول . . يزول هكذا بسرعة كما زال الأكراد . .

عالم الاستقلال فى كل مكان تطهر المدن والقرى من الرجعيين ، والصحف تكتم افواهها ، ومصطفى كمال يطوق أعداءه بطوق حديدى لا يفر منه الا رؤوف وعدنان وخالدة أديب . والفرصة الذهبية تتاح له إذ تدبر فى أزمير مؤامرة لاغتياله ، ويقبض على نفر من المعارضين ويعثر على قنابل كانت ستلقى عليه من أحد المنازل وهو سائر فى الطريق . وتضبط مراسلات تثبت اشتراك زعماء المعارضة فى المؤامرة أو تواطؤهم

مع المتآمرين . فتعقد في أزمير وأتقرة محكمتان من محاكم الاستقلال يساق اليهما المتآمرون تباعاً

وفي منزله المشرف على أتقرة يجلس الذئب ريثما تتم محاكمة أزمير ويحكم على المتآمرين بالاعدام ، فيوقع بامضائه على وثيقة الموت ، ولا يبدو عليه ظل من التأثر إذ يقرر إعدام صديقه القديم « عارف » . . أجل عارف الذي كان أصدق أصدقائه وأخلص أصفياه ، عارف الذي انقلب متآمراً وانضم الى الرجعيين عقب الغاء السلطنة والخلافة ، عارف الذي أتاح له كل فرصة الدفاع عن نفسه في جلسة سرية فانبرى يقول : « أجل لقد حاولت قتلك . . ولو كان معي مسدس الآن لقتلتك ! ! »

وبعد أيام يحثه الرسول بوثيقة اعدام الفوج الثاني من المتآمرين ، الفوج الذي يتألف من زعماء المعارضة وفي طليعتهم جاويد بك وزير مالية تركيا سابقا ، ومدير مؤامرات الرجعيين من وراء ستار . . لقد حوكموا في أتقرة وثبتت إدانتهم - والادانة لا يشترط أن تكون الاشتراك في تدبير المؤامرة ، بل يكفي كونهم أعداء للجمهورية ساعين في بعث عهد السلطنة والخلافة - فيفرج كمال عن قواد الجيش الأربعة ، ويوقع على وثيقة إعدام الآخرين

وهناك خارج أتقرة ، والظلام مرخ سدوله إلا من بعض المصابيح الضئيلة ، تتأرجح جثث زعماء المعارضة تحت المشانق . .

كل واحد من هؤلاء كان صخرة معارضة قائمة بذاتها . وهاهم الآن يصمتون صمتاً أبدياً . .

كل واحد منهم ألقى كلمات رهية قبل أن يموت . إلا جاويد فقد ألقى آخر نكاته على كرسى الاعدام إذ قال لجلاذه : « معذرة إذا كنت لا أجيد الموت شتقاً فاني - وإيم الله - لم أجرب هذه الميتة من قبل ! ! »

تركيا . ولا شيء إلا تركيا

الآن استقلت تركيا ، وألغيت السلطنة والخلافة ، وأعلنت الجمهورية ، وعلق الرجعيون في جبال المشانق أو شردوا في أقصى الأرض
الآن زالت تنوء العهد القديم . فهل يزول العهد القديم كله ؟

مصطفى كمال في أخرج ساعات حياته : فقد ألقى وشنق وشرد ، وبقي أن يريل من تراث القرون الغابرة وهاداً بأكلها ان كانت تنوؤها قد زالت فهي بعد باقية وإزالة هذا التراث تكاد تكون في حكم المستحيل ، جذوره متأصلة في أعماق النفوس بيد أن كمالاً رجل غاليولى وسقاريا والجمهورية لا يعرف المستحيل ، لأنه كنبليون يتحدى الأرض والسما ثم تصرعه إرادة الأرض والسما ، بل لأنه رجل أرقام ، رجل حقائق ، رجل دنيا لايشى وأنفه في السما بل يخطو كل خطوة ونظره مصوب الى الأرض ، وهو الآن اذ يتحدى المستحيل لا يتصور أنه يتحدى مستحيلا بل يرى ويقيس كل شبر من الارض يؤدي الى هذا المستحيل ، ويفكر طويلا في كيف يجتاز هذا البحر ، ويعبر ذلك المحيط ، ويتسلق تلك القمة الشاهقة ، ويتغلب على ذيك الطريق الشائك ، حتى يصل الى غايته ، فيرى أن ليس ثمة مستحيل ، ويعجب كيف يسمى الناس هذا « البسيط المهدى » « مستحيلا » . .

مصطفى كمال جالس في منزله المشرف على أنقرة وفي صفحة ذهنه (خريطة) جغرافية سياسية اقتصادية اجتماعية للعالم أجمع . وانه ليخيل الى أن في يده أعلاما صغيرة يثبتها في هذه الخريطة حينما أراد الاستقرار ، كما كان يفعل في غاليولى وسقاريا وثورة الكرد تماما . .

انى أراه الآن وقد وضع أعلامه الصغيرة حول رقعة من الأرض اسمها الجديد « تركيا » . ثم أراه وقد وجه أعلام هجومه شطر الشرق ، وفتح من الناحية الغربية باباً يتيح للمدينة الغربية أن تصب في بلاده ، وأرى في يده مفتاح هذا الباب يفتحه به ويغلقه كما يشاء ويشاء التيار الغربي

وانى لأسمعه يتمم : « يجب أن تنقل شجرة المدينة الغربية الى بلادنا . ويجب - لتعيش هذه الشجرة - أن تنقل البيئة التى عاشت فيها من قبل . ثم يجب - لتزرع هذه الشجرة في مهدها الجديد - أن نعوّدها شيئاً فشيئاً على احتمال جونا وتربتنا التى حملناها معنا من قلب آسيا . وهذا كله معناه فصح علاقتنا بالشرق - تلك العلائق التى ورثناها عن السلطنة والحلافة - فصماً أبدياً »

والآن أرجو من قرائي الشرقيين أن يتيحوا لى فرصة الدفاع عن تلك الثورة الاجتماعية الكبرى ، وأن يتجردوا - عند قراءتهم هذا الفصل - من كل ما سمعوه وتأثروا به من أحوال تركيا الجديدة :

الأتراك جاءوا من أواسط آسيا ، وكانت لهم هناك في مهدهم الأول مدنية قوامها عالم الخيام حيث لا مستقر الا المكان المعشب ، ولا صناعة الا صناعة الحرب . ولا تجارة إلا في عالم الأنعام وما إليها من نتاج عالم الخيام ، ولا ملوكية ولا سلطنة بل زعامة بدوية . فلما بلغ سلاطينهم ما بلغوا من مجد وفتوح كان أكثر من نصفها في الشرق ، واعتنق أولئك السلاطين مدنية الاسلام والشرق الاسلامي ، لم تغفل تلك المدنية في صميم أهل الأناضول ، بل ظلت قشرة على مدنيته وحسب ، والآل وقد نبذوا سلاطينهم وخلفاءهم ، أفلا يحق لهم أن ينبذوا المدنية التي فرضت عليهم فرضا ، المدنية التي لم يعتنقوها قط بل اعتنقوا منها بعض القشور ؟

وثمة مسألة ثانية : فالاسلام شيء والمدنية الدنيوية شيء آخر . الاسلام دين الله ، والمدنية الدنيوية جلها من صنع البشر . وهذه المدنية الدنيوية لا تمت الى الاسلام في كل أصولها ، بل انها لها أصولا فارسية ويونانية ورومانية وهندية . ومن الخطأ الخلط بين الاسلام وما نسميه « مدنية الاسلام » . ومن الخطأ أيضا ربط الاسلام بمدنية الاسلام ، فالدين واحد لا يتغير ولا يتطور ، والمدنية يجب أن تتغير وتتطور . والحمد لله الذي جعل ديننا صالحا - بمحدوده وأركانه الخمسة - لكل عصر من العصور ، ولكل مدنية من المدنيات . فلماذا اذا نطالب التركي بالمحافظة على مدنيته الشرقية ، ولا نطالبه هو بخلق مدنية جديدة مادام راغبا في ذلك ؟

وثمة مسألة ثالثة : هي « حمل لواء الاسلام » . هذا اللواء كان النبي صلى الله عليه وسلم أول من حملة . ثم حملة بعده الخلفاء الراشدون . ثم خلفاء بني أمية . ثم خلفاء بني العباس والفاطميون . ثم حمل في المغرب ، وفي الأندلس ، وفي مصر بعد أن حمل في الجزيرة العربية والشام والعراق . فلما جاء دور الأتراك في التاريخ الاسلامي حملوه بدورهم وناضلوا عنه طوال ستة قرون ، حتى آذنت قوتهم بالزوال ، ثم اندثرت تماما عقب الحرب العظمى والاحتلال الأجنبي . فلما قامت الثورة الوطنية وطرد الأتراك العدو من بلادهم لم يكن معنى هذا الطرد أنهم استعادوا مجدهم القديم ، بل معناه أن أمة مستعبدة نالت حريتها ، وليس ثمة أكثر من ذلك . فلماذا نطالب هذه الدولة التي بعثت نما يشبه العدم ، وأوشكت أن تقف على قدميها ، بما كنا نطالب به السلطنة العثمانية القوية ؟ وكيف يتاح لها حمل لواء الاسلام وهي لا تكاد تقدر على حمل لوائها هي ؟

وثمة مسألة رابعة : هي « الدفاع عن الاسلام » . هذا الشعار لم يكن يحمله أحد قط عندما كان الاسلام عزيزاً بقرته ، بل كان أجدادنا القدماء يحملون شعاراً آخر مقدساً هو « المهجوم » . هو « الاسلام أو الجزية » . فلما اضمحل الشعب الاسلامي ووقع - واسفاه - تحت نير الغرب ، ظهر شعار آخر هو « الدفاع عن الأمة » حتى تستقل وتقوى ليتاح لها « المهجوم » بالاسلام . والواقع الذي لا مرأى فيه هو أن الدين ليس ضعيفاً ، بل الدولة هي الضعيفة ، والأمة هي الضعيفة . فلكي تبعث الدين يجب أن تبعث الدولة والأمة . وهذا هو منطق مصطفى كمال إذ ينادى : « الوطن أولاً . . الوطن قبل كل شيء »

وثمة مسألة خامسة : هي أن الشرق الاسلامي سام جداً في عقائده وأفكاره ، هابط جداً في حقيقة كيانه السياسي والاقتصادي - هذه حقيقة مرة ولكنها لا تقبل جدالاً - ولذلك نهتف دائماً بحياة « الجامعة الاسلامية » و « الجامعة العربية » و « الشرق أصل الحضارة » و « الشرق الذي علم الغرب وسوف يعلمه » . فإذا تأملنا في حقيقتنا الراهنة رأينا أننا في الأرض ومثلنا العليا في السماء . ولست أسوق هذا القول لأقلل من قيمة مثلنا العليا ، ولكن لأقول إنه حسن أن ننشد الكمال وتتحدى الغرب بجامعة كبيرة ومدنية هي خير من مدنيته ، ولكن يجب علينا عندما نعول على ذلك أن نسلك الطريق من أوله ، فنصلح من شأن أنفسنا ، ونربي أبناءنا وأحفادنا على تعشق الحرية والجهاد ، ومجاعة الغرب في سرعة تقدمه ، ثم نكافح لننال استقلالنا ، ثم تعمل كل دولة مستقلة منا على المحافظة على استقلالها والاطمئنان اليه ، فإذا ما بلغنا تلك المرحلة شرعنا نفكر في المثل العليا ، وكان تفكيرنا فيها في إبانة . ومما يؤسف له حقاً أن نقول إن كمالاً كان - وحده - أول من رسم لدولته تلك السياسة المنظمة التي تقضى بسلوك طريق المثل الأعلى من أوله - مهما يكن في هذا السلوك من هبوط مؤقت بالمثل الأعلى إلى مستوى الأرض

وثمة مسألة سادسة : لماذا يظل الشرق روحانياً في دنياه ، مسالماً ينشد السلام ويتغنى بأشودة السلام ، محققاً يطلب الحق ولا شيء إلا الحق وكلمة الحق ، وهو في عالم مادي ، محارب ، مستعمر ، لا يعرف الحق إلا مع القوة ، ولا يعترف بكلمة الحق إلا إذا رفعتها فوهة المدفع ؟ ولماذا أسمع مفكراً من أكبر مفكري الشرق يقول في حديثه عن حرب الاستقلال التركية إنها أدت إلى خير النتائج ، ولكن ثمة شيئاً يشوه

من جمالها ، وهو سفك الدماء والنضحية بمئات الألوف من الأتراك ؟ !
 هذه العقيلة لم تكن قط موجودة في الشرق . ووجودها الآن جريمة كبيرة وعار
 يلحق بنا وبأبنائنا وأحفادنا . ومما يهون علينا أمرها أن الشرق بدأ يستيقظ من أثر
 هذا المخدر ، وبدأ يدرك أن الروح لا تقوى على المادة إلا إذا قاتلتها بمثل حديدتها ،
 وأن السلام لا يعيش حيث تغطي أسنة الرماح آفاق العالم ، وأن الحق لا يسود إلا
 مع القوة

وثمة مسألة سابعة : هي أن الأتراك ظلوا طوال عهد السلطنة والخلافة لا يعرفون
 لهم وطناً ، فدينهم ووطنهم هو الاسلام . وحينما كان التركي : في مصر ، أو سوريا ،
 أو العراق ، أو الحجاز ، أو اليمن . . كان هناك وطنه . وحدود تركيا لم يكن لها
 وجود . والنفير إلى الحرب لم يكن : « قم ودافع عن وطنك » بل « قم لتدافع
 عن الاسلام » . وقد كان هذا حسناً عندما كانت القوة والدولة للسلطنة العثمانية . أما
 وقد خرج الشرق من الحرب العظمى بدول منفصل بعضها عن بعض ، ولكل منها
 استقلال تنشده ، وحدود تطالب بها ، فمن العبث أن يظل التركي متخذاً « عالم
 الاسلام » وطناً له . ولهذا فصل مصطفى كمال تركيا عن « عالم الاسلام » كما فصلنا
 نحن أقطارنا عنه وجعلنا لكل منها كيانا مستقلا

تلك روح الجمهورية التركية : جمهورية مصطفى كمال حالتها تحليلاً عاجلاً وأرجعت
 كل مظهر من مظاهرها الى سبب لا ينتقل بالقراء الى عالم جديد ، ودولة جديدة

إنه يفهم الأتراك

ماذا يرى مصطفى كمال بعد أن ألغى السلطنة والخلافة ، وأعلن الجمهورية ، وعاق
 المعارضين في جبال المشانق وشردهم في أقصى الأرض ، وفصم علاقته بالشرق الاسلامي
 وعول على استنابات المدينة الغريبة في بلاده ؟

إنه يرى على الرؤوس الطربوش والقلبك والعمامة البيضاء أو الخضراء أو الحمراء
 واللبدة الطويلة التي يلبسها الدراويش ، والطاقيّة ، والطرطور الذي يلبسه الأكراد .
 وكل واحد من هذه الأشياء يشير الى طائفة معينة ويثير في النفوس التعصب والبغضاء

ويرى على الابدان الملابس الافرنجية ، والجبة والقفطان ، والشروال ، والجلباب ،
والعباءة ، وكل هذه الملابس ألوانها زاهية صارخة . وهي أيضاً تقسم الأتراك الى
طبقات وشيع وتثير تعصبا وعداوة

ويرى في الروس ثقافة غربية وأخرى شرقية ، وثلاثة تتوسط بين هذا وذاك ،
ورابعة هي الجهل بعينه !

ويرى حينما استقر التعصب في النفوس مذاهب ليست مما أمر به الله والرسول ،
وطرقا دينية حديثة على الاسلام : فهذا مولوى ، وذاك بكتاشى ، وأولئك نقشبنديون ..
وهؤلاء لا أدري ماذا مما أبدعته القرون الوسطى ومهد له الجهل والتأخر والجمود
ويرى لرجال الدين « دولة في داخل الدولة » ، ويرى فيهم عدداً عديداً ممن
لا يمتنون الى الدين بصلة الا في لبس العمامة البيضاء أو الحضرأ أو الحمراء

ويرى - كلما أقدم على ضرب من ضروب الإصلاح - حرباً شعواء يعلنها عليه رجال
الدين وتعلنها تلك النماذج العديدة من أغطية الرؤوس والابدان ولباس العقول ومستقر
التعصب ، مع أن الاسلام دين الإصلاح ، دين التقدم ، دين سائر المدينيات

بل انه ليرى في كل نموذج من تلك النماذج « أمة » مستقلة ويرى داخل الحدود
التركية « أمما » متناحرة : فأهل استامبول والساحل الأوربي أمة ، وأهل الأناضول
الى أنقرة أمة ، وأهل ساحل البحر الاسود أمة ، وأهل بلاد الكرد أمة ، وأهل
آطنه وما حولها أمة ، وأهل شرقي الأناضول أمة ...

ومصطفى كمال يريد أن يسير فتقف صخور تلك النماذج في سبيله صماء شماء
ويريد أن يصلح فتتقلب عليه وتعرقل سير اصلاحه
ويريد أن يستقر الشعب فتأبى هي إلا أن تثور في كل مناسبة ولأتفه الأسباب !

« كلا . . هذه ليست تركيا التي أعرفها ، وإنما هي تركيا في ثياب السلطنة والخلافة
والمدينة الشرقية الاسلامية . . »

تلك الكلمة يقولها مصطفى كمال وهو جالس في منزله المشرف على أنقرة بعد أن
جمع وطرح وضرب وثبت الأعلام الصغيرة هنا وهناك وهضم الموضوع كله هضمًا
عسكرياً منطقياً

« تركيا التي أعرفها لا تتعصب لشيء . الاتراك الذين دفعتم الى خط النار في

غالبولي وسقاريهم الاترك الذين أقاموا - وما يزالون مقيمين - في أواسط آسيا . إنهم كانوا هناك في مراعيهم ووسط خيولهم وخيامهم يطيعون زعيم قبيلتهم طاعة عمياء . وإنهم الآن لم تتغير منهم الا القشور . وهذه القشور سأزيلها لأصبح في نظرهم زعيم القبيلة الاكبر »

« وعندما أشرع في ازالة هذه القشور والعود بأبناء وطني الى طبيعتهم الأولى ، سيظهر دعاة التعصب والثورة حاملين أولوية الرجعية . . فأضرب عليهم بيد من حديد وأعوهم من عالم الوجود ، ثم أعود الى قومي لاصلح من شأنهم بالمنطق أنا وبالحديد والنار أحياناً ، حتى أمهد تنوءه وأوحد أزياءه وعقائده وثقافته وعقوله وأقضى على تلك « الدولة في داخل الدولة » ، ثم أقذف به في تيار الحياة الصاخب ليكافح وحده ويثبت للطبيعة أنه بالبقاء جدير »

حزب الشعب الجمهوري

وضع (زعيم القبيلة الأكبر) أساسه عندما عقد مؤتمر أرضروم وسيواس . وأكمل نصف بنيانه بالمجلس الوطني الكبير . ثم أتمه عندما طاف بالمدن والقرى وأسس وفق مبادئ جديدة تقوم على تعاليم الجمهورية

وهذا الحزب هو تجسيم مادي لفلسفة مصطفى كمال ودستوره في الحياة . فقد وضع أول الأمر نقطة واحدة هي شخصه . ثم شرع يرسم حول هذه النقطة دائرة من المنطق والحديد والنار ، فنقل الحكم من يد السلطنة الى يد مؤتمر أرضروم وسيواس ، ثم الى المجلس الوطني الكبير . ولما استقر الحكم في هذا المجلس قطع الحبل الذي يربطه بالباب العالي في استامبول بالغاء السلطنة ، ثم الخلافة . ولما خلصت له أمور الدولة أعلن الجمهورية . ولما قاومته المعارضة نبذ المجلس الوطني وأسس حزب الشعب الجمهوري الذي شمل جميع أفراد الأمة ، وبذلك جعل حزبه هو الناخب ، وجعل المجلس الوطني هو المنتخب . ولما كانت هيئة الوزارة تنتخب من المجلس الوطني الكبير وكان المجلس ينتخب من حزب الشعب الجمهوري ، فقد أصبح هذا الحزب مشرفاً على هيئة الوزارة وعلى شئون الدولة

وهنا يتم مصطفى كمال رسم دائرته الجبارة في أربع سنوات اذ يصل الى حيث

ابتدأ في نقطة مؤتمر أرضروم سنة ١٩١٩ . فماذا يفعل بعد ذلك ؟
إنه يجلس في مركز الدائرة كما كان وحيثما كان حديداً جليداً ، ثم يديرها من جديد - ولكن كما تدار الرحي - فيطحن تنوء العهد القديم ورءوس دعاة التأخر ويظل يطحن ويطحن حتى تعود الدائرة الى حيث ابتدأت في أربع سنوات آخر .
فماذا يفعل بعد ذلك ؟

إنه يجلس في مركزها كما كان وحيثما كان حديداً جليداً ، ثم يديرها من جديد - ولكن لتبني هذه المرة - فيبنى ثم يبنى ، ويشيد ثم يشيد ، ويصلح ثم يصلح ، ويعلم ثم يعلم ، حتى تعود الدائرة الى حيث ابتدأت في أربع سنوات آخر ، فماذا يفعل بعد ذلك ؟

إنه يجلس في مركز الدائرة كما كان وحيثما كان حديداً جليداً . ولكنه لا يديرها في هذه المرة بل يديرها عوضاً عنه جهاز جبار صاغته يد كمال الناهية من تجارب اكتسبها طوال أيام كفاحه الرهيب ، وهذا الجهاز يسمى « الجمهورية التركية » ، وله من مصادر القوى ستة مصادر : هي الوطنية ، والشعبية ، والجمهورية ، والقومية ، والثورية ، والعلمانية

وتتم الدورة الرابعة في سنة ١٩٣٥ عقب الاحتفال بمرور عشر سنوات على الجمهورية التركية

وستتم الدورة الخامسة في عام ١٩٣٩ . والسادسة في عام ١٩٤٣ ، والسابعة في عام ١٩٤٧ . والثامنة في عام ١٩٥١ . والتاسعة في عام ١٩٥٥ . والعاشر في عام ١٩٥٩ . وسيقضى كمال نخبه قبل هذا العام أو بعده . سيقضى نخبه وهو في مركز الدائرة كما كان وحيثما كان حديداً جليداً . وسوف لا يقف الدوران بعد موته فالجهاز الجبار هو روح كمال الذي لا يموت

الزبي الموحد

وحزب الشعب الآن في دورته الثانية . والدائرة التي يجلس كمال في مركزها تدور كما تدور الرحي - فتطحن التنوء والرءوس وثمة قشرة من مخلفات العهد المنقرض على وشك الدخول في دورة الرحي :

فالطربوش والعمامة والقلبك و « اللبدة » الطويلة والطاقيّة والطرطور ، والجبة والقفطان والشروال والجلباب والعباءة ، كل هذه التتوء تتوشك أن تزول فأما الطربوش فلباس للرأس أخذه السلطان محمود الثاني عن اليونان فثار جنوده وشعبه عندما أرغمهم على اتخاذه لباساً لرءوسهم . فكيف يثور الأتراك لخلعه الآن وقد ثاروا من قبل عند إرغامهم على لبسه وزعموا أنه مظهر من مظاهر النصرانية ؟ وأما العمامة فأثر من آثار حاخامات اليهود . وقد أصبحت بعد ذلك شعاراً للعلماء والأئمة المسلمين . فلتبقى كذلك . أما تلك العمام التي يلبسها كل من هب ودب من الأديعاء والنصايين والشعوذين باسم الدين فما شأنها ؟ تلك العمام يجب أن تدخل تحت الرحي لتطحن . وأما عمام العلماء والأئمة والمفتيين فتبقى شعاراً مقدساً تراه فتحكم بأن حامله شيخ جليل وإمام كبير . وهذا ما يرجوه رجال الدين أنفسهم . وأما القلبيك فيذكرنا بعهود السلاطين وعهد الاتحاديين . فليطحن . . . وأما « اللبدة » الطويلة والطاقيّة والطرطور فأشكال مضحكة تدعو الى السخرية والزراية . فلتطحن . . .

وأما الجبة والقفطان فحكر للعلماء والأئمة والمفتيين . فاذا لبسها من لم يكن عالماً أو إماماً أو مفتياً طحنته الرحي . وأما الشروال والجلباب والعباءة وما إليها فكاللبدة الطويلة والطاقيّة والطرطور أشكال مضحكة مزرية ، فلتطحن . . .

مصطفى كمال يأمر بتوحيد الزي ، فالقبعة للرأس ، واللباس الافرنجى للبدن ولكن لماذا يختار القبعة ولا يتبدع شكلاً جديداً من أشكال أغطية الرءوس ؟ سؤال يجيب عنه هو قائلاً : « ولماذا أبتدع الشكل الجديد ؟ أنا أحارب قشرة التعصب بالقبعة ، ولن يفيل الحديد إلا الحديد » ثم يسأل السائلين بدوره : « ولماذا لبستم أتم اللباس الافرنجى منذ أكثر من نصف قرن واللباس الافرنجى من مظاهر النصرانية ؟ ولماذا تعترضون على القبعة واتم أوريون من الرقبة إلى أخمص القدم ؟ »

أول سبتمبر سنة ١٩٢٥
مصطفى كمال ألبس الجنود ورجال البوليس والبحرية القبعة فلبسوها طائعين

لزعيم القبيلة الأكبر . وهاهوذا الآن يزور قسطنطين زيارة رسمية وقد لبس القبعة ..
الموظفون يبادرون إلى لبس القبعة بدورهم كما لبسها زعيم القبيلة الأكبر .
والشعب يقف أمام هذا المنظر العجيب مدهوشاً

لابس القبعة مصطفى كمال يقف أمام الجماهير خطيباً ، ويقول :

— اللباس الدولي الذي تلبسه الشعوب المتقدمة يناسبنا تماماً . سنلبس الجوارب
والخذاء والسروال والقميص والصدريّة والحالة ورباط الرقبة . وسنلبس فوق
رءوسنا ما تسمونه « القبعة » . وسنلبس الردينجوت والجاكته والسموكنج والفراك .
وإذا كان فيكم من يعارض في ذلك قلت له في وجهه أنت غبي وجاهل ..

« إننا إذا لبسنا ملابس تختلف عن ملابس الغرب ظللنا متأخرين ، لأننا سنظل
في نجوة عنه . انظروا الى العالم التركي والاسلامي : ألا ترون أن العلة فيما نقاسيه الآن
هي أننا لم نشكل عقولنا وأرواحنا بما يناسب تطور العالم ؟ بلى .. إن هذا سبب
تأخرنا وما حاق بنا من نكبات . ولولا أننا غيرنا عقليتنا في المدة الأخيرة ما استطعنا
أن نظفر باستقلالنا ..

« يجب ألا نقف حيث نحن الآن ، بل نسير وتتطور يوماً عن يوم ..

« يجب على الأمة أن تدرك أن المدينة تملك من القوة ما تستطيع به أن تحرق
وتدمر كل ما يقف في سبيلها دون أن يحارباها ! »

وبعد قسطنطين يذهب إلى اينبولو ، ومنها إلى بروسه ثم إلى اسكيشهر ، ثم إلى
قونية ، وفي كل مرحلة يمثل نفس الدور الذي رأيته في قسطنطين

وفي إحدى هذه المراحل زار وسط جمهور عظيم من الشعب فيه لابس القبعة
ولابس العمامة ولبس الطربوش ولبس الطرطور الطويل . زار كالساحر المريد
يطوق الجميع بمغناطيسية نظراته النارية . ونسمعه يتحدث فلا نسمع من الجماهير
إلا الشهيق والزفير ووجيب القلوب . ثم زار يشير باصبعه إلى أحدهم ويقول :
« صاحبنا هذا الواقف هناك .. ألا ترون الطربوش فوق رأسه ومن تحته سروال
عجيب وصدريّة صارخة الألوان؟ ما هذا الخلط الذي إذا رآه أوربي سخر منا واتخذنا
هدفاً لسكاته ؟ ! »

فيضحك الناس . ويخجل صاحبنا من نفسه ومن زيه ، وزاره بعد بضع ساعات
لابس القبعة واللباس الافرنجي ..

ويعود لابس القبعة إلى انقرة فيجد القبعة على رؤوس معظم مستقبله في المحطة ..
وبعد أيام يصدر مجلس الوزراء قراراً بفرض لبس القبعة على سائر الموظفين
ثم تصدر بلدية استامبول مثل هذا القرار لموظفيها
وتمر أيام وأسابيع نرى فيها القبعة على سائر الرؤوس بعد رؤوس الموظفين :
فالطلبة ، والمحامون ، والأطباء والمهندسون والمدرسون ، والجمالون ، والفلاحون ،
كل أولئك رحبوا بالقبعة ونبدوا الطربوش وسائر أغطية الرؤوس
وعندما يحار الأتراك في كيفية الصلاة بالقبعة يصدر مفتي استامبول فتوى تقول
بأن خلع القبعة علامة من علامات الاحترام ، فلم لا تخلع أمام المولى سبحانه وتعالى
وهو أولى بالاحترام والاجلال ؟ ثم يصدر عميد كلية العلوم الشرعية في أنقرة منشوراً
عاماً يغير فيه المصلين بين خلع القبعة ولبسها في أثناء الصلاة
وأما العامة فتقتصر على المفتين والعلماء وأئمة المساجد المعترف بهم من الحكومة .
فأما المؤذنون وحراس المساجد وخدام المقابر والاضرحة وغاسلو الموتى
والدراويش فقد لبسوا القبعة

يبدو لنا من ذلك أن القبعة لم تفرض إلا على موظفي الحكومة . أما سائر أفراد
الشعب فقد لبسوها راغبين فيها لا مرغمين بعد أن لبسها « زعيم القبيلة الأكبر »
وأخيراً يقدم رفيق بك نائب قونية في المجلس الوطني مشروعاً بقانون يقضى بفرض
القبعة على الترك - بعد أن لبسها الأتراك جميعاً ، ومن لم يلبسها منهم سار حاسر الرأس -
فيقف الجنرال نور الدين باشا أحد أبطال حرب الاستقلال في ٢٦ نوفمبر ويعارض
في المشروع بشدة ، ويقدم للمجلس تقريراً مقتضاه أن قانون القبعة يخالف نص المادة
١٠٣ من الدستور التي تقول بوجوب احترام الحرية الشخصية . . .

وبعد مناقشات طويلة يوافق المجلس على القانون بأغلبية الآراء ، إلا رأى
نور الدين باشا ورأى نائب يدعى احسان بك

وتمر أيام وأسابيع تصل فيها انباء معارضة نور الدين باشا لقانون القبعة إلى ولايات
الأناضول الشرقية : سيواس وارضروم ومرعش وريزه . فتخرج حشرات الرجعية
من أوكارها ، ويحمل بعض المهوسين من الدراويش العلم الأخضر - علم النبوة في
زعمهم ، ألا ساء ما يزعمون ! - وينادون بسقوط حكومة انقرة الكافرة !
وتتقضى بضعة أسابيع تسفك فيها الدماء وينادى الدراويش بالثورة . .

وفي اقتره ، في المنزل المشرف على العاصمة من عل :
مصطفى كمال جالس في مركز الدائرة كما كان وحيثما كان حديدا جليدا
والرحى تدور . فتطحن التواء والرموس . . . !

الويل لل دراويش !

كتلة متحركة من القذارة والجرائم والأوبئة تسير في أسمال بالية تتألف من
مئات الرقع وتلبس عمامة خضراء : هاك أحد الدراويش . .

وكتلة ثانية من القذارة والجرائم والأوبئة تسير نصف عارية ، وتصدر عنها
أصوات حيوانية لا معنى لها تنطلق خلال المخاط واللعب السيل : وهذا درويش
متصل بالملسكوت الأعلى ! . . .

وكتلة ثالثة من الشحم واللحم والشعر الغزير الفاحم ، تراها فترى الغباء مجسماً
والشهوة جامحة متمردة ، وتراها الجدران الأربعة في عالم خسيس من الاثم والفجور
والحيوانية الوضيعة : وهذا درويش من طائفة المولويين أو البكتاشيين . .

وكتلة رابعة من الجهل والغباء والتعصب تجلس على مثل عرش الملوك وتبيع
وتشتري في سوق النعم والأعراض وتتصرف في قناطير مقنطرة من الذهب والفضة ،
ولا يخلو لها الصيد الا في الماء العكر ولا الحركة إلا في الظلام : تتسلط على عقول
البسطاء السذج بورق وجبر وطلاسم لا معنى لها تسمى « أحجية » ، وسيوف
خشبية خضراء تسمى « سيوف الاسلام » ، وأعلام خضراء كتب فوقها « لا إله
إلا الله محمد رسول الله » تسمى « أعلام النبي » ، وهذه الأعلام لا ترفع إلا عندما
يقوم الحائنون بحركة رجعية ، أو ينثر جواسيس الأعداء الذهب ذات اليمين وذات
الشمال : وهذا هو شيخ الدراويش . .

وإنك لتسير في أجمل بقاع تركيا ، فترى قصرًا شاعنًا تحيط به حدائق غناء
وكروم تمتد الى مدى البصر ، فصعد اليه فتراه محاطاً بالأسوار محكم الرتاج كأنه قلعة
من قلاع القرون الوسطى ، فاذا أتيح لك الدخول اليه رأيت عالماً بغیضا من
الأباحية تفصله الأسوار الضخمة عن عالم الحدود والشرائع والأخلاق :

فهذا الكرم تعصر منه الحجر المعتقد التي يشرها ساداتنا الدراويش - الحجر الالهية

التي لا تتاح للإنسانية أسباب الملكوت الأعلى إلا بها . .
وتلك الكؤوس الفضية والذهبية في ثمالاتها سر الوجود . .
وهذه النار التي يقفون أمامها صامتين خاشعين ما هي إن لم تكن من آثار الوثنية
الفارسية ؟ !

وأولئك الغلمان المرد الحسان ما شأنهم في تكية الدراويش ؟
والنساء ما شأنهن في هذا العالم الاباحى ووسط تلك الكتل الشحمية اللحمية
الشهوانية ؟

وهل يصلى هؤلاء الدراويش ؟

وهل يصومون ؟

وهل يزكون ؟

وهل يحجون ؟

وذكر الله ما علاقته بالرقص على هتفات الناي ونقرات الدف والقانون ؟

وهذا الدراويش الذى يدور على رجله « كالمكوك » : ما خطبه ؟

والله سبحانه وتعالى ، هل يرضى عن ذكر أولئك الراقصين العابثين ؟

وتلك الألوف المؤلفة من الدراويش : ما فائدتها ؟ وما رسالتها في الحياة ؟ وما
علاقها بالاسلام ؟ وكيف ظلت قائمة طوال تلك القرون الستة ؟ وكيف احتكرت
أجمل بقاء تركيا وأجودها ثماراً وأخصبها أرضاً ؟

وانك لترى للدراويش أسماء لا عداد لها : فهذا رفاعى وذلك قدرى ، والثالث
تقشبندى ، والرابع خلوتى ، والخامس سعدى ، والسادس مولوى ، والسابع
بكتاشى . .

ولكل من هؤلاء تكايا ، وأوقاف ، وأموال مدخرة ، وحقول واسعة ،
ومشايع ، وأتباع ، وأنصار ، وخدم ، ومحاسيب . .

وكل واحد من هؤلاء لا يؤدى فرائض الدين إلا لماما ، ويرتكب المحرمات دواما
وله كل الحقوق ، وليس عليه شئ من الواجبات ، وكل عمله في الحياة ألا يعمل ،
ورسالته هي نشر الخرافات في دنيا القرن العشرين ، ومد اليد الشريفة للبركة والتقبل
هؤلاء الدراويش كانوا خير عون لوحيد الدين وخفاشه الأسود عندما أصدر
منشورها اللعين الذى أباح فيه دم كمال وأتباعه ، فقد راحوا يذيعونه في طول البلاد

وعرضها وكانهم ينشرون دين الله - قاتلهم الله !
 ومن أتباع هؤلاء الدراويش تألف « الجيش الأخضر » الذى رأيناه فى أول
 حرب الاستقلال
 وفى هذه التكايا - أوكار الرجعية وأعشاش المؤامرات والخيانة - حيكّت خيوط
 من الدسائس والمؤامرات ذاق الوطنيون منها الأمرين
 وبضعة رجال من شيوخ أولئك الدراويش نفحهم الشيخ سعيد ببعض ما جاد به
 عليه الانجليز فخرجوا من تكاياهم يحملون « علم النبوة الأخضر » وينادون بسقوط
 الكفرة الملاحدة
 وهؤلاء هم الذين قاموا يناهضون قانون القبعة والزى الافرنجى ...

الآن يجلس الرجل الحديد الجليد فى مركز الدائرة التى تدور كما تدور الرحى
 وبعد أيام تطحن التكايا وما حوته من كسل وغباء وشحم ولحم وشهوة وخرافة
 ودس وخيانة !

ثم تسمع الرجل الحديد الجليد يقول : « اذهبي فى عداد الناهيين ، فالجمهورية
 التركية لا تقوم على الخرافات والدجل والشعوذة ، ولكن على العلوم والفنون ، على
 المدنية الحديثة »

الدراويش يحاولون إثارة الرأى العام على الحكومة ، فلا يثور الرأى العام ،
 فقد عرف « زعيم القبيلة الأكبر » وآمن برسالته

فاطمة ترقص !

رآها « زعيم القبيلة الأكبر » فى مراعى آسيا تنهم من النجاد الى الوهاد وتتجدد
 من الوهاد إلى النجاد ، وتركب الخيل وتقطع ثديها إذا ما بلغت سن اليأس واقطع
 عنها الحيض لتشعر وهى فى ميادين القتال بأنها « رجل » . رآها فى البيت سيدة
 مطاعة تأمر وتنبى وتتحكم فى شئون الرجل والطفل . ورأى لها من الحقوق وعابها
 من الواجبات ما للرجل وما عليه
 ثم رآها فى حرب الاستقلال الى جنب الرجل تحمل له المؤونة والدخيرة ، وتضمد

جراحه وتقوم بأعمال الحرث والغرس والحصاد في غيابه عن القرية . بل انه رآها محاربة ، تحمل البندقية والسيف والحربة والخنجر ، وتفتك باليونانيين برءوس الزجاج المحطم ، وتبلغ في الجيش رتبة البكباشية

لم يدعها أحد الى التطوع قط ، فقد ازال معام الحرب غشاوة كانت ترين على حياتها ، فانطلقت « فاطمة » بنت مراعى آسيا وربيبة الخيول والهجرة والكفاح تستعيد ماضيها العتيق وتلتف حول راية الزعيم كمال كما التفت جداتها حول راية الزعيم ارطغرول

فكيف يزعمون أن فاطمة كانت في عالم الحریم اسيرة ذليلة مكسورة الجناح ؟ إنها لم تدخل عالم الحریم قط ، وإنما دخلته الجوارى الشراكسيات واليونانيات وكل من اشتراهن الخليفة وحاشيته بالمال

وكيف يقولون إنها كانت محجة ثم أمعت في السفور بمجرد اعلان الجمهورية ؟ إنها لم تعرف الحجاب قط منذ انحدرت من مرتفعات آسيا الى الأناضول

ولماذا يعجبون اذا منحت الحرية المطلقة ونالت حق الانتخاب قبل أن تناله معظم نساء أوروبا ، وساهمت في الوظائف والاعمال التي كانت حكرا للرجل ؟ إنها كانت تتمتع بكل هذه الحقوق في نجاد آسيا ووهادها . وكل ما جد في الأمر هو أن زعيم القبيلة كمال تذكر هذه الحقوق فتشبه بالزعيم ارطغرول ولم يتف حجر عثرة في سبيل فاطمة

كل ما يخيل للناس أنه جديد في حياة فاطمة قديم موغل في القدم . ولعل الشيء الوحيد الذي يتخذ طابع الجدة هو أن الدائرة تدور كما تدور الرحي فتطحن من قشور العهد البائد ما يخول دون ظهور اللباب التركي الأصيل

الرحي تطحن الحجاب الذي يستر وجوه أقلية الفواطم ، وتطحن من تقاليد الحجاب ما لم تألفه فاطمة بنت مراعى آسيا ، ومن عالم الحریم ما يندى له جبين الانسانية خجلا ، ومن جمود العهد البائد ما يعطل نصف الجسم التركي ويشل حركته ، حتى إذا ما تمت عملية الطحن برزت فاطمة الى ميدان العمل ، واحتلت في حياة الترك مكانها القديم ولبست القبعة اسوة بالزعيم

وكال زعيم القبيلة الأكبر رجل عول على هدم صروح العهد البائد والقضاء على خلفاته في الحياة التركية الاجتماعية فهدم وقضى على سائر المخلقات . ثم رأى ان يعمن

في الثورة الاجتماعية الكبرى ويقفز بها قفزات جنونية تدفعها الى الامام ، حتى اذا ما هدأت ثائرة النفوس عادت القهقري قليلا واستقرت في الوسط ، وظلت كذلك أبد الأبدين

لذلك نراه يدفع فاطمة الى عالم الرقص الجنوني - فترقص فاطمة ما شاءت وشاء لها الزعيم أن ترقص ، وتخاصر الرجل على نغمات « التانجو » و « الفوكس تروت » كما خاصرته على نقرات الطبل وهتافات الناي والمزمار من قبل ، وانك لترى عدداً من الفواطم يترددن في مخاصرة الضباط الترك في حفلة راقصة أقامها الزعيم في منزله المشرف على انقرة ، فيدنو منهم الزعيم ويخاطب الضباط على مسمع منهم بصوت يتهيج من فرط الغضب : « هذا أمر عسكري وليس مجرد لهو أو دعاية . تفرقوا في صالة الرقص واخلصوا من شتم من النساء . . هيا . . الى الأمام . . مارش ! » وسرعان ما تلبى بقية الفواطم أمر الزعيم . .

وبعد بضع سنوات :

الثورة الاجتماعية التركية قفزت الى الأمام قفزات جنونية . ثم تراجعت إلى الوراء قليلا فاستقرت حيث شاء الزعيم ، وحيث تتخذ فاطمة في تركيا الجديدة مكان جدتها القديم في الخيام المتطايرة فوق مراعى آسيا

وبعد احتلال فاطمة مكانها القديم :

« القتال أولا . وبعد أن تضع الحرب أوزارها مارسوا في عالم السلم حياة السلم : فالبسوا جيذاً ، وكلوا جيذاً ، وثقفوا عقولكم ثقافة حرة ، ومارسوا من الاعمال أدومها واذهبوا في أوقات الفراغ الى المتاحف ودور السينما والتمثيل والمراقص ، واطربوا ما شاء لكم الطرب »

تلك رسالة الزعيم كمال ورسالة الجمهورية

القتال أولا . ثم العمل الحر ، والثقافة الحرة ، والاهو البريء الحر

وكل شيء الآن على نقيض ما كان في العهد البائد :

ففي عهد السلطنة والخلافة لم يكن ثمة من الفنون أو النشاط الفني إلا أقله . وهذا القليل كان حكراً لحليفة المسامين وقصور خليفة المسامين وباشوات خليفة المسامين

أما الآن فهذه القصور تصبح متاحف عامة أدخلها أنا وتدخلها أنت ويدخلها فلاح الأناضول ليغذى عقله وروحه بما أبدع الفنان من روائع الآيات الفنية والرحى تطحن من قيود العهد البائد ما كان يشل الحركة الفنية . فإذا ما فرغت من طحنها رأينا عالماً جديداً فيه فن حر وثقافة فنية حرة : فالمناثيل تقام في استامبول وانقرة وغيرها من كبريات العواصم . واللوحات الفنية تراها في كل مكان . والسنيما تارسها الأتراك ويتذوقونها . والممثل يبعث من جديد . وفاطمة تظهر على الشاشة البيضاء وعلى خشبة المسرح . والأناشيد الوطنية تلحن . وقيود الفن الشرقي يتخطاها التركي الذي لا يعرف التعصب . وثمة أشعة من الفن الغربي تشرق على الفن التركي فتتألف من الفنين ذات فنية مستقلة رائعة في جمالها ، رائعة فيما توقظه فيك من الروح الفتي الوثاب

الذئب أمام السبورة

الزعيم يقول إن الحروف العربية ليست من تراث القبيلة التركية . ثم انها مظهر من مظاهر العهد البائد : عهد الثقافة العربية والمدنية الاسلامية . وهي فوق ذاك - غل من الأعغال التي طالما قيدت الترك وملأت عقولهم بما ليس تركياً وكال يعرف أن أفراد قبيلته لا يتعصبون لشيء إذا فرض عليهم زعيمهم تقيضه ، فهو لذلك لا يتردد في التصريح برغبته في نحو الحروف العربية واستبدالها بحروف لاتينية

ثم ان الحروف العربية - بعد - صعبة معقدة . وقراءتها قراءة صحيحة تستلزم الاحاطة بقواعد اللغة احاطة لا تتيح لكل متعلم . ولعلها في اللغة العربية أسهل منها في اللغة التركية حيث تسجيل القراءة والكتابة بها قبل ثلاث سنوات على اقل تقدير وهناك حروف عربية كانت تستعمل في لغة الأتراك استعملات عجبية : فحرف الكاف مثلاً ينطق (كافاً) إذا كتب بدون ملحقات ، وينطق (نونا) إذا وضعت فوقه نقطة ثلاث وينطق (كافاً) معطشة إذا وضعت فوقه شرطتان . .

وعند جمع الحروف في الطباعة تجد حرف (الفاء) مثلاً يكتب (ف) في أول الكلام ، (هـ) في وسط الكلام ، و (ف) في آخر الكلام . .

فلماذا تتحمل القبيلة التركية كل هذا التعقيد من حروف ليست من تراث آبائهم
الاولين في مراعى آسيا ؟

ثم ان معظم الشعوب التركية الاسيوية نبذت الحروف العربية منذ أعوام واستبدلت
بها الحروف اللاتينية ، فلماذا لاتكون تركيا مثلها ؟ ولماذا لاتمهد تركيا - باتخاذ الحروف
اللاتينية - لذيوع الثقافة التركية وامتدادها من مياه الدردنيل الى مياه المحيط الهادى ؟
« زعيم القبيلة الأكبر » يقلب الأمر على وجوهه أمام أفراد قبيلته فيرون معه أن
الغنم فى الحروف الجديدة ، وأن الغرم كله كان فى الحروف القديمة

وهو يجلس فى منزله انشرف على انقرة وأمامه مائدة عليها كتب وتقارير كتبها نفر
من الاختصاصيين فى شئون الحروف الجديدة ، فيدرسها ويغير فيها ويبدل كما كان يفعل
وهو جالس إلى خريطة تركيا الكبيرة وقد تراشقت فوقها الأعلام الصغيرة
ويظل فى عزله هذه أياما يعد فيها خطة الهجوم ، ثم يظهر بفتة ، ويسافر الى
استامبول فى صيف سنة ١٩٢٨ - لأول مرة بعد أن غادرها هو ورأفت عقب
الاحتلال المشؤم . .

وفى استامبول يحيى الاتراك زعيمهم أروع تحية ، ويستقبلونه بمواكب تاريخية
تتضاءل أمامها مواكب رأفت التى شهدناها من قبل ، ويجتمع سكان العاصمة حول
كمال الذى انقذ الوطن ورفعته الى مصاف الدول الكبرى هاتفين مهللين ، فيمر
خلال هذه المواكب وتحت أقواس النصر باسماء مسلمان على الناس سعيداً بما قدمت يداها

قصر « ضوله باغجه » الجليل . مثنى سلاطين آل عثمان
القاعة الكبرى لا تزال كما كانت فى عهد عبد الحميد . وذئب انقرة واقف أمام
الناس كما وقف عبد الحميد ووحيد الدين ورشاد وعبد الحميد من قبل
وأمام الذئب سبورة سوداء ، وطباشير ، وطلاسة . .
والقاعة تزخر بمئات من المدعوين . فيهم الشاعر والأديب والعالم والصحافي والنائب
والتاجر والصانع والزارع والمعلم والطبيب والمحامى والقاضى . .
الجميع صامتون كأن على رؤوسهم الطير فى انتظار أوامر الزعيم
وسرعان ما يتكلم الزعيم . فيعلن فى خطبة وجيزة نبذ الحروف العربية واستبدالها
بالحروف اللاتينية ، ثم يقف أمام السبورة ويشرع فى كتابة الحروف الجديدة بخط

واضح جميل ، وينطق بكل حرف عقب كتابته بصوت جهورى رنان
وبعد بضع دقائق يتم «درسه» الأول ، ويشرع فى تطبيقه على الحاضرين ، فيدعو
أناساً منهم حيناً اتفق ، ويطلب منهم كتابة اسمائهم بالحروف الجديدة ، فيكتبونها
بسرعة !

عجباً . . ان هذا الدرس كان يستغرق أياماً فى عهد الحروف العربية . . والحاضرون
يبحث فيهم الزعيم من روحه فيتحمسون للحروف اللاتينية ، ويصفقون ويهتفون . .
وفى الايام التالية :

الزعيم فى كل مكان فى العاصمة . فهو فى القصر يعلم الناس . وهو فى الطريق
يعلم الناس ، وهو فى المساجد والتهوات ودور اللهو وصالات الرقص يعلم الناس
هوذا يمر فى طريقه بمجموعة من الجمالين أو العمال ، فيدعو أحدهم ويسأله :
— هل تعلمت الحروف الجديدة يا صاح ؟
فيجيبه الجمال أو العامل سلباً . .

فيخرج ورقة من جيبه وقلماً رصاصاً ويظل يعلمه الحروف اللاتينية حتى يحيدها
فى بضع دقائق . .

هوذا يدخل احدى الصالات باسم النغر وافر النشاط فلا يرقص مع الراقصين
بل يصيح فى وسط الصالة :
— قفوا . . ! كفاكم رقصاً . .

فيقف العزف ويحمد الراقصون فى أماكنهم . فيحمل اليهم سبورته السوداء
وطباشيره ويلقى عليهم « درسه » المعهود ، فيتعلمون الحروف الجديدة ، ثم يعاودون
الرقص من جديد !

ثم يزور منطقة « جناق قلعة » حيث دحر الانجليز ، ويرفع سبورته السوداء
حيث نصب مدافعه من قبل ، ويظل يعلم الناس حتى يقرأوا ويكتبوا فى بضعة اسابيع .
وانك لتراه ثمة والابتسامه لا تكاد تغادر شفثيه ، فتسنى ذئب انقرة الى حين وتطبع
فى صفحة ذهنك صورة « المعلم الأكبر »

أنه يتسم . . ويضحك . . ويقهقه كلما رأى أحد الفلاحين يتعثر فى كتابة الحروف
الجديدة . انه « يقفش » للناس « قفشات » ظريفة ، فيعجب الحاضرون بيديته
الحاضرة وروحه الخفيفة . وفى هذا « القفش » والضحك يساهم الناس ، ويتعلمون !

وفي نوفمبر سنة ١٩٢٨ يخطب في المجلس الوطني الكبير فيحض الناس على تعلم الحروف اللاتينية ، ويقول إنها السبيل الوحيد إلى القفز في طريق الثقافة العصرية ثم يصدر قانون الحروف الجديدة فتتعرض الحروف العربية . . وكل شيء يطبع بالحروف اللاتينية . والصحف تصدر بها . والناس بها يتراسلون . والموظفون الذين لا يجيدونها من وظائفهم يفصلون . وفلاح أتقرا يتعلمها في يوم ، ويقرأ بها ويكتب في بضعة أيام !

وهي تصبح « مودة » العصر . والترك يتهافتون عليها في شوق إلى العلم ولهفة إلى الثقافة . وحتى الأجانب يتعلمونها ويدرسون بها اللغة التركية ليكتبوا بها عرائضهم وحساباتهم الجارية

كان أقل من ١٠ ٪ يقرأون ويكتبون في عهد الحروف القديمة . فأصبح أكثر من ٩٠ ٪ من الترك الآن يقرأون ويكتبون !

وكان الخاصة من الناس يتعلمون . فأصبح الناس كلهم يتعلمون الآن « بالجملة » ، فقد دفعهم الزعيم الى المدارس « بالجملة »

دفعهم بأمر عسكري لبوه في حماس . فهل يلام أحد بعد ذلك إذا سماه « رئيس أركان حرب التعليم والثقافة » ؟ !

وبعد ذلك كل شيء يجب أن يكون تركيا :

فالكلمات العربية والفارسية المندسة في لغة الترك يجب أن تستبعد ، واللغة التركية يجب أن تعود إلى عهد القبيلة

والقرآن الكريم يترجم إلى التركية ليفهمه الناس

والأذان وخطب الجمعة تتلى بالتركية

والشركات الاجنبية يجب أن تكون تركية الصبغة ، وأن توظف الاتراك ، وأن

تكتب حساباتها بلغة الترك ، وإلا فالطرء !

والحامون والاطباء والعلمون والمهندسون وكل ذى حرفة يجب أن يكون تركياً

والضرائب الفادحة تفرض على كل ما ليس تركيا من السكاليات والضروريات

والتقويم الجريجورى يحل محل العربي

والساعات العربية تحل محلها أختها الافرنجية

وفي يوم العطلة الرسمية يجب أن تغلق البنوك والشركات والمتاجر ، فإذا شاء
الاجانب أن يحتفظوا بأيام أخرى لعطلتهم بعد ذلك فلهم ما يشاءون ، ولكن بعد
احترام عطلة البلاد الرسمية !

والمدارس الأجنبية يجب أن تمحو معالم الدين المسيحي من برامجها . وأن توظف
نسبة محسوسة من المدرسين الترك . وأن تعلم اللغة التركية كلغة أساسية ، والتاريخ
والجغرافية التركية ومعظم المواد الدراسية باللغة التركية . .

وبعض المدارس تحاول التلصص من يد الترك الحديدية ، فيصل نظارها إليها في
الصباح فيجدونها مغلقة ومختومة بالشمع الأحمر ، فالزعيم جاد لا يهزل !
ولا تنقضي بضعة أشهر حتى تتبرم معظم المدارس الأجنبية باليد الحديدية ، فتشد
الرحال إلى بلادها غير مأسوف عليها ، وسرعان ما تحتل المدارس التركية أماكنها

وبعد بضع سنوات :
كل شيء أصبح تركياً ، حتى الأسماء !
الزعيم يسمى الآن « كمال أتاتورك » *
ورئيس وزرائه يسمى « عصمت اينونو »
وزير خارجيته يسمى « رشدي آراس »
وأفراد قبيلته يسمون « كولچاق » و « كورخان » وما أشبه من الأسماء
التركية القديمة

والمرأة التركية تسمى « بايان فلانة » بدل « فلانة هانم »
والرجل يسمى « باي فلان » بدل « فلان افندي »
والألقاب كلها تلغى : فلا « باشا » ، ولا « بك » ولا « غازي » . . .

وتركيا الجديدة تقوم على أنقاض الماضي المقرض فتيحة
وكل شيء فيها يتم بما يشبه المعجزات ، ولا عجب فالزعيم يأمر ، والقبيلة تطيع !

* كان اسمه مصطفى . وأطلق عليه اسم « مصطفى كمال » أحد مدرسيه في مدرسة سلاتيك
الحرية . أما الآن فقد اقتصر على كلمة كمال - ومعناها بالتركية « القلعة » وأضاف إليها لقب
« أتاتورك » - وهي كلمة تركية معناها « أبو الأتراك »

وأنقرة : القرية الحقيرة التي شرع كمال يؤسس فيها جمهوريته ، والتي كانت عبارة عن بعض أكواخ صغيرة ومنازل حجرية منفرة يشرف عليها منزل الزعيم من عل ، والتي كانت تحيط بها المستنقعات وتسمم هواءها الأوبئة ، والتي تحيط بها المراعى

أنقرة هذه أصبحت عاصمة عظيمة يحق للترك أن يفتخروا بمبانيها الضخمة وميادينها الجميلة وتمثيلها ومدارسها ومستشفياتها ومصارفها ودور وزاراتها ومعاهدها

ولطالما نصح المهندسون والفنيون لكمال بنبذ هذه القرية الموبوءة لاستحالة تحويلها الى عاصمة كبيرة ، فلم يعبأ بهم كمال وأمر فردمت المستنقعات ، وأمر فطهر الجو من الجراثيم والأوبئة ، وأمر فزرعت الأشجار والحدايق ، وهنا أكد الزراعيون استحالة نمو هذه الاشجار ، ولكنها نمت - وما زالت تنمو - وانك لترى أنقرة الآن تكتنفها أشجار باسقة بديعة !

وفي أول الأمر رفض سفراء الدول الأجنبية أن ينتقلوا الى العاصمة الجديدة ، وألحوا في ضرورة البقاء في استامبول ، فأبى الزعيم إلا أن يقيموا في العاصمة ، خفاء وها بعد تمرد واحتجاج ، وما زالوا فيها مقيمين

القوانين الجديدة

ليس الانقلاب الذي أوجده الزعيم ثورة على القديم وحسب ، ولاهدما وحسب ، بل هو خلق جديد وبناء

والزعيم يود أن تكون الرابطة التي تشمل الاتراك هي « القومية التركية »

لا الجامعة الدينية أو المذهبية

والآن وقد غير وبدل ، وهدم وبني ، وجعل كل شيء تركيا ، بقي عليه أن يوحد القوانين بحيث تكون صورة مجسمة لحاجات العصر ومشاكله التي تتغير وتزداد تعقداً في كل يوم

والزعيم لا يؤمن ببقاء شيء واحد على حاله . ونظرته الى الحياة نظرة عملية حساسية . وهو لا يهاب التعرض لاقدس ما في الحياة بالتغيير والتبديل . لذلك نراه الآن متحفزاً لوثبة سوف تقلب قوانين البلاد رأساً على عقب ، ثم توحيدها في شكل قانون واحد يجمع ما بين القوانين الاوربية وحاجات الترك

وللزعم أنصار خارق ذكاؤهم حديدية ارادتهم . وهو الآن يأمرهم بالاستعداد
للاقلاب المنتظر ، فيستعدون ، ثم يأمرهم بأعداد القوانين الجديدة ، فيعدون قانونا
مدنياً مقتبساً من القانون المدني السويسرى ويطرحونه أمامه ، فيعدل فيه قليلا
ويطرحه على المجلس الوطنى الكبير ، فيقبله المجلس فى ابريل سنة ١٩٢٦ . ثم يعدون
قانونا جنائياً مقتبساً من القانون الجنائى الايطالى ، فيعيد اليه عقوبة الاعدام ويطرحه
على المجلس ، فيقره فى أول يولييه سنة ١٩٢٦ . ثم يعدون قانونا تجاريا هو مزيج من
القوانين التجارية الالمانية والفرنسية والايطالية ، فيوافق عليه المجلس فى ٤ اكتوبر
سنة ١٩٢٦

وبذلك تصبح القوانين التركية خلاصة باهرة لاحسن القوانين العالمية ، وصورة
حية للمدينة الاوربية ، مدينة القرن العشرين
بل إن القوانين التركية تصبح أوفى وأرقى من قانون أية دولة أخرى ، لانها
خلاصة سائر القوانين ، ولان فيها من كل قانون أحسنه
وبذلك تزول الى الابد فوضى القوانين القديمة ، ويزول القانون الشرعى
والحاكم الشرعية ، ويزول شبح الامتيازات والحاكم المختلطة والقنصلية والمالية ،
فالأجانب الذين كانوا يرفضون التقاضى أمام المحاكم التركية الشرعية ، أصبحوا الآن أمام
محاكم قوانينها خير من قوانين بلادهم ، فكيف يرفضون التقاضى فيها ، وكيف
يستهنونها بعد الآن ؟

يعجبني والله هذا الزعيم ! . . .

فهو لم يشفق على القوانين القديمة ولم يعد الى تعديلها أو ترميمها ، بل طحنها وأقام
على انقاضها القوانين الأوربية . ولو أنه لم يفعل ذلك ما اطمأن الاجانب قط الى الغاء
الامتيازات فى تركيا

ثم انه - وهو الهدام البانى - يضرب للاتراك مثلاً جديداً فى وجوب التحرر من
القديم النخر جملة ، واعتناق كل ما هو جديد صالح دون التفكير فى التعديل أو
الترميم أو الترقيع . وهذا الروح الهدام البانى هو الذى أتاح لتركيا الجديدة هذا
القفز الجبار فى عالم المدينة الحديثة

وفى سنة ١٩٢٧ نرى الزعيم على منبر الخطابة ستة أيام متوالية ألقى خلالها خطبة

واحدة ! وهذه الخطبة هي التاريخ المفصل للحركة الوطنية التركية
في هذه الخطبة نسمع الزعيم يتحدث عن مسألة الدين ، ونراه يصف حديثا
جرى بينه وبين أحد الصحافيين في « ازميت » ، اذ يقول له الصحافي :
— ماذا سيكون دين الدولة الرسمي ؟
فيقول كمال :

— يوجد دين ياسيدى هو الدين الاسلامي
ثم يردف ذلك بقوله :

— والدين الاسلامي يضمن حرية الفكر . .
فيسأله الصحافي :

— هل يفهم من ذلك أن الحكومة ستدين بدين من الاديان ؟
فيجيبه كمال :

— لا أدري هل ستدين أم لا تدين . .

ثم يخرج كمال من هذا الحديث الى مسألة الدين والدولة ، ويشير إلى مادتين في
الدستور التركي تنص إحداهما - وهي المادة الثانية « على أن الاسلام هو الدين الرسمي
للدولة التركية ، واللغة التركية هي لغتها الرسمية ، وانقرة العاصمة هي مقرها » ، وتنص
الأخرى - وهي المادة السادسة والعشرون - على أن « تنفيذ الأحكام الشرعية » من
واجبات المجلس الوطني الكبير

فيقول : « هاتان المادتان لا تتفقان مع شخصية الدولة التركية الحديثة وادارتها
الجمهورية العصرية ، ولم تر بأسا في بقاءهما إذ ذاك . على أن الأمة يجب أن تقطع هذه
الزوائد في أول فرصة مواتية ! »

ولا يكاد ينقضى عام واحد حتى تزول جملة « الاسلام هو الدين الرسمي للدولة
التركية » من المادة الثانية ، وحتى ترفع جملة « تنفيذ الأحكام الشرعية » من المادة
السادسة والعشرين !

ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يقسم النواب « بشرفهم » بدل قولهم « والله » ،
وكذلك يفعل رئيس الجمهورية في قسمه

أما الأوقاف الدينية فقد أصبحت « وقفا مليا » توزع الحكومة ريعه على الجمعيات
الخيرية والبلديات والمستشفيات ، وكان من قبل يوزع على التكايا والدرأويش الثملين

المرتكبين الذين يرقصون على ضرب الدفوف ويدورون على أعقابهم كما يدور
« المكوك » !

وإذا سألتني عن رأيي في هذا الانقلاب العظيم ، قلت لك إنه خير ما فعل كمال
لزعيم ، فالحكومة العلمانية تقضى على آخر مظهر من مظاهر التعصب الديني الذي
كانت أوروباً ترفع لواءه في وجه الأتراك كلما حاولوا النهوض والتقدم . وكلمة « علماني »
لا تؤدى معنى « لا ديني » ، بل تعني أن الحكومة التركية لا تؤثر ديناً من الأديان
على غيره . أما الشعب التركي فله دينه الإسلامى ، وللاقلية الأخرى . والجميع
يعيشون في سلام ووثام تظله حكومة متسامحة . والمساجد والكنائس عامرة والمجد لله
بالمصلين المتجهدين . وقد شهدت ذلك عندما كنت في تركيا وابتغيت أن تديننا نحن
لا يكاد يذكر إلى جانب تدين الأتراك . وشهد بذلك كل من زاروا تركيا من أنصار
الجمهورية وأعدائها

القلم والمهنة

« أيها المعلمون !

سيكون الجيل القادم أثراً من آثاركم الجليلة . وعلى قدر مهارتكم وتضحياتكم
سيكون هذا الأثر . ان الجمهورية تطلب رجالاً قادرين هم خلاصة الانسانية فكراً
وعلماً وجسماً . وهذا الذى تطلبه الجمهورية في أيديكم . ان المعلمين - والمعلمين
وحسب - هم الذين ينهضون بالأمم . . فالى الامام . . الى الامام . . ودائماً الى
الامام . . ! »

تلك كلمة الزعيم الذى سميناه من قبل « رئيس اركان حرب العلم والثقافة »

وعلى هذا النمط يسير التعليم في تركيا بالجملة

والشباب التركي المتعلم يصحح صورة حية لتركيا الجديدة الوثابة ، وكثيراً ما كنت
أقضى معه أياماً متواليات أقبله على وجوهه فلا أرى الا الذكاء والعلم والتأهب للحرب .
فهو يحمل القلم في شهور الدراسة ، والسيوف والبندقية والمسدس والمدفع في العطلة
الصيفية

حدثني أحدهم ، قال :

« لا تكاد تنقضى أيام الدراسة حتى يصدر إلينا الأمر بالتوجه إلى المعسكر . فنذهب إليه حيث نلبس ثياب الجنود ونشرع في التمرين على إطلاق الرصاص »
« وحياتنا في المعسكر حياة الجندي المتأهب للقتال . نقوم مع الشمس على هتافات البوري ، وينام في الليل فريق منا ويحرس النائمون فريق . وفي كل يوم تلقى علينا محاضرات في أصول الحرب الحديثة . في الحرب البرية والبحرية ، والجوية . . في البنادق ، والمسدسات ، والمدافع ، والسيوف ، والخيول ، وعربات الحرب ، والتانكس ، والغازات السامة ، والغازات المحرقة . . .

« وفي ختام مدة التمرين يقف أحد كبار الضباط فينا خطيباً ويقول : أتم تسيرون الآن على أرض تعرفون أنها لتركيا ، أما نحن فلم نكن في زماننا نعرف أنها للاتراك . وأتم ترون الراية الحمراء ترفرف فوق قلاعكم ، أما نحن فكنا نرى رايات الأعداء فوق قلاعنا . تلك مفاخر تركيا الجمهورية ومفاخر الزعيم . . فاهتفوا معي : لتحيي الجمهورية ، وليحيي الزعيم ! »
أما الزعيم فقد قال لهم من قبل :

« يا شباب الترك !

« واجبك الأول الحرص إلى الأبد على الاستقلال التركي والجمهورية التركية والدفاع عنهما

« هذا هو الأساس الوحيد لكيانك ومستقبلك . وهذا الأساس هو أنفس ذخر من ذخائر . وقد تصطدم في المستقبل بأصحاب الأغراض الدنيئة في الداخل والخارج ممن يحاولون حرمانك من هذا الذخر ، فتضطرك الحالة في يوم ما إلى الدفاع عن الاستقلال والجمهورية . . فعليك ألا تفكر إذ ذاك في الظروف المحيطة بك وهل هي موالية أو غير موالية . .

« وقد تبدو الظروف المحيطة بك في مظهر لا يدعو إلى الارتياح . . وقد يكون الأعداء الذين يحاولون المساس بجمهوريتك في مظهر يدل على أن العالم أجمع قد تألب عليك لتهربك والقضاء عليك . . وقد تتطلع فيما حولك فتري أن قلاع وطنك العزيز قد سلبت ، وأن العدو يحتل جميع موانئك ومرافئك ، وأن الجيش قد تبدد وأن الاحتلال العسكري قائم في كل ركن من أركان البلاد . . وقد ترى فوق هذا

وذلك ما هو أدهى وأمر : قد ترى أن أصحاب النفوذ والشخصيات الكبيرة في غفلة وضلال . . بل قد يتردون في مهاوى الخيانة . . وقد تراه يظهرون العدو المحتل ويسهلون له مآربه السياسية ليسهل لهم بدوره مصالحهم الشخصية . . وقد تكون الأمة في فقر وضنك منهوكة القوى قائمة فوق أنقاض الحراب . .

« أيها الشباب التركي . . يا ابن تركيا العتيد . . قد ترى كل ذلك ، فواجبك في كل هذه الحالات أن تعمل على انقاذ بلادك واستخلاص استقلالها وجمهوريتها من مغالب الأعداء . ولا تبخلن عن القوة فهي كامنة في دمايك الأصلية التي تجري في عروقك ! »

ومن هذا الشباب يتألف الجيش التركي : جيش محمد الفاتح وسليمان القانوني وسليم ، جيش الامبراطورية العثمانية الذي دوخ العالم وكان يقاتل على أبواب فينا وفي قلب روسيا وعلى حدود الهند وفي الحجاز واليمن . . الجيش الذي كان ينشده نابليون ليفتح به الدنيا بأسرها . . وأخيراً جيش كمال في غاليلوى وسقاريا !

هذا الجيش أصبح الآن لتركيا ، وتركيا وحسب ، والشتات القديم أصبح مركزاً داخل حدود الترك الجديدة ، لذلك تراه قطعة واحدة تسور قبيلة كمال أناتورك بسور من الفولاذ

وكال داهية الحرب يعرف جيشه من ألفه الى يائه ، ويعرف جيوش العالم وما نحمله من سلاح وأدوات جهنمية ، فهو لذلك جهنمى في استعدادة للحرب ، جهنمى في اشرافه على الجيش ، جهنمى في كل ما يمس سلامة الوطن !

وكأنى أراه الآن في الحرب المقبلة - لا قدر الله نشوبها - جاثماً فوق أرض بلاده وأمامه خريطتها وفوقها الاعلام الصغيرة . . كأنى أراه وهو يديز الحرب بأعصاب من حديد . . كأنى أراه يؤدى ضريبة الحرب الى عزرائيل دون كلام أو تردد ، فأرى ذئب غاليلوى وسقاريا . . أراه كما كان وحيثما كان حديداً جليداً . . .

هل أفلس النعيم؟

وعلى حين غرة ، ودون سابق انذار ، تقف الدائرة وتثوب الدوامة الهوائية الكبرى الى سكون لا عهد لتركيا به منذ سنة ١٩١٩

ولا يكاد الناس يتقدرون على الوقوف على أقدامهم من هول السكون المفاجيء ،
بعد الانطلاق الطويل مع الدائرة التي كانت تدور ، وتدوى وهي تدور
ماذا حدث ؟

هل قضى « زعيم القبيلة الأكبر » نجه ؟
كلا . انه مقيم في حدائق « يالوفا » بالقرب من استامبول . وإنه سعيد بالمقام
هناك حيث الهواء والماء والطبيعة الحسنة
إذاً ماذا جد في الأمر ؟ هل تعطل الجهاز الجبار ذو الأذرع الست ؟
كلا . فالجهاز كان لا يزال دائراً الى ساعة قريبة . .

كنت في تركيا إذ ذاك . وأشهد انى كنت أنسأل مع المتسائلين ، وأذهل مع
الداهليين ، حتى مرت أيام سمعنا فيها ما سمعنا من حدوث حدث طارىء ، ففهمت السر
في هذا الوقوف المفاجيء :

« زعيم القبيلة الأكبر » كتلة من الحديد والجليد تركزت فيها خلاصة ما في دم
التركي من كفاح ودهاء . وهو في هذا الصيف (صيف سنة ١٩٣٠) يريد أن
يضرب لأفراد قبيلته المثل المادى على أنهم في داخل الدوامة الكبرى خير مما كانوا في
العهود المنصرمة ، فهو لذلك يمد يده الى الجهاز ذى الأذرع الست فيوقفه عن الحركة ،
ثم يقوم من مقعده في مركز الجهاز في أنقرة وينزل في قصر في « يالوفا » حيث ينسج
خيوطه استعداداً لضرب المثل

ولقد سمعت - وأنا مقيم في استامبول - نقرأ من الرجعيين يقولون ان وقوف
الدائرة دليل على افلاس الزعيم وإفلاس فلسفته التي قامت عليها الدائرة والجهاز ذو
الأذرع الست . فكنت أسخر من أقوالهم وأقول : « انتظروا فعما قليل تتجلى لكم
حقيقة الزعيم » . فيقولون : « لقد انجلت الحقيقة منذ أسابيع ، إذ بعث فتحي بك
سفيرنا في باريس الى كمال خطاب احتجاج طويل يعلن على عصمت فيه حرباً شعواء
وينعى على الحكومة عجزها عن ادارة البلاد وسيورها بها الى وهدة الافلاس والدمار .
فماذا تقول بعد ذلك ؟ » فكنت أقول لهم : « انتظروا .. فالزمن وحده كفيل باظهار
زعيمكم على حقيقته »

وكنت وأنا في استامبول لا أخفى اعجابى بهذا الزعيم الداهية الذى أوقف الدائرة
وكأنه أفلس حقيقة ، واستدعى فتحي من باريس وكأنه أصاخ السمع الى احتجاجه

الطويل ، وهدد عصمت بانقضاء أجله السياسى وكأن عصمت لم يعد يصلح لشئون الحكم . . .

أجل كنت أعجب بهذا الزعيم ، وكان اعجابى به يزداد كلما تصورت الخطر الجاثم فوقه وهو بعيد عن مركز الدائرة ، هذا الخطر الذى يدركه كل من يدرس حياة الأتراك ويعرف أنهم لا يتعصبون لشيء ولكنهم ينقلبون مرده وشياطين اذا لم يروا « زعيم القبيلة » أو دائرته التى تدور فتشملهم فى دوائها الكبرى

ولكن مصطفى كمال لا يهرب شيئاً . وهو فى انسحابه هذا من مركز الدائرة انما يعتبر نفسه فى « عطلة صيفية » سوف يقضيها فى حدائق « يالوفا » الغناء ناعم البال هادى الاعصاب ، فاذا ما تطورت الأمور تطورها المنتظر الخطير فليس أسهل عليه من العود الى الذئب ونظرات الذئب النارية ، ثم الجلوس فى مقعده فى مركز الدائرة لتعاود دورانها من جديد !

أجل والله . . هذا مصطفى كمال الذى تصورته وأنا على ضفاف البوسفور فى صيف سنة ١٩٣٠

وبهذا الروح يجلس كمال فى حدائق « يالوفا » ليستمع الى نقاش حاد بين فتحى وعصمت :

فهذا سفير تركيا فى فرنسا يهول من شأن المأساة التركية الكبرى التى وضع عصمت فصولها بحماقة وجهله وتعصبه ، وها هو ذا الفصل الاخير من المأساة يوشك أن يختم بفاجعة دونها فواجع العهد المنقرض . .

وهذا عصمت : رجل الحديد والنار يجلس صامتاً لا يتحرك . فاذا استفزه كمال وطلب منه الدفاع عن نفسه نراه يقول بيروده المعهود : « ليس هذا مكان النقاش فى شئون الحكم ، فهناك مجلس نيابى تدور المناقشات بين جدرانه . فليبرز فتحى أو من شئت غيره الى الميدان ، وليحملوا على عصمت ما شاءوا من حملات ، وعلى عصمت بعد ذلك أن يدافع عن نفسه . . »

كلام معقول يقبله كمال ، ويقبله فتحى أيضاً

فيخطو كمال خطوته الثانية إذ يعلن على الملأ أنه راض عن فتحى ولمعارضته الجديدة بمجد متحمس ، فعلى من شاء من أفراد القبيلة أن ينضم الى حزب فتحى

الجديد ، وله بعد ذلك أن ينتقد الحكومة كما يشاء وتتطلب مصلحة الوطن
ثم يأمر أخته « مقبولة » ونفراً من أقرب المقربين اليه بالانضمام إلى الحزب
الجديد ، فينضمون اليه طائعين ، ويتحمسون لمبادئه طائعين أيضاً !
وأفراد القبيلة الذين انقلبوا الآن مرده شياطين ينشطرون فريقين : فريق
متحمس لعصمت جداً ، وفريق متحمس لفتحي جداً

ثم يخطو كمال الخطوة الثالثة :
فترى في أزمير أول حفل سياسي حر عرفته تركيا منذ بدأت الدائرة تدور ،
وزرى الناس يهرعون الى حيث وقف فتحي يخطب في زرافات متحمسة تشهد في
أعينهم لحات من التمرد والثورة
ويخطب فتحي ، فتطلق السهام من فمه وتكاد تصيب كبد عصمت
ويخطب عصمت ، فتطلق السهام من فمه وتكاد تصيب كبد فتحي
وتصفق الجماهير وتهلل لهذا أو ذاك . وتتعالى الهتافات الودية والعداوية . وتنطلق
المظاهرات في طرقات أزمير وما حولها صاحبة نائرة ، ترفع هذا الى السماء وتهوى
بذاك الى الحضيض

ثم يخطو كمال الخطوة الرابعة :
نحن الآن في أنقرة ، في المجلس الوطني الكبير
كمال لقن كلا من عصمت وفتحي درساً في آداب المناقشة ، فهما على منبر المجلس
عدوان لدودان ، وفي خارج المجلس صديقان متصافيان . . .
وهذا الدرس بعينه يلقي على سائر النواب بطريقة غير مباشرة
ثم يجتمع المجلس للنظر في خصومة رجل الساعة
فيقف فتحي وأعضاء حزبه الجديد فوق المنبر ويوجهون الى حكومة عصمت
قارص الكلام ، ويتهمونها بأنها أوشكت بالبلاد على الافلاس والخراب : فهذا التعصب
ضد الاجانب ما معناه طالما أن البلاد في حاجة إلى رؤوس الأموال الاجنبية ؟ وهذا
النظر الضيق ماذا نسميه ان لم يكن غباء وسيراً بالحكومة الى شرفة الهاوية ؟ وهذه
السكك الحديدية التي تمدّها الحكومة ما لزومها إذا كانت لاتغل ربحاً ولا تجدي فتيلاً ؟

وهذا الاحتكار لسائر موارد البلاد ما الداعى له بعد أن تبين للناس أنه العلة في كل هذا البلاء ؟ وهذه اليد الحديدية التي تكم الأفواه وتخنق الأنفاس ما خطبها ونحن نعيش في عصر الحرية ؟ وهكذا حتى يخرج الناس من تسلّم الحملات بأن عصمت رجل خائن يجب التخلص منه ومن يده الحديدية بأسرع ما يمكن . . . !

ثم يخلو الميدان لعصمت ، فيتكلم ، ويتحمس ، ويثور فيدمدم ويصيح بأعلى صوته : هذا التعصب ضد الأجانب معناه زوال هيمنة الأجانب علينا الى الابد . . . وهذا النظر الضيق ليس غباء بل هو عين ما نراه في كل أمة تتعصب لقوميتها في عصر الحق فيه للقوة والويل للضعيف . . . وهذه السكك الحديدية لا أبغى منها الربح وإنما أبغى سهولة المواصلات في ساعة الحرب إذ أحمل جنودى من شرقي الأناضول الى غربيه في ساعات معدودات . . . وهذا الاحتكار قضى على وساطة كبار الممولين ولم يعد يتيح لأحد أن يتلاعب بعد الآن بأهم مرافق الحياة . . . أما اليد الحديدية فلا وجود لها طالما كان الرجعيون مهندسين في أوكارهم أو مشردين في أقصى الأرض . . . وهكذا حتى يعود التيار فيندفع معه بشدة . . .

وينزل عصمت من فوق المنبر ليعانق فتحى ويسير معه ضاحكا متلطفًا كما أمر الزعيم !

ولكن النواب ينسون الدرس في ساعة الغضب والتحمس ، فيسبون ويلعنون ، وبقبضاتهم في الهواء يلوحون ، وبمسدساتهم يهددون ، وباللكمات يتناحرون ، وانك لتسمع في هذه الفوضى الرهيبة دوى الطلقات وهزيم الهتافات الثائرة وقعقة الاثاث المحطم !

ولا تكاد هذه المناقشات والمشااحنات تذاع ، حتى يندلع لهيب المعارضة في كل مكان : الزراع ، والتجار ، والصناع ، والمدرسون ، والاطباء ، والمهندسون ، وكل ذى حرفة ينغمر في خضم السياسة الى شوشته . . . وعلى القهوات يجلس هلافت السياسيين فيتناقشون ويتضاربون ، ثم يخرجون آلافاً من العرائض ويرسلونها الى انقرة . . . وفي الطرقات يترك الناس أعمالهم ويجتمعون حيثما سمعوا خطيباً يخطب ، أو سياسياً هلفوتاً يتحدث ويتحمس . . .

وهذه الجماعات تتشاحن ، ثم تتضارب وتتطاحن بالعصى والمدى والمسدسات . .
وفي القرى البعيدة عن العاصمة والبنادر تخرج بقية الرجعيين من أوكارها وتعود
الى اعلان الحرب على كمال الكافر وحكومته الكافرة . .
وعلى الحدود الشرقية تقوم فلول الأرمن بثورات دامية تذهب فيها مئات
الضحايا . .

والاكراد يرفعون « علم النبوة الأخضر » فوق جبالهم ونجادهم وينحدرون به
الى القرى التركية المجاورة فتضطرب أرضها بالدماء وتتناثر فوقها آلاف الاشلاء . . .
وفي قرية « منيمن » بالقرب من ازمير يقوم دعى من الادعياء يدعى « محمداً »
ويزعم أنه المهدي المنتظر ، فتجتمع حوله فلول الدراويش الذين اخرجهم كمال من
أوكارهم وتكايهم ودفع بهم الى عالم الكسب الشريف ، وتقوم ثمة ثورة عملية
خطيرة . . .

ويحاول ضابط تركى يدعى « قوبلاى » مقاومة النبى الكذاب فيقبض عليه
الشيخ محمد ويدبجه ذبح الشاة أمام مئات من الدراويش والرجعيين الهاتفين البهلين :
الله اكبر ! الله اكبر !
قضى الأمر . . وعادت الرجعية تمثل دورا من أدوارها التى خلنا أنها انقضت
ودفنت تحت انقاض العهد البائد !!

تركيا فى خطر . والاستقلال فى خطر . والجمهورية فى خطر . .
أفراد القبيلة يعاودهم الحنين الى دائرة الزعيم الأكبر التى تدور فتدور معها الدوامه
الهوائية الكبرى فتدير كل شىء . .
وهذا الحنين ينقلب رجاء ، فتوسلا . . .
ولسان حال القبيلة يقول : عد أيها الزعيم الى سابق عهدك ، ولا تدعنا تنقلب
فى غيبتك مردة شياطين ، وارحنا من بقايا الرجعية ورءوس الرجعيين . .
ولكن الزعيم يسم أذنيه دون توسل افراد قبيلته . فزاهم بعد قليل له ساجدين
ولرسالته مقدسين . .

وعندئذ - وبعد أن يوقن الزعيم أن المثل الذى ضربه للقبيلة استقر فى القلوب
حيث تستقر العقيدة - يتحرك الرجل الجليل فينقلب ذبياً تقطر الدماء من مخالبه، وتتألق

في عينيه نظرات غاليولى وسقاريا النارية ، ويذهب الى مركز الدائرة حيث يستقر على مقعده العتيد ، ويمد يده الجبارة الى الأذرع الست ويدفعها بقوة ، فتدور ، وتدور معها الدائرة كما تدور الرحي ، فتطحن فتحي وحزب فتحي ، وتطحن المتذمرين وهلافت السياسة والشاكين ، وتطحن الارمن ، وتطحن الاكراد ، وتطحن الشيخ محمدًا ، وتطحن البقية الباقية من دعاة الرجعية والعود الى القديم ! وبعد بضعة أسابيع تقف الرحي حيث طحنت آخر الرؤوس ، وتتابع الدائرة دورانها فتشمل الاتراك بدوامتها الكبرى من جديد . . .
وانك لتسمع خلال أزيز الدوامة اصواتا سعيدة تشق عنان السماء هاتفة : « ليحي زعيم القبيلة الاكبر ! »

رجل المعجزات

الزراعة ، ولا شيء الا الزراعة . والصناعة ، ولا شيء الا الصناعة . والتجارة ، ولا شيء الا التجارة . والعلم ، ولا شيء الا العلم . والسلام ولا شيء الا السلام . والحرب ، ولا شيء الا الحرب
تلك أوامر الزعيم . وهى تطاع كأنها أوامر مقدسة . وكل ذى حرفة يقوم بها بنفس الروح التى يجاهد بها الجندى فى خط النار
والزعيم تراه فى كل مكان :
فهو زارع يحمل الفأس مع الزراع
وهو صانع يحمل المطرقة والسندان مع الصناع
وهو تاجر يبيع مع التجار
وهو معلم يقف أمام السبورة كالمعلمين
وهو ملاك السلام !
وهو إله الحرب !
وتركيا تنقلب فى بضع سنين بلدا زراعيا تجاريا ، والاتراك يتعلمون ، ويعملون
للسلام كما يستعدون للحرب
وأفراد القبيلة فى هذا الكفاح الجبار سعداء نفورون بما صنعت أيديهم وما صنع

لهم الزعيم ، شاغو الانوف ، مؤمنون بأنهم أعضاء حية قوية في جسم الانسانية
والمدنية الحديثة

وهذا الايمان يدفعهم الى الاتيان بالمعجزات في سائر ميادين النشاط الانساني :
فملابسهم كلها تصنع في تركيا ، ومنازلهم وأثاثهم يصنع في بلادهم ، وأدواتهم
ومصنوعاتهم منهم واليهم ، ومعظم بنادقهم ومدافعهم ورصاصهم وقنابلهم تصنع في
المصانع التركية ، وحتى الطائرات والبواخر وقضبان السكك الحديدية يصنعها
الأتراك !

ومدافعهم تعرض في معرض اليونان الى جانب المدافع الاوربية ، فتقرر لجنة
فنية عسكرية أنها أمتن من سائر المدافع المعروضة !

ومنتجات أرضهم ومواشيم تباع في أسواق موسكو ولندن وباريس
وعلماءهم يضيفون الى قائمة المخترعات الحديثة اختراعات جديدة
واحدي نسائهم تتركب صبغات جديدة تفوق الصبغات الألمانية الشهيرة
كل هذا يراه الزعيم فينتسم . ويراه الأتراك فيزيدهم بقوتهم ايماناً فوق ايمانهم

فذا انتقلنا الى عالم السياسة الدولية رأينا عجا :
فالدب الروسي عدو الترك اللدود في أيام سلاطين آل عثمان يصبح صديقاً لدب
انقرة وحليفاً

والبلقان الذي لم يعرف الاستقرار قط ، يكاد يستقر تحت راية الزعيم التركي
واليونان . . اليونان التي قادها فزيولوس الى قلب الأناضول قبل بضع سنوات
تتقرب من الدب التركي ثم تعانقه وتقبله بحرارة وشغف !

وفرنسا صديقة للروسيا ، فهي لذلك صديقة لتركيا
وانجلترا : سيدة البحار التي لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها ، ترى أن البحار
يكاد زمامها يفلت من يديها ، وأن الشمس تكاد تغيب عن بعض ممتلكاتها ، فتغير
اتجاه سياستها العدائية نحو تركيا وتتقلب صديقة لها ، وتروح تغازل دب انقرة حتى
يهش لها فتبادر الى تقبيله أيضاً !

والذي أود أن أسجله لتركيا هنا بمداد الفخر ، أنها كانت أول دولة شرقية عرفت
كيف تقاوم انجلترا وتحملها قسراً على احترامها والاعتراف لها بحق الحياة والسيادة

في عصر طالما تيمرت فيه سيدة البحار وأملت علينا ارادتها وانفنا في الرغام
أجل لقد عرف ذئب أنقرة كيف يسوس انجلترا التي لا تحترمك الا اذا قهرتها ،
ولا تعترف لك بحقوقك الا اذا ارغمتها على أن تعترف به

انجلترا هذه تلقت من ذئب انقرة ضربة قاصمة في غاليلوى . وتلقت الضربة
الثانية في عهد الاحتلال . والثالثة في حرب الاستقلال . فلما شبت أم رأسها من
الضرب ، عادت اليه في جلد الحمل وراحت تتودد اليه وتتوسل ليكون لها نصيرا في
أزمته الطارئة الخيفة ، أزمة قيام الفاشستية في ايطاليا وتهديد موسوليني بجعل البحر
الايض بحيرة ايطالية

وذئب انقرة داهية من دهاة السياسة . وهو يعرف أن انجلترا محتاجة اليه . ويدرك
أن البحر الايض قد يصبح بحيرة ايطالية ، وأن انجلترا التي تملك مفتاح جبل طارق
وكانت تتحكم في البحر الايض ، تكاد تفقد هذا المفتاح فتفقد سيادتها على طريق الهند ،
فهو لذلك لا يتهافت على صداقتها بل يسوق عليها الدلال . .

وهذا الدلال لا يكاد جون بول يخطئه . . فالأزمة عسيرة . وموسوليني لا يرحم ،
وأوربا في فوهة البركان . وفرنسا الصديقة تنذبذ ، وألمانيا ، تنمر ، واسبانيا تشقلب
والشرق الأدنى لا يستقر على حال ، والحبشة تفرسها ايطاليا ، وحدود السودان مهددة .
وطريق الهند في خطر !

وأخيراً . . وبعد طول دلال . . يرضى الذئب بصداقة انجلترا ، ويعدها بالمساعدة
ولكن على شرط : هو الاعتراف بحق تركيا في تحصين الدردنيل !
فتقبل انجلترا هذا الشرط . وسرعان ما تهتز الاسلاك البرقية معلنة للعالم أجمع نجاح
مؤتمر مونترو والاعتراف بحق تركيا في تحصين دردنيلها . . .

ويقف ذئب انقرة فوق مرتفعات الدردنيل ليشرف على عمليات التحصين ،
فترى في عينيه نفس البريق الذي رأيناه من قبل وهو يحصد بمنجمله أرواح عشرات
الألوف من الانجليز والاستراليين في سنة ١٩١٥

لقد انتصر جيشه إذ ذاك . وانتصرت جمهوريته اليوم !

أما ايطاليا . . فله معها شأن آخر :
ففي ذات يوم يركب موسوليني رأسه ويقف في أحد ميادين روما خطيباً ويقول:

إن إيطاليا في حاجة الى التوسع في آسيا وأفريقيا . .
ولا يكاد البرق يحمل هذا التصريح الخطير الى انقرة حتى يرق ذئب انقرة ويرعد ،
ويستدعى سفير إيطاليا اليه على وجه السرعة . .
وعندما يقبل السفير الى « تشان كايا » يستقبله الذئب في حلة مدنية ، ثم يرجو
منه أن ينتظر قليلا ريثما يعود . .
وبعد بضع دقائق يعود فاذا هو في بذلة عسكرية . . بذلة ميدان . . !
فيفزع السفير فاه من فرط الدهشة . .
ولكن الذئب لا يدعه يتدهش طويلا ، فهو يبادره بقوله :
« هأنت تراني أيها السفير وقد غيرت ثيابي ولبست البذلة العسكرية في بضع دقائق . .
فاذهب الى رئيسك موسوليني وصف له ما شاهدت ، وقل له نيابة عني إن تركيا بدورها
تلبس ثيابها العسكرية وتتنقل في حالة حرب في بضع دقائق أيضا ! ! »
ويخرج السفير من عند الذئب ليلبلغ موسوليني ما رأى وسمع . فيعتذر موسوليني
عما بدر منه ، ويصرح بأن تركيا لم تكن تخطر له ببال عندما صرح بما صرح !
بيد أن الذئب لا يكتفي بهذا الاعتذار . بل يسوق قطعاً جارة من جيشه الى ازмир
حيث يقوم بمناورات عسكرية واسعة النطاق ، وكأنه يقول لدكتاتور إيطاليا : « هاهي
ذى تركيا انقلبت معسكرا . . »

وأما الشرق فله منه دولتان كبيرتان هما إيران وأفغانستان
الأولى نضجت واتخذته استاذاً . والثانية أوشكت أن تنضج
وفي المستقبل القريب سوف نرى سوارا من الحديد والنار يمتد من استامبول
غربا الى قلب آسيا شرقا ، إلى حدود الهند ، إلى جبال التركستان ، الى سور
الصين الجبار . . .

بشر فوق البشر

. . وهكذا تمر السنون وتم الدائرة دورتها لتعاود الدوران من جديد . وهكذا
يؤدي كمال أتاتورك رسالته الانسانية الكبرى حيث يجلس في مركز الدائرة

العالم كله يتراوح بين الشك واليقين ، فتقوم هنا شيوعية مدمرة حمراء ، وتقوم هناك اشتراكية ليست مدمرة وليست حمراء - ولكنها مقلقة ، وتناهض كليهما تلك النكبة الانسانية الكبرى التى يسمونها « الفاشستية » أو « النازية » - وأقول « النكبة » لأنها قائمة على أساس من الهمجية ، ولأنها لاتعرف من الحياة إلا أن المانيا أو ايطاليا فوق الجميع ، ولاشئ إلا المانيا أو ايطاليا ، ولا حياة الا لالمانيا أو ايطاليا ، ولا سعادة إلا لالمانيا أو ايطاليا ، أما الباقون فشعوب نجسة ومدنيات مضحكة . .

هذا العالم المصطخب ما أشأمه إذا قيس بعالم أتاتورك المؤمن العامل !

إن هذا الرجل الجاثم فى مركز الدائرة فى انقرة ليس شيوعيا أحمر ، ولا اشتراكيا أغبر ، ولا نازيا أزرق ولا فاشستيا اسود ، بل هو « انسان » . انسان يدافع عن بلده حتى يستقل ، ثم يعمل على توفير اسباب الرفاهية له ، ولا يفكر فى الحرب الا مدافعا عنه

وهو فى « انسانيته » هذه صاحب مذهب عالمى جديد ورسالته انسانية كبرى قوامها « السلام . والحرب للدفاع عن السلام والوطن » . والجديد فى أمره أنه يختلف عن أصحاب المذاهب والرسالات فى أنه عملى ومعظمهم خياليون ، وأنه عاكف على قطعة من الارض يصلحها وهم يكفون على الكون كله يصلحونه . فالسلام عندهم حب وصفاء وسعادة ، وعنده مال وزرع وضرع وصناعات وحديد ونار : فالمال والزرع والضرع والصناعات لتوفير اسباب الرخاء ، والحديد والنار للدفاع عن هذا الرخاء . وهو اذ يعكف على رقعة تركيا وحدها ليصلحها يؤدى للانسانية من الخدمات مالا يؤديه مصلح الكون أجمع ، فاصلاح قطعة من الارض يسهل على الانسان القصير أجله ، ويصبح بعد ذلك مثالا يحتذى وانموذجا يقلد . أما اصلاح الكون فمحال . . ثم ان المصلحين وأصحاب الرسالات لا يملكون من وسائل الاصلاح الا الفكرة - والفكرة وحسب - أما هو فيملك الفكرة ووسائل التنفيذ

ولا يظن ظان أننا اذ نتحدث عن كمال أتاتورك « الانسان » نود أن نقول إنه انسان مثلى ومثلك ، نصفه عاطفة وغرائز ، ونصفه خيال ، وما يبقى منه بعد ذلك عقل ومنطق وفكر راجح ! كلا . . . فكمال أتاتورك زعيم ، وأول صفات الزعيم أنه « بشر فوق البشر »

ولو أن المؤرخ أو العالم النفساني يتاح له تحليل الناس الى عناصرهم الأولية ، اذاً لرأينا في جسم كمال أتا تورك عجا : فكل ذرة من ذرات جسمه هي خلاصة طبع من طباع الاتراك . وهذه الذرات كلها مجتمعة هي التي تتيح له ان يكون « بشرا فوق البشر » و « تركيا فوق الاتراك » و « زعيما للقبيلة التركية »

وهذا الزعيم يجلس مع أفراد قبيلته بجسمه ، ومع الفكر المطلق بروحه . فاذا ناروا رأيته حديداً . وإذا انصهروا رأيته جليداً . وإذا جمدوا رأيته ناراً . وإذا تشعبت بهم الطرق رأيته في مجمع الطرق . وإذا انقسموا رأيته واحداً . وإذا انقلبوا على أنفسهم رأيته معتدلاً . الفاس والسيف عنده سيان - والحقل وخط النار . والحياة والموت عنده صنوان - واليلاذ والشهادة . كل هذا لا بد منه في هذه الحياة الدنيا ما دمنا فيها نعيش

لا صديق له ولا يصادق أحداً . ولا أحد يحبه وهو لا يحب أحداً . ولا عدو له وهو لا يعادى أحداً : الصداقة والحب والعداوة كلها من مظاهر الانسانية العادية . أما هو فبشر فوق البشر ، وزعيم يطاع ويخشى ، وهذه الطاعة وتلك الخشية تلبسان لبوس القداسة

ولطالما كافأ كمال أتا تورك رجلاً وشنق آخرين . بيد أنه في كلتا الحالتين كالبناء يضع الصخرة المهدبة في مكان ممتاز ويحطم الأخرى ليدسها في جوف الحائط . فالانصار الذين كافأهم ، والرجعيون الذين علقهم في جبال المشانق ، كلهم صخور بني بها أتا تورك بيته العتيد

وسيكا في كمال أتا تورك ويشنق رجلاً آخرين . وسيني ييوتا أخرى ومعاقل فوق رقعة بلاده . فلا يعودن أحد ممن انتقدوه أو لاموه الى انتقاده ولومه ، فهو في مركز الدائرة وعلى قته البشرية يفكر ويعمل ، ولا يعبأ بشيء بعد ذلك

وفي القبيلة التركية الكبرى يعيش كمال أتا تورك الآن وحده ، فلا أب ولا أم ولا زوجة ولا عيال ولا عقار ولا مال

له مرتب ضئيل يدفع منه ضريبة الدخل كما يدفعها أي فرد من أفراد القبيلة كانت له ضيعة فوهبها للاتراك

كل ذرة من ذرات جسمه ، وكل عنصر من عناصر عبقريته ، يعمل في سبيل
الترك - والترك وحدهم

لم يهبط الى مستوى البشر العادى إلا في يومين اثنين : أولها يوم تزوج « لطفية
هانم » ، والثانى يوم ماتت أمه « زبيدة »

فأما « لطفية هانم » فقد أسرته بجملها يوم دخل أزمير ظافراً ، وما كان لها أن
تأسره لولا أنه كان خارجاً من حرب الاستقلال كما يؤوب البدوى من تيه طويل في
صحراء لا نبات فيها ولا ماء . . فروت « لطفية » من ظمئه وخفت عنه من
ويلات الحرب وأهوالها . فلما استقرت الأمور في نصابها ولم يعد كمال ذلك البدوى
الصادى ، نبذ زوجته نبذ النواة وهجر فراش الزوجية حيث يستقر البشر ، وصعد
الى القنة حيث الرجل يطيع ، والمرأة تطيع ، ولا شيء إلا الطاعة للزعيم

وأما أمه « زبيدة » فقد أحبها حقاً . ولعلها الشخص الوحيد الذى نبض له قلبه
وتحركت عاطفته . « زبيدة » الأم الرءوم التى أحبها كمال الحديد الجليد ولم يعص لها
أمراً . « زبيدة » التى كانت تؤمن - وابنها مصطفى فى حجرها - بأن الخليفة يملك
قوة سبعة من الاولياء ، فأصبحت فى أخريات أيام حياتها تؤمن بأن ابنها وحده يملك
قوة سبعة من الجبابرة . . « زبيدة » هذه قضت نحبها . . فانقطع بموتها آخر خيط
كان يربط كلاً بالبشر وعواطف البشر

خاتمة

الدائرة الكبرى ما زالت تدور
وما أسرع ما تدور !
انى لا أكاد أرى الجهاز الجبار ذا الاذرع الست
وكل ما استطيع أن اتبينه خلال الدوامة الهوائية الكبرى مارد
جبار لا يزال كما كان وحيثما كان حديدا جليدا ، فأقول : « لعله كمال
أتاتورك »

مراجع الكتاب ومصادره

مراجع انجليزية :

- Memoirs of Halide Edib*, London 1926.
The Memories of Ismail Kemal Bey, London 1920.
Memories of a Turkish Statesman, by Djemal Pasha, London 1919.
The Turkish Empire, by Lord Eversley, London 1918.
The Turkish Empire from 1288-1916, by Lord Eversley. And from 1914-1922, by Sir Valentine Chirol, London 1923.
The Ottoman Empire, 1801-1913, by William Miller, London 1913.
Turkey, by Arnold J. Toynbee & Kenneth P. Kirkwood, London 1926.
A short History of the Near East, by William Stearns Davis, London 1923.
Life of Abdul Hamid, by Sir Edwin Pears, London 1917.
Turkey in Travail, by Harold Armstrong, London 1925.
Turkey, the Great Powers & the Bagdad Railway, by Edward Mead Earle, London 1923.
The Turks and Europe, by Gaston Gaillard, London 1921.
The Powers and the Turks, by Sir George Greenwood, 1923.
The Eastern Question, by J. A. R. Marriott, London 1918.
The Turkish Problem, by Count Léon Ostrorog, London 1919.
The Struggle for Power in Moslem Asia, by E. Alexander Powell.
The Western Question in Greece & Turkey, by Arnold J. Toynbee, London 1922.
The Holy War in Tripoli, by G. F. Abbot, London 1912.
The Turco-Italian Wars and its Problems, by Sir Thomas Barclay, London 1912.
With the Turks in Tripoli, by E. N. Dennett, London 1916.
Hellas and the Balkan Wars, by D. J. Cassavetti, London 1914.
The Struggle for Scutari, by M. E. Durham, London 1914.
Fourty Years in Constantinople : 1873-1915, by Sir Edwin Pears, London. 1915.
Gallipoli, by Masfield.
The Dardanelles Commission's Final Report, London 1919.
Gallipoli Diary, by Sir I. Hamilton, London 1920.
Five Years in Turkey, by Liman Von Sanders, London 1928.
War Memories of the Dardanelles, by E. Ashmeed Bartlett.
British Official History, by C. P. Aspinall, London 1928.
An Englishman in Angora, by Grace Ellison, London 1923.
Turkey To-Day, by Ellison.
Mustafa Kemal, by Wortham.
Grey Woolf, by H. C. Armstrong, London 1932.



مراجع فرنسية :

- Le sort de l'Empire Ottoman*, par A. Mandilestan, 1917.
La Révolution Ottomane, par Youssouf Fehmi, Paris 1911.
La Jeune Turquie et la Révolution, par A. Sarrou, Paris 1912.
La Turquie à la Guerre, par J. Aulneau, Paris 1915.
La Mort de Stamboul, par Victor Bernard, Paris 1913.
La Révolution Turque, par Victor Bernard, Paris 1909.
Cent Projets de Partage de la Turquie, par T. G. Djuvara, Paris 1914.
La Turquie, l'Allemagne et l'Europe jusqu'à la Guerre Mondiale, par Général M. Moukhtar Pacha, Paris 1924.
Les Balkans en Feu, par R. Poincaré, Paris 1912.
Histoire de la Guerre Italo-Turque, par un Témoin, Paris 1912.
La Guerre Turco-Balkanique, par Colonel Brevete Boucabeille, Paris 1912.
Journal du Siège d'Adrinople, par G. Civilli, Paris 1913.
La Tragédie des Dardanelles, par Delage Edmond, Paris 1931.
Angora, par Jean Schlicklin, Paris 1922.
Dictateurs et Dictatures, par le Comte Sforza, Paris 1931.
Le Visage Nouveau de la Turquie, par Eugène Pittard, 1931.
La Turquie Contemporaine, Ankara 1935.
Dictateurs d'aujourd'hui, Henri Bernaud, 1933.
La Turquie dans le Monde, Robert de Bischoff, Paris 1936.

مراجع ومصادر تركية وعربية :

- عبد الحميد ثانی ودور سلطنتی ، حیات خصوصية وسياسية : استامبول ۱۳۲۷ هـ
- عثمانليار عاربة لرینی ناصل غائب ايتديلير ؟ شيمدی ناصل تلافی وترقی ايدده بيليرلر ؟ عادل نامی : استامبول ۱۳۳۱ هـ
- جناق قلعة . محرری غرانویل فورتنسکیو ، مترجمی رحمی : استامبول ۱۳۳۱ هـ .
- عثمانلي اردوسنک أسباب مغلوبیتی . واتحاد وترقی جمعیتی سیاستی . جمال الدين هجری : استامبول ۱۳۲۹ هـ
- عثمانلي اردوسنک أسباب مغلوبیتی . احمد حمدي : القاهرة ۱۹۳۳
- ادرنة سقوطنک لمیح یوزی . جلادت بدرخان - کامران بدرخان : استامبول ۱۳۲۹ هـ

- ۱۹۱۲ : بلقان حربنده . محمد علی نزهت : استامبول ۱۳۳۱ هـ
- أوجنجی قول اردونك وایکنجی شرق اردوسنك محاربائی . محمود مختارباشا :
استامبول ۱۳۳۱
- خاطرات نیازی . أحمد نیازی : استامبول ۱۳۲۶
- نطق
- نطق محتویاتنه عائد وثائق : غازی مصطفی کمال طرفندن — انقره ۱۹۲۷
- مذکرات الغازی مصطفی کمال باشا (مترجمة عن التریکیه)

Tarih V vols : Istanbul 1931.

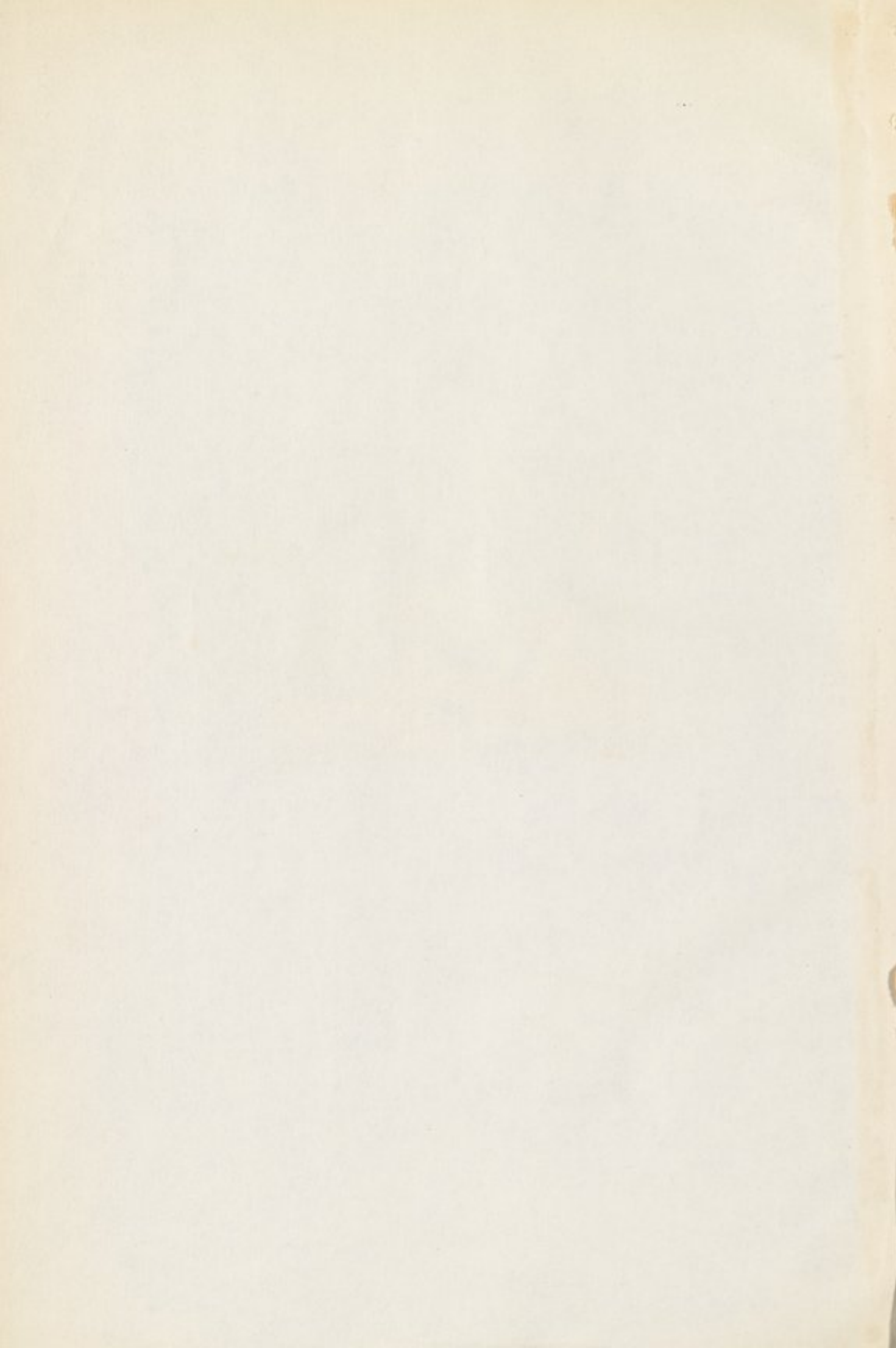
تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤	٢٥	الصدر الاعظم	وزير الحرية
٣٠	٢٥	وتلت ذلك هزيمة المارن	وسبق ذلك الزحف على باريس
٣١	٢	١٨ أكتوبر	٢٨ أكتوبر
٤٦	٢	يقترضه من جمال	يبيع به خيوله لجمال
٤٨	٤	يا صاحب السمو	يا صاحب السعادة
٦٣	٥	انطاكية	انطاليا
٦٩	١٨	ادنه	ادرنة









LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 084732567

RECAP